الطبعة الرابعة
منقّحة ومزيدة

أيتها النساء، سامحننا!



ما يجب علينا
نحن الرجال أن نُصلحه.
عن دور المرأة والرجل
HANS-JÖRG RONSDORF

أيتها النساء، سامحننا!

ما يجب علينا نحن الرجال أن نُصلحه

عن دور المرأة والرجل

Hans-Jörg Ronsdorf

يمكن طلب النسخة الورقية من الطبعة الألمانية عبر www.hans-joerg-ronsdorf.de بسعر 13,80 € مضافًا إليه أجرة البريد.

الطبعة الرابعة الموسَّعة (الطبعة الألمانية)، يوليو/تموز 2023

مترجم عن الألمانية، 2026 – تحميل مجاني على www.hans-joerg-ronsdorf.de

© Hans-Jörg Ronsdorf – جميع الحقوق محفوظة.

Albis 6½

87477 Sulzberg

التنضيد: Hans-Jörg Ronsdorf، باستخدام Papyrus Autor

للتواصل بالبريد الإلكتروني: hj-ronsdorf@t-online.de

ISBN الطبعة الألمانية: 978-3-9820715-5-8

تصميم الغلاف: توبياس شتريكر (Tobias Stricker)

الرسوم: لاورا-كريستين رونسدورف (Laura-Kristin Ronsdorf)

الطباعة: www.wir-machen-druck.de

ترجمة الكتاب المقدس المستعملة في الطبعة الألمانية، ما لم يُذكر غير ذلك:

Elberfelder Übersetzung، Edition CSV Hückeswagen (ترجمة ألمانية للكتاب المقدس)

إلى زوجتي الحبيبة،

إلى بناتي الرائعات،

إلى أمّي الموقَّرة،

إلى جدّاتي،

إلى أختي،

إلى أخواتي

وصديقاتي في المسيح،

كلِّ بنات حواء،

اللواتي عملت معهن

في ملكوت الله

وسأظلّ أخدم معهن.

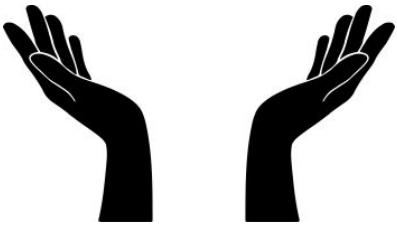

المحتويات

1 مقدّمة **10**
1.1 مقدّمة الطبعة الثانية الموسَّعة **13**
1.2 مقدّمة الطبعة الرابعة **14**
1.3 مَن يكتب هذا الكتاب **14**

2 الخلق والسقوط **20**
2.1 كيف بدأ كل شيء **20**
2.1.1 عمل اليوم السادس 21
2.1.2 الإنسان: صورة الله – Imago Dei 22
2.1.3 الإنسان ذكرًا وأنثى 23
2.1.4 الإنسان ومهمة الله 24
2.1.5 خلق آدم وحواء 25
2.1.6 استطراد قصير عن الكلمات المفتاحية العبرية 25
2.1.7 آدم يحتاج إلى معونة 27
2.1.8 خلق حواء 29
2.1.9 من الضلع 30
2.1.10 «امرأة» لأنها من «امرء» (Männin) 31
2.1.11 عطيّة أحدهما للآخر 32
2.2 سقوط الرجل والمرأة **34**
2.2.1 جواب حواء 37
2.2.2 تعب حواء وحَبَلها وإخضاعها 38
2.2.3 إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك 41
2.3 اعتراضات على المساواة **44**
2.4 الاختلاف بين الرجل والمرأة **48**
2.5 نظام الخليقة **50**
2.5.1 من جنّة عدن إلى أورشليم الجديدة 52
2.6 وهو يسود عليك – التاريخ **53**
2.6.1 العصور القديمة 54
2.6.2 أرسطو 55
2.6.3 المرأة مُلكًا ومُقتنًى 56
2.6.4 النظام الأبوي 57
2.6.5 التأثير اليوناني في الفكر اليهودي 58
2.6.6 آباء الكنيسة 59
2.6.7 الإصلاح 61
2.6.8 الحركة العلمانية لحقوق المرأة 62

3 يسوع المسيّا والنساء **66**

3.1 تلميذات خادمات **67**
3.2 على النساء أن يتعلّمن **68**
3.3 الجميع متساوون **68**
3.4 الحيض لم يعد نجاسة **69**
3.5 منبوذة ثم موجودة **69**
3.6 الزنى يحتاج إلى اثنين **71**
3.7 الوقوف مستقيمة بكامل القامة **72**
3.8 لا ازدواجية في المعايير **72**
3.9 نعمة بلا حدود **73**
3.10 الصليب: أين الرجال؟ **74**
3.11 مريم الرسولة **75**

4 بولس صديق النساء **78**
4.1 ليدية **79**
4.2 فيبي **80**
4.3 بريسكا **82**
4.4 يونيا **82**
4.5 مريم، تريفينا وتريفوسا، برسيس **84**
4.6 أفودية وسنتيخي **84**
4.7 خلوي **85**
4.8 نمفا **86**
4.9 بولس الأمّ المرضعة **88**

5 الرجل والمرأة في الزواج **90**
5.1 البيت في العصور القديمة وقواعده **90**
5.1.1 قوائم الواجبات المنزلية في العهد الجديد 91
5.1.2 أثر قوائم الواجبات المنزلية المسيحية 93
5.1.3 قائمة الواجبات المنزلية في أفسس 5 94
5.1.4 سبب الخضوع المتبادل 95
5.1.5 توجيهات للحياة المسيحية – اليوم 97
5.1.6 المرأة في البيت القديم 98
5.2 الرأس والخضوع: أفسس 5 ..... **99**
5.2.1 الرأس 100
5.2.2 العائلة في العصور القديمة 101
5.2.3 الأخذ بالحرف؟ 101
5.2.4 الوضع في السياق 103
5.2.5 مرة أخرى: الرأس 104
5.2.6 استنتاجات 106
5.3 أن تكون خاضعًا **108**
5.3.1 الخلاصة 114

6 الرجل والمرأة في الكنيسة 117
6.1 1 كورنثوس 11 – الرأس والشعر والبرقع 119
6.1.1 مبادئ وملاحظات لتفسير النصّ 120
6.1.2 نطاق سريان النصّ 122
6.1.3 ثلاثة أزواج لكلٍّ منها رأس 123
6.1.4 ماذا يعني الرأس؟ 124
6.1.5 غطاء الرأس في كورنثوس 128
6.1.6 أن يكون على الرأس علامة سلطان؟ 131
6.1.7 الأهمية الراهنة 132
6.1.8 نقل تفسيري 133
6.1.9 الختام والملخّص 135
6.1.10 قراءة أخرى لـ 1 كورنثوس 11 136
أمثلة على الاقتباسات 137
6.1.11 ترجمة بديلة لـ 1 كورنثوس 11: 2-16 139
6.1.12 الخلاصة 140
6.2 لا الكلام، بل الصمت 143
6.2.1 أسئلة 144
6.2.2 حيرة في نهاية الأصحاح 145
6.2.3 قراءة الاقتباس 146
6.2.4 قانون روماني؟ 149
6.2.5 حاشا! 150
6.2.6 تفسيرات أخرى 151
6.2.7 على الأرجح ليس من بولس 153
6.2.8 تقييم ختامي 159
6.3 هل يجوز للنساء أن يعلّمن؟ 162
6.3.1 النصّ 1 تيموثاوس 2: 8-15 164
6.3.2 الوضع التاريخي في أفسس 164
6.3.3 الإطار 166
6.3.4 الصلاة في كل مكان، الغضب والزينة 167
6.3.5 التعلّم بسكوت وخضوع 168
6.3.6 لا تعلّم ولا تتسلّط على الرجل 169
6.3.7 هل التعليم هو التسلّط؟ 169
6.3.8 ماذا يعني «يتسلّط»؟ 171
6.3.9 آدم وحواء في أفسس 173
6.3.10 لست آذن الآن 174
6.3.11 الخلاص بولادة الأولاد؟ 175
6.3.12 1 تيموثاوس اليوم 176
6.3.13 استنتاجات 177
6.3.14 نقل تفسيري لنصّ تيموثاوس 178

6.4 وصايا عامّة ووصايا مرتبطة بزمانها 179
6.4.1 الحرفية الكتابية و Sola Scriptura 180
6.4.2 الأخذ بالحرف والمعنى الحرفي 182

7 كاهنات وشيخات وشمّاسات 184
7.1 الكهنوت العامّ 184
7.2 شيوخ وشيخات 185
7.3 هي تبتغي عملًا صالحًا 186
7.4 شمّاسات 188
7.5 واعظات 189
7.6 خلاصة 191

8 «واحد في المسيح»: غلاطية 3: 28 193
8.1 ماذا يقول النصّ 193
8.2 ما لا يقوله النصّ مباشرة 195
8.3 ما يقوله النصّ مع ذلك بطريقة غير مباشرة 195
8.3.1 يهودي ويوناني 196
8.3.2 عبد وحرّ 196
8.3.3 معلومات عن العبودية 197
8.3.4 رجل وامرأة 198
8.3.5 أرضي وروحي؟ 198
8.3.6 ليس ذكر وأنثى 199
8.4 ملخّص وخلاصة 200

9 الله الآب والابن والروح القدس 202
9.1 هل الله ذكر؟ 203
9.2 لا تصنع لك تمثالًا 205
9.3 صور أنثوية لله 205
9.4 الآب والابن 207
9.5 خضوع الابن الأزلي؟ 207
9.6 يسوع وتلاميذه الاثنا عشر 210
9.7 الخلاصة 212

10 اعترافي بذنبي 213

11 الخلاصة والتطلّع إلى المستقبل 217
11.1 ملاحظات ونصائح 219

12 الفرق 222
12.1 النموذج القائم على المواهب 222
12.2 النموذج الهرمي 224

13 كلمات ختامية من قرّاء مختلفين 226

13.1 النظرة الحرّة قد غطّاها النبات! 226
13.2 ما الذي كان يمكن أن يكون! 228
«مسألة المرأة» و«المحبة الأخوية» 230
13.3 التغيير 231

14 مرافعة ختامية: هل مسألة المرأة مهمّة إلى هذا الحدّ؟ 233
14.1 الأمر لا يتعلّق ببعض الخدمات (الممنوعة) 233
14.2 ما يشعر به الرجال وما لا يشعرون به 234
14.3 كيف نقرأ الكتاب المقدس في مسألة المرأة 235
14.4 الحسّ المرهف 235
14.5 ما ليس هدفي 236
14.6 سبب للانفصال؟ 237
14.7 على النساء أن ينهضن 237
14.8 في المستقبل والآن 238

15 قائمة المراجع 239

16 كتب المؤلّف 243

17 كتب يُنصح بها 245
هانا-ماريا شمالنباخ (Hanna-Maria Schmalenbach) 246
Frausein zur Ehre Gottes 247

1 مقدّمة

كتاب آخر عن هذا الموضوع الذي لا ينطفئ؟ أليس قد قيل وكُتب فيه كل شيء؟ أنعود إلى الخصام، أم نواصل الخصام؟ أليس موضوع دفاعي أهمّ للدفاع عن الإيمان؟ لقد اتّضح لي أن هذا الموضوع أيضًا جزء من علم الدفاع عن الإيمان. إنه دفاع عن معايير أخلاقية كونية في مجتمع علماني ما بعد حداثي، لكن أيضًا داخل مسيحية محافظة وحرفية كتابية. وسأوضّح لماذا ينطبق ذلك على الأخيرة أيضًا.

إن الحرب الصغيرة، والصراع والعناء في هذه المسائل، ستستمرّ حتى من دون هذا الكتاب. فهي ما زالت تقسم الكنائس. بعضها عند السؤال هل يجوز أصلًا أن يُسمع صوت النساء في العبادة. وبعضها الآخر عند السؤال هل يجوز أن يكون لديها شمّاسات أو شيخاتا[1]. أو هل يجوز للنساء أن يتولّين وظائف قيادية وأن يعظن.

هناك مواقف كالحصون المنيعة في رؤوسنا: أن كلمة الله يجب أن تؤخذ حرفيًا، ضدّ كل روح عصر. ثم هناك أولئك الذين لديهم أسئلة وشكوك في ما إذا كان ينبغي أن نتّبعها حرفيًا هكذا اليوم.

في هذا الكتاب ألخّص دراستي للموضوع. ومن يعرف الأدبيات في هذا الموضوع لن يتوقّع على الأرجح اكتشافات جديدة. ولا عرضًا لكل المواقف الموجودة، من الأكثر محافظةً إلى الأكثر تقدّمية. فهذا الكتاب ليس دراسة مفتوحة النتائج – بل هو موقف واضح. وقد احتجت إلى عقود لأجده وأعلّله. وهو يختلف عمّا تعلّمته ودافعت عنه في السابق.

هل يحتاج شرح ذلك إلى كتاب كامل؟ هل الأمر معقّد إلى هذا الحدّ؟ نعم ولا. فإن تابعتم قصص الأخطاء القضائية، كما يمكن ملاحظتها لدى المحكوم عليهم بالإعدام في الولايات المتحدة، فكثيرًا ما يتطلّب الأمر جهدًا هائلًا في الإثبات وجمع القرائن لإثبات البراءة. لكن أحيانًا يكفي فحص جيني واحد. ومهما كان الجهد كبيرًا، انظروا إلى وجوه هؤلاء المحكوم عليهم بالإعدام الذين يُطلق سراحهم بعد 30 أو 40 أو 50 سنة! وهكذا ستجدون في هذا الكتاب أفكارًا بسيطة، وأحيانًا أفكارًا أكثر تعقيدًا. فالكتاب المقدس ليس سهل الفهم دائمًا. والقول بغير ذلك وهم. حتى الصيّاد والرسول بطرس يلاحظ

1. أستعمل في معظم المواضع، للتوضيح، صيغة المؤنّث هذه من المصطلح (بالألمانية: Ältestinnen). والشائع اليوم، وكذلك في اللغات الأصلية للكتاب المقدس، هو صيغة المذكّر العامّة التي تشمل صيغة المؤنّث (انظر تحت 6.4.1).

ذلك حين يتكلّم عن رسائل بولس (2 بطرس 3: 15-16)، ويقول إنها ليست سهلة الفهم.

حين يُقرأ هذا الكتاب، لن تتأخّر الردود والتفنيدات والاستنكارات. فأنا أعرف هذه الآليات، وكنت أنا نفسي جزءًا منها. وحتى إن لم يحدث تغيير في التفكير، فعلى الأقل يُطرح الموضوع للنقاش.

والآن بالذات، وأنا أكتب هذه السطور، يدور في العالم الإنجيلي في الولايات المتحدة نقاش حادّ حول هذا الموضوع مرة أخرى. لا أستطيع أن أدّعي أنني كتبت هذا الكتاب من غير عاطفة. ومع ذلك حاولت أن أبقى موضوعيًا. وليحكم القارئ على ذلك.

ثم: هناك بالطبع نقاط يمكن فيها فعلًا أن يكون للمرء رأي آخر. وأنا أتّخذ قراراتي فيها بحيث تتلاءم، بحسب فهمي، مع الصورة الكتابية الكبيرة.

إن ما يهمّني من القلب هو النساء الكثيرات والرجال المعنيّون الذين يتبعون يسوع، ويشعرون بأن موضوع أدوار الجنسين هذا، ومنع الكلام والتعليم والقيادة، أمر مشكوك فيه وعبء. لأنهم يريدون من جهة أن يأخذوا الكتاب المقدس بجدّية، لكنهم من جهة أخرى لا يستطيعون تطبيق ذلك. ويُضاف إلى ذلك، وهو ليس بالأمر الهيّن، كيف يرانا العالم في هذه المسألة. العالم الذي نحمل إليه الإنجيل.

هل جعل الله الأمر صعبًا علينا إلى هذا الحدّ؟ هل قصده أن تُستثمر في هذه المسائل ملايين الساعات من الدراسة والصلاة والنقاش؟ وأن تُقبل الانقسامات وتُضحّى بالوحدة؟

أنا مقتنع، وهذا الكتاب مرافعتي من أجل ذلك، بأن هذه المسائل راهنة للغاية. فإن كانت النساء في مرتبة هرمية تحت الرجل، ولذلك تُقيَّد خدمتهن في الكنيسة والجماعة (رغم كل التأكيدات بأن هناك خدمات أخرى لا تُحصى غير علنية)، فليرحمنا الله إن كنّا مخطئين.

إنها مسألة طاعة. للجنسين كليهما. لا طاعة ناموسية، عبودية، خائفة.

هذا الكتاب خلاصة دراساتي، وأحاديث ونقاشات لا تُحصى في منتديات الإنترنت خلال الأربعين سنة الأخيرة تقريبًا. وقد استطعت أن أتعلّم الكثير من الآخرين.

أحاول أن أبيّن طريقًا كتابيًا. وأشرح الأمر بأبسط ما يمكن. وقد يصير الأمر أحيانًا معقّدًا أكثر من اللازم لهذه القارئة أو ذاك القارئ. فأنصح عندئذ بترك ذلك جانبًا وقراءة الفصل

التالي. لا أكتب بوصفي لاهوتيًا، ولا للاهوتيين، ولا لمن يظنّون أنهم كذلك. إنما أضع أمام عينيّ أولئك الذين سرت معهم طويلًا، والذين يأتون حديثًا إلى الإيمان، والذين عليّ أن أخدمهم في التعليم. وأرجو وأصلّي أن يكون هذا الكتاب عونًا للرجال والنساء على السواء.

بعض كلمات الكتاب المقدس تحتاج إلى إعادة تفكير. وليست هذه المرة الأولى التي يحدث فيها شيء كهذا. فعند بعضهم، إعادة تفسير النصوص الكتابية تطاوُل ومثار للريبة. فالحدود، في نظرهم، تُزاح. لكن «بالنسبة إلى لاهوت يرى نفسه في تقليد الإصلاح، فإن من جوهره أن تُساءَل العادات وأن تُقرأ النصوص الكتابية من جديد».[2]

ستجدون في هذا الكتاب اقتباسات كثيرة. هذه الأفكار القيّمة وجدتها غالبًا في العالم الناطق بالإنجليزية، وأودّ أن أجعلها في متناول القارئ الناطق بالألمانية.

وأخيرًا: لاهوتنا ليس معصومًا من الخطأ. أبدًا. مهما تمنّينا ذلك. وهذا الكتاب، كسائر الكتب، له أخطاؤه ونقاط ضعفه ونقاط قوّته. ويصحّ على هذا الكتاب أيضًا أن غيري كان يمكن أن يكتبه أفضل. أشكر جميع الأخوات والإخوة المشاركين على أفكارهم وتصحيحاتهم وملاحظاتهم وكلماتهم الختامية. وأشكر بشكل خاص كوني إندروس (Conny Endrös) (لاوبن قرب كمبتن في ألغوي) وبيرند هوسكن (Bernd Hüsken) (شفيلم) على المراجعة اللغوية. ويسعدني ذلك ويذكّرني بأيام شبابي في شفيلم، حيث نشأت ونلت تكوينًا روحيًا جيدًا.

Hans-Jörg Ronsdorf

سولتسبرغ في ألغوي، نوفمبر/تشرين الثاني 2020

بفرائضك أتلذّذ، كلمتك لا أريد أن أنساها.

أحكامك هي بهجتي، هي مُشيريّ.

أجري في طريق وصاياك، لأنك تُرحِب قلبي.

المزمور 119: 16؛ 24؛ 32 (Zürcher Bibel – ترجمة ألمانية للكتاب المقدس)

2. Wunderli، 53، "Ihm gegenüber": Geschlechter-Gleichberechtigung in der Kirche und was die Bibel dazu (nicht) sagt، 2020

1.1 مقدّمة الطبعة الثانية الموسَّعة

في الطبعة الثانية قرّرت إجراء مراجعة خفيفة وإضافات. فقد رأيت أن بعض التصحيحات، لكن أكثر من ذلك الإضافات والتحسينات الأسلوبية، كانت ضرورية.

في الأساس عدّلت الفصول المتعلّقة بالنصوص المحورية الثلاثة في هذا الموضوع، وأضفت إليها، لكنني اختصرت أيضًا حيثما أمكن. ويصحّ هذا بشكل خاص على الفصل المتعلّق بالرأس والشعر والبرقع.

بعد صدور الطبعة الأولى اطّلعت على مزيد من المواد، وأعددت أنا نفسي مواد أخرى. وستجدون بعضها على موقعي www.hans-joerg-ronsdorf.de.

في الولايات المتحدة يصدر كتاب جديد عن هذا الموضوع كل شهر تقريبًا. وهي في الغالب ذات جودة لاهوتية عالية، وتعمل على نصوص العهد الجديد. وهي تلقي الضوء على الموضوع بطريقة تؤكّد ما أريد قوله في هذا الكتاب. وأنا أكثر يقينًا من أيّ وقت مضى بأن المساواة الكاملة في المرتبة بين الرجل والمرأة في كل مجالات الحياة هي ما يريده الله.

أرجو وأصلّي أن تجلب هذه الحقيقة الكتابية الشفاء إلى الزيجات والعائلات والكنائس. ربما صار الكتاب الآن فقط على ما ينبغي أن يكون عليه. لكنه ما زال قابلًا للخطأ، ليس هو الحقيقة، بل تفسيري أنا.

Hans-Jörg Ronsdorf،

سولتسبرغ، يوليو/تموز 2021

الطبعة الثالثة صارت ضرورية بسبب ازدياد الطلب. وفي الوقت نفسه استفدت من الفرصة لإجراء تصحيحات وإضافات صغيرة أخرى. ولا يغيّر ذلك شيئًا في رسالة هذا الكتاب. ويسعدني أن هذا الموضوع يُطرح أكثر فأكثر، وأن الأخوات في الرب يدركن أكثر فأكثر ما هي دعوتهن.

Hans-Jörg Ronsdorf،

أوغسبورغ، نوفمبر/تشرين الثاني 2021

1.2 مقدّمة الطبعة الرابعة

مرّت سنتان تقريبًا. وموضوع هذا الكتاب ما زال لا ينطفئ. في هذه الأيام تُفصل في الولايات المتحدة كنائس من المؤتمر المعمداني الجنوبي (SBC) إن عيّنت نساء في وظائف قيادية أو كانت لديها راعيات. وهذا يحدث في الولايات الجنوبية، حيث برّر كثير من المسيحيين أيضًا العبودية بالكتاب المقدس.

في هذه الطبعة الرابعة إضافة مهمّة عن موضوع وصية الصمت في 1 كورنثوس 14.

انظروا إلى موقعي www.hans-joerg-ronsdorf.de، لأن أعمالًا جديدة عن الموضوع تُنشر فيه مرة بعد مرة.

Hans-Jörg Ronsdorf

أوغسبورغ، يوليو/تموز 2023

1.3 مَن يكتب هذا الكتاب

في الغالب يكون مضمون الكتاب أهمّ من مؤلّفه. لكن في هذه الحالة، في موضوع بالغ الحساسية بين المسيحيين المحافظين، أودّ أن أوضّح للقارئ مَن يكتب هذا الكتاب. وكيف وصل إلى المواقف الموصوفة هنا.

حتى السادسة والثلاثين من عمري كنت، مع زوجتي وأولادنا الخمسة، جزءًا من جماعة من جماعات حركة الإخوة (المغلقة، الحصرية)، المعروفة أيضًا باسم «الاجتماع القديم» (Alte Versammlung). وهم لا يسمّون أنفسهم هكذا، لأنهم يرفضون كل «تسمية». في هذه الاجتماعات أو العبادات تصمت النساء. لا يشاركن. ويجلس الرجال والنساء في الغالب منفصلين. ولا تلبس النساء السراويل في العبادة. وتغطّي النساء رؤوسهن.

ثم صرنا جزءًا من كنيسة (أو حركة كنسية) في منطقة ألغوي، نشأت من عمل لله في ثمانينيات القرن العشرين. وهناك كان مسموحًا للنساء في بعض الكنائس أن يصلّين بصوت مسموع، أو أن يقدّمن شهادة حياة، أو أن يقترحن ترنيمة. وبسبب ماضيّ كنت أجد صعوبة في ذلك، لأن 1 كورنثوس 14 يأمر النساء بالصمت.

وبعد بضع سنوات واجهت هذا السؤال من جديد، وفحصت الكتاب المقدس فحصًا مكثّفًا. واتّضح لي فعلًا أن هذه الممارسة، أي أن تصلّي النساء بصوت مسموع ويقدّمن الشهادة ويقترحن الترانيم، كتابية تمامًا. وستجدون أسبابي في الفصول التالية.

لقد صرت أرى مشاركتهن إيجابية أكثر فأكثر. وقد يعترض أحدهم بأن دراستي للكتاب المقدس كانت إذن متأثّرة مسبقًا بهذا الموقف الإيجابي في هذا الاتجاه. ربما كان الأمر كذلك من غير وعي. أما عن وعي فلم يكن كذلك. وسأبيّن لماذا تغيّرت قناعتي بالضبط.

وفي هذه الكنيسة كان الوضع أن النساء لا يعظن، ولا يجوز لهن أن يكنّ شمّاسات ولا شيخات. وهكذا كان الأمر، ولا يزال، في الكنائس الصديقة أيضًا. بل في بعضها تصمت الأخوات، وهذا يُفسَّر بتأثير جماعات الإخوة المنفتحة في ألمانيا وتيار كنسي في منطقة سالزبورغ، أو بقربها منهما.

قبل بضع سنوات تركت هذه الكنيسة. لأسباب لا تضيف شيئًا إلى الموضوع هنا. وقادني ذلك إلى خبرة مرّ بها آخرون أيضًا. فالبُعد المكاني والزمني يفتح لي نظرة جديدة تحليلية إلى ما كان المرء جزءًا منه سنين كثيرة. كنت هناك شيخًا سبع سنوات، وكانت لي أنا نفسي هذه النظرة إلى دور المرأة، ودافعت عنها وطبّقتها. لكن البُعد أتاح لي أن أعيد التفكير في هذا السؤال. ومن غير هذا الضغط الخارجي من الجماعة وصلت مع الوقت إلى إدراكات أخرى. وربما ما كان ذلك ممكنًا من دون هذا البُعد.

إن عملية تغيير الرأي هذه، التي لا أخفيها عن القارئ، يمكن أن يُتعمَّد تفسيرها تفسيرًا سلبيًا: انحدارًا، ارتدادًا، انسياقًا وراء العالم. إنني أعرف أنماط التفكير هذه والأحكام على الدوافع، بأبعاد تكاد تكون «نبوية»، منذ شبابي. إنها قوية ومتجذّرة بعمق. ويكاد المرء لا يتحرّر منها. وقد كنت أنا نفسي جزءًا فاعلًا منها.

هذا هو وضعي وماضيّ الكنسي. يمنح الكتاب المقدس حرية كبيرة في الحياة الكنسية. فشكل الاجتماع ليس مفروضًا. ولا يوجد طريق واحد صحيح وحيد. حتى وإن كان هناك مسيحيون يؤمنون بذلك. فشكل العبادة، وأشكالها كثيرة، حرّا! ودور النساء فيها هو موضوع هذا الكتاب.

وما زال ينقص أهمّ ما يتعلّق بشخصي. أو بالأحرى، أهمّ شخص في حياتي. زوجتي كريستينه (Christine). من أجلها تركت أبي وأمّي، لكي أشاركها الحياة. لدينا خمسة أولاد بالغين. زوجتي شخصية قوية. أمّ لبؤة تعرف كيف تقاتل. امرأة حكيمة. أنا شاكر

لأجلها فوق كل شيء، كما أن كثيرين من إخوتي في الرب شاكرون أيضًا لأجل زوجاتهم. إنها جزء من رحلتي الشخصية في المعرفة في مسائل الجنسين. ومن دونها ما كنت حيث أقف اليوم. أنا متعلّم وأبقى متعلّمًا، وأيضًا مُخطئًا.

لقد نشأنا كلانا في بلد حرّ وديمقراطي. مع قانون المساواة في الحقوق بين الرجل والمرأة، وإن كانت النساء حتى اليوم يُغبن. أتكلّم عن ألمانيا وعن المحيط الثقافي الغربي. لم نختبر حربًا بعد. ولا مجاعة. ونختبر هذه السنة أول جائحة في جيلنا. ولأول مرة يهتزّ الشعور بأمان أبدي لا يُمسّ وبنموّ دائم.

هذه الخبرات الحياتية الإيجابية للغاية حتى الآن تشكّل تفكيرنا ونظرتنا إلى المحيطات الثقافية الأخرى. وأنا أعتبر المساواة في الحقوق إنجازًا مباركًا للديمقراطية الحديثة. على غرار إلغاء العبودية، التي لا تتّفق أبدًا مع مشيئة الله.

أذكر ذلك لأن تنشئتنا الاجتماعية تحدّدت بتفكير حركة الإخوة (الحصرية). ففيها كان الرجل والمرأة، ولا يزالان، يُعتبران متساويين في القيمة، لكن المرأة مستبعدة من المشاركة في العبادة الكنسية. المرأة خاضعة. إنها معين الرجل (Gehilfin). والرجل هو الرأس، وله القيادة في الزواج. وهكذا يظنّ المرء أنه يطيع كلمة الله. أمينًا للكتاب المقدس.

يمكن للمرء أن يحمل هذه القناعة. لكن من المشروع أن نسأل إلى أيّ حدّ يطابق ذلك واقع الحياة اليوم، بل هل يمكن أن يطابقه أصلًا. كيف كان زواجي، وكيف اختبرت زيجات الوالدين والأجداد، واليوم زيجات الأصدقاء والمعارف، الذين يحاولون عن قناعة أن يعيشوا اختلاف الرتبة أو السلطة بين الجنسين؟

مع أنني في السنوات الأولى من زواجنا قرّرت أمورًا كثيرة بنفسي ومن غير تشاور مع زوجتي، فإنني اليوم لا أكاد أفعل ذلك أبدًا. لقد كنّا دائمًا في أفضل حال حين قرّرنا وتصرّفنا بوصفنا فريقًا. فالاحترام والمحبة ليسا طريقًا باتجاه واحد. التبادل المتبادل والعيش معًا، والكلام والإصغاء على قدم المساواة، هذا هو الوضع المثالي. فلكل واحد مراحل قوة ومراحل ضعف. أن يكمّل أحدنا الآخر، كلما كان ذلك ضروريًا، وهو على أيّ حال أمر طبيعي. ليس الرجل دائمًا من يتقدّم. قد تكون المرأة أيضًا. بالتناوب. بالتكامل. بالتنسيق. بانفتاح. بقابلية للتصحيح. بإصغاء. بالصلاة معًا. هذا ما أختبره واقعًا حياتيًا. وكل ما سواه سيكون تراجعًا. لا أريد، ولن أعيش، زواجًا كما في الشرق

القديم، في زمن إبراهيم أو داود. ولا كما في زمن يسوع، ولا كما في زمن الإصلاح. ولا كما عاش أجدادي. وأنا شاكر، في هذا الشأن، لأنني أعيش في القرن الحادي والعشرين.

والآن ألاحظ أن الذين يظنّون أنهم يعيشون مسألة الرجل والمرأة بأمانة للكتاب المقدس لا يكادون يعيشونها عمليًا بطريقة مختلفة عنّا. فزواجهم أيضًا يتّسم بالمساواة في الحقوق، لا بالأحادية، بل بالاثنينية في الوحدة. أعني بذلك أنني، باستثناء حالات قليلة، لا أرى في أيّ مكان زيجات مسيحية كما يصفها بولس وبطرس (وسنتناول هذه النصوص بالتفصيل). بل على العكس، هؤلاء الزوجات يسرن مع أزواجهن على قدم المساواة. إنهم في الغالب فريق. والاتهام المعمَّم بأن النساء يردن التلاعب بأزواجهن أو التحكّم فيهم ظالم. حتى وإن كان ذلك موجودًا. فالخطيئة تبقى بؤرة حريق صغيرة أو كبيرة في كل زواج. لكن مع حُسن العشرة تُطفأ في الغالب.

حين أتبنّى في هذا الكتاب الموقف الذي ذكرته للتوّ من الزواج، ودورًا آخر للمرأة في الكنيسة، وأعلّلهما، فسيثير ذلك لدى بعضهم عدم الفهم والرفض والفزع والذعر. فالدفاع عن قناعة المرء يكلّف دائمًا شيئًا. ولا سيّما حين يحتجّ المرء ضدّ موقف كنيسته أو أصدقائه. وأنا أفعل ذلك باحترام للمواقف القديمة المحافظة. مع أنني أراها خاطئة. فهي تُخمد روح الله وتقاومه. وأتمنّى لكل قارئ أن يقرأ حتى نهاية الكتاب وأن يصبر. ويسرّني أن أتحاور في مضمون كتابي حين يكون قد قُرئ كاملًا.

ويسرّني أن يكتب إليّ من يشاء، ما دامت الحجج موضوعية وخالية من الاتهامات. فأنا أعرف هذا المجال، الذي تجري فيه الأمور، ولا سيّما في هذه المسائل، بحدّة ومن غير موضوعية في كثير من الأحيان، وأحيانًا بطريقة شخصية وجارحة.

ليفحص كل واحد نفسه أمام الله، وليدرك أن معرفتنا تأتي جزءًا بعد جزء وخطوة بعد خطوة، وأنها متأثّرة بقوة ببيئتنا وزمانها.

منذ شبابي نُصحت بأن أقرأ الكتاب المقدس. يوميًا. وأن أدرسه. وقد فعلت ذلك. وأنا شاكر للأساس الكتابي الجيد الذي نقلته إليّ «الجماعة» (Versammlung). هذا الكتاب ليس اتهامًا لماضيّ ولا تصفية حساب معه، إن أراد أحد أن يفسّره هكذا. على أيّ حال، صارت دراسة الكتاب المقدس منذ مطلع شبابي هوايتي وأكثر من ذلك. ولا تزال كذلك حتى اليوم. آنذاك أردت أن أصير أيضًا معلّمًا مرموقًا للكتاب المقدس مثل قدواتي، الذين ما زال بعضهم على قيد الحياة اليوم. وهذا الدافع لم يعد موجودًا منذ

زمن طويل. فإن درس المرء الكتاب المقدس بهذا القدر وبهذا العمق، فما الإدراكات التي نظنّ أنها ستخرج من ذلك؟ دائمًا ودائمًا الشيء نفسه؟

أحيانًا يكون الأمر في دراسة الكتاب المقدس كما هو مع إسرائيل، الذي على عينيه برقع (2 كورنثوس 3: 15). فكثيرًا ما نرى دائمًا الشيء نفسه، رغم حضور الروح القدس. لكن من يدرس الكتاب المقدس مرة بعد مرة لا ينبغي أن يتفاجأ إن أراه هذا الروح فجأة شيئًا جديدًا (متى 13: 52)، حتى بعد ما يقارب 2000 سنة. أليست كلمة الله لا تنضب؟ وذلك أيضًا بمساعدة اللاهوتيين وعلم الكتاب المقدس. وبمساعدة مدارس الكتاب المقدس والمعاهد اللاهوتية التي تدرس الكتاب المقدس أيضًا. فإن ظهرت في مجموعة المواضيع هذه، أي الرجل والمرأة في الكنيسة وفي الزواج وفي ملكوت الله، إدراكات جديدة أو مختلفة عن تلك التي اعتُقد طوال قرون أنها وحدها الصحيحة، فلا ينبغي رفضها فورًا لهذا السبب. هذا الموضوع ليس حاسمًا للخلاص، ولا ينبغي أن نتصرّف كأنه كذلك! إنه ببساطة ليس محكًّا للأمانة للكتاب المقدس.

أعرف من الخبرة ماذا يعني أن يضطرّ المرء إلى مساءلة حقائق أحبّها على مدى عقود، لأن معطيات الكتاب المقدس ليست في الحقيقة واضحة وجليّة كما ظنّ المرء دائمًا أو كما عُلِّم. إن عمليات إعادة التفكير مؤلمة، وتُحدث فينا شيئًا. إنها تُظهر كم نحن قابلون للخطأ، عاجزون، ومعتمدون ببساطة على الله. إليه نستطيع أن نشكو، وأن نحمل إليه جهلنا وأسئلتنا، بل وشكوكنا أيضًا. وكذلك «عمانا المهني» الذي تسلّل من غير أن نلاحظه، حيث لا يكون المرء في بيته إلا في وسطه الكنسي الخاص، ويرى عالمه الخاص العالمَ الوحيد المشروع أو الأمين للكتاب المقدس.

لبضع سنوات كنت مشاركًا في منتدى لليونانية الكتابية. ونوقشت فيه أمور كثيرة نقاشًا بنّاءً. ونوقش فيه أيضًا موضوع هذا الكتاب. وقد جمعت آنذاك الكثير، وقرأته الآن من جديد. ومن مسافة بضع سنوات يلفت نظري أن الحجج نادرًا ما كانت، أو لم تكن أبدًا، مفتوحة النتائج. فمهما كانت الكفاءة اللغوية عالية، كان القرار المسبق والتأثّر بموقف ما هو الحاسم في الحجج المؤيّدة أو المعارضة. وفي هذه الحالة: هل يجوز للنساء أصلًا أن يقلن شيئًا في العبادة، وهل ينبغي أن يغطّين رؤوسهن اليوم، فضلًا عن التعليم أو القيادة. هل يمكن فعلًا إثبات كل شيء أو دحضه بالكتاب المقدس؟

لم أنوِ قطّ أن أكتب عن هذا الموضوع. فهو موضع خلاف وصراع. منطقة مزروعة بالألغام. لا يمكن أن يحصد المرء هنا أكاليل الغار. وكان في وسعي أن أصرف وقتي بكل سرور في أمور أخرى لملكوت الله. لكنني عرفت أنني مدعوّ شخصيًا إلى فعل

ذلك. سيتّهمني بعضهم بأنني أتكيّف مع روح العصر. ولا أستطيع أن أفعل شيئًا حيال ذلك. لا أدافع عن موقف تحرّري يناضل العالم من أجله. أريد أن يكون طريقي ما يعلّمني إياه الكتاب المقدس.

كلمتك تضيء لي حيث أسير؛ إنها نور على طريقي.

مملوء عجائب ما تشهد به في كلمتك، لذلك أتمسّك به من كل قلبي.

المزمور 119: 105؛ 129 (Neue Genfer Übersetzung NGÜ – ترجمة ألمانية للكتاب المقدس)

2 الخلق والسقوط

لكي يفهم المرء أمرًا فهمًا جيدًا، ينبغي أن يفحص أصله. فكل كتاب مسيحي تقريبًا يتناول هذا الموضوع يبدأ بتاريخ البدايات. وحين أراد الفرّيسيون أن يوقعوا يسوع في الفخّ في موضوع الطلاق، وضع هذه المسألة في ضوء قصة الخلق (متى 19: 3-9). فالحاسم عنده هو كيف كان الأمر في البدء. وما الذي رسمته خطة الله الصالحة للبشرية. وما قاله في مسألة الطلاق كان، بالمناسبة، لحماية النساء، اللواتي كنّ إلى حدّ ما تحت رحمة أهواء أزواجهن في مسألة التطليق.

في هذا الكتاب أحاول أن أتّبع زاوية النظر هذه عند يسوع باستمرار. أقضي وقتًا في جنّة الفردوس، وسأتأمّل بعمق ما حدث. ما خُلق وكيف خُلق. وما قيل. فحين يتعلّق الأمر بالعلاقة بين المرأة والرجل، فإن الأصحاحات الثلاثة الأولى من الكتاب المقدس حاسمة. إن كانت البداية – قبل السقوط – تصف الحالة المثالية، فإن كل تفصيل له وزنه. لكن، لأعترف، إنه نصّ محدود الطول. فقصة الخلق فريدة وعميقة. لكنها قصيرة. وهي بلغة لم يعد أحد يتكلّمها اليوم. والأسئلة التي طرحها الناس في الشرق القديم حين يتعلّق الأمر بالأصول تختلف عن الأسئلة التي نطرحها نحن. وأمور كثيرة تبقى مفتوحة.

لذلك ينبغي التعامل بحذر مع الاستنتاجات العامة أو الخلاصات الملزمة. وعلى أيّ حال لا يجوز أن يُحمَّل الوصف القصير نسبيًا لخلق أول زوجين من البشر بالاستنتاجات فوق طاقته.

2.1 كيف بدأ كل شيء

في كتب كثيرة عن هذا الموضوع يمكن أن نتتبّع دائمًا تقريبًا أن الطريقة التي يفسّر بها المرء تاريخ البدايات هذا هي نفسها الطريقة التي يفسّر بها كل النصوص المعنيّة في العهد الجديد. فالنظرة إلى تاريخ البدايات تحدّد مسار الموقف الذي يتبنّاه المرء في هذا الموضوع. وبحسب نمط التفسير تنشأ مواقف متضادّة يناقض بعضها بعضًا. وهي، بوجه عام، موقفان:

المساواة في المرتبة بين الرجل والمرأة من غير فرق هرمي (وتُسمّى في العالم الناطق بالإنجليزية المساواتية).

الدور القيادي للرجل وخضوع المرأة بسبب فرق هرمي (التكاملية).

كلا الموقفين يتبنّى عن اقتناع التساوي في القيمة والاختلاف، لكن لكلٍّ منهما فهم مختلف لأدوار الجنسين وللتراتبية بينهما. وفي الفصل 12 («الفرق») تجدون عرضًا تخطيطيًا للموقفين كليهما.

أرى أن المصطلحات المستعملة في العالم الناطق بالإنجليزية غير موفّقة في العالم الناطق بالألمانية. فـ«تكاملي» يعني: مُكمِّلٌ للآخر. وهذا يصحّ أيضًا مع اختلاف الرتبة. غير أن التكامل المتبادل يتبنّاه الموقفان كلاهما. لكنّ أحدهما يقول به مع فرق هرمي، والآخر من غير فرق هرمي.

أبدأ بنظرة فضولية إلى أحداث مضت عليها آلاف كثيرة من السنين. ولأن التدوين والحدث يعودان إلى زمن بعيد جدًا، فإن النظرة إلى هذه الروايات ليست خارج الزمن، ولا في فضاء خالٍ من التفسير. لقد كُتبت رواية الخلق في وضع تاريخي، أي في بيئة الشرق القديم. هذا النصّ لم يُكتب إلينا نحن في القرن الحادي والعشرين. وكأننا نحن في القرن الحادي والعشرين أول من وُجّه إليهم. لكن هذه النصوص كُتبت من أجلنا. وهذا فرق لا يجوز أن ننساه.

يشير بولس الرسول في رسائله بضع مرات إلى خلق الرجل والمرأة. لكنني لن أستعين بهذه الإشارات وسيلةً للفهم، لأن بولس في هذه النصوص لا يفسّر خلق الرجل والمرأة ولا يشرحه، بل يطبّقه على أوضاع خاصة. وهذا فرق كبير. فلتتكلّم قصة الخلق أولًا عن نفسها. وسأتناول لاحقًا بالتفصيل نصوص بولس وتفسيره. أما الآن فأرسم أولًا صورة من رواية الأصحاحين الأولين من سفر التكوين. قبل السقوط. قبل أن تقع على دور الجنسين تأثيرات ثقافية سلبية مشوّهة. أي تمامًا كما يفعل يسوع حين يتكلّم عن البدء.

2.1.1 عمل اليوم السادس

لا يُخلق الإنسان إلا في اليوم الأخير من رواية الخلق. فتصير الأرض بيته، مع حيوانات البرّ. وهذا هو وصف اليوم السادس، بعد خلق حيوانات البرّ:

[التكوين 1: 26-31، مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية] وقال الله: لنصنع الإنسان على صورتنا، كشبهنا؛ وليتسلّطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى كل الدبّابات التي تدبّ على الأرض!

فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه؛ ذكرًا وأنثى خلقهم.

وباركهم الله وقال لهم الله: أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها؛ وتسلّطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدبّ على الأرض!

وقال الله: ها أنا قد أعطيتكم كل بقل يُبزر بزرًا على وجه كل الأرض، وكل شجر فيه ثمر شجر يُبزر بزرًا: لكم يكون طعامًا؛ ولكل حيوان الأرض ولكل طير السماء ولكل ما يدبّ على الأرض، مما فيه نفس حيّة، أعطيت كل عشب أخضر طعامًا. وكان كذلك. ورأى الله كل ما عمله، فإذا هو حسن جدًا. وكان مساء وكان صباح: اليوم السادس.

في فحص هذا النصّ وكل النصوص التالية، لا يتعلّق الأمر بتفسير عام أو بشرح شامل. بل ينصبّ التركيز على الثنائية بين المرأة والرجل في علاقتهما أحدهما بالآخر وبخالقهما. ما الضوء الذي يمكن أن تلقيه هذه النصوص على موضوع هذا الكتاب؟ وكيف فُسّرت وطُبّقت؟

يمكن أن يُكتب ويُذكر ويُقتبس الكثير. لكنني أوجز في إطار هذا الكتاب، وأحاول أن أصف الصورة الكبيرة.

2.1.2 الإنسان: صورة الله – Imago Dei

الإنسان، والكلمة العبرية هي آدم (adam، أي الترابيّ)، يُرفع فوق كل المخلوقات الأخرى. وربما يصيب التعبير الدارج «تاج الخليقة». ومن الواضح أن الإنسان استثنائي بالنسبة إلى كل ما سواه. فبوصفه صورة الله، وشبيهًا به، يصير كأنه نائبه في الفضاء المخلوق المنظور. وعلى الأرض تُسلَّم إليه السيادة نيابةً عن الله.[3] فيصير ممثّلًا لخالقه. وفي هذا «التجهيز» بوصفه صورة الله، شبيهًا به (لا مساويًا له)، هو أيضًا، على خلاف الحيوانات، مَن يستطيع أن يتكلّم مع الله. نظيرٌ يتواصل معه الخالق وتكون له معه شركة.

3. الله جادّ في تسليم السيادة إلى الإنسان. مع كل العواقب الممكنة التي يمكن أن تنشأ للإنسان من هذا التفويض ومن هذه الحرية. الجيدة منها والسيئة. والله يحترم هذه المهمّة، ولن يتدخّل باستمرار ليصحّح.

ولكي يكون الإنسان كذلك، شبيهًا بالله، جُهِّز تجهيزًا «ملكيًا»، ووُهب قدرات وإمكانات يملكها الله أيضًا. ولأن الله ليس مادّة بل روح، يصير كثير منه منظورًا على الأرض في الإنسان.

في الشرق القديم كان الملوك والحكّام ينصبون تماثيلهم في المناطق المهزومة، ليُظهروا ادّعاءهم السيادة عليها. صورةٌ من غير أن يكون صاحبها حاضرًا بجسده.

لذلك فإن قصة الخلق فريدة في بيئتها الثقافية التي نشأت فيها، لأنها تجعل كل إنسان، المرأة والرجل، بل حتى العبيد، ملوكًا وحكّامًا. كل إنسان بمفرده هو صورة الله. وينال بذلك كرامة وقيمة وحماية. هذه هي صورة الإنسان في الكتاب المقدس. إنها الأساس الذي يُبنى عليه كل ما سواه مما يُكوّن، أو ينبغي أن يُكوّن، معنى الإنسانية والعيش المشترك.

كل رجل وكل امرأة يحملان الكرامة التي لا تُشبهها كرامة، كرامة الخلق على صورة الله. أن يكون المرء إنسانًا، رجلًا أو امرأة، يعني أن يكون صورة الله.

2.1.3 الإنسان ذكرًا وأنثى

دور حامل صورة الله يخصّ الإنسان، سواء أكان ذكرًا أم أنثى. فهذا مقصود، ولا يمكن أن يكون غير ذلك: لا بدّ من الجنسين كليهما لكي يُمثَّل الله وتُتمَّم مهمّة الخلق. لا أحد يستطيع في النهاية أن يكون وحده صورة الله على نحو كامل.

لا يعلّق الله نفسه على الفرق بين الجنسين. فهما يُذكران كلاهما في نفَس واحد، من غير أيّ فرق في القدرات والقيمة والأهمية والدور والمكانة. وبكلمة واحدة: الإنسان. وهذا أيضًا كان فريدًا في ذلك الزمن. فالمرأة تقف هنا إلى جانب الرجل مساويةً له في المرتبة. ولم يكن هذا هو المألوف في ثقافات الشرق القديم.

ليس السؤال هنا هل يختلف الجنسان في تكوينهما أو وظيفتهما أو دورهما. ففي الصفحة الأولى من الكتاب المقدس، حيث يوضع الأساس لكل شيء، يدور الكلام أولًا عن المساواة. هذا هو مدخل الكتاب المقدس إلى موضوع المرأة والرجل. هذا هو أهمّ تحديد للمسار، وهو المقدّمة والافتراض الأساسي للكتاب المقدس نفسه، الذي يُشرح في ضوئه كل ما يقوله بعد ذلك ويتوجّه بحسبه. وربما علينا نحن أن نصحّح أنفسنا. وفي هذا الضوء، لا العكس، يجب أن يُفسَّر بولس أيضًا. وسأتكلّم عن ذلك لاحقًا.

2.1.4 الإنسان ومهمة الله

يبارك الله البشر، ويؤهّلهم بذلك لتنفيذ مهمّتهم بوصفهم نوّابًا عن الله. وهي من جهة السيادة على الأرض والحيوانات. ومن جهة أخرى الأمر بأن يثمروا ويكثروا، لكي يعمّروا الأرض، الكرة الأرضية كلها، ويمتلكوها، ويحكموها برعاية، ويستثمروها برفق. وبكلمات أخرى: أن يمدّوا الفردوس على الأرض كلها. ولا نعرف بالضبط في أيّ حالة كانت الطبيعة حين أُعطيت هذه المهمّة.

إنها مهمّة حضارية. وتُسمّى أيضًا التفويض الثقافي. إنها ممارسة كل القدرات التي وهبها الله في استثمار كل موارد الأرض التي وهبها الله، كما خلقها الله. وبيئة الحياة في هذا النصّ هي الفلاحة والزراعة وتربية المواشي. لكن التطوّر الممتدّ آلاف السنين حتى اليوم يُظهر كم هي متعدّدة الجوانب الأرض ومواردها من جهة، وقدرات الإنسان ومواهبه من جهة أخرى. إنها إمكانات وضعها الله نفسه.

لا يتعلّق الأمر بكيفية تنفيذ المهمّة. إنها مهمّة قبل السقوط.[4] ولم تتغيّر بعد السقوط. فكما هي موصوفة هنا، تبقى سارية حتى اليوم، على الرجل والمرأة.

والتكاثر، كما يحدث أيضًا في عالم الحيوان، لا يمكن أن يتمّ إلا بالرجل والمرأة معًا. وعلى الجنسين كليهما أن يتعاملا معًا مع هذه الحقيقة ومع الجنسانية.

في هذه المهمّة الواسعة البالغة المسؤولية يتساوى الرجل والمرأة، وهما ندّان، يحتاج أحدهما إلى الآخر كما يحتاجان إلى بركة الله. من غير أيّ تراتبية، ومن غير أيّ سؤال عن السلطة أو تحديد لها، لمعرفة مَن صاحب القرار في مهمّة الحياة هذه.

الإنسان، الرجل والمرأة، يُوصفان بحقّ، في بيئة جنّة الفردوس ومع مهمّتهما، بأنهما ملوك-كهنة.[5] فمن جهة يسودان على الأرض بوصفهما ممثّلَين لله. ومن جهة أخرى هما أيضًا مَن يعيشان في حضرة الله، في جنّة الفردوس. وهذا الدور ينطبق على كليهما، على الرجل والمرأة، بالقدر نفسه.

هذا الجانب المهمّ، الذي لن نتعمّق فيه هنا، ينشأ من أوجه شبه متعدّدة بين الفردوس في عدن ورمزية الهيكل.[6]

4. (status integritatis – حالة السلامة قبل السقوط، في مقابل status corruptionis – حالة الفساد بعد السقوط)
5. Beale, Gregory K., 65 وما بعدها، Der Tempel aller Zeiten، 2011
6. بين الفردوس في التكوين 2 والهيكل علاقة مباشرة: المدخل الشرقي: كان مدخل جنّة الفردوس متّجهًا نحو

وفي ما يخصّ الرجل والمرأة في الكنيسة وفي اجتماعات العبادة، نجد هنا إشارة أولى، وإن كانت غير مباشرة، إلى أنهما هناك أيضًا فاعلان على قدم المساواة في المرتبة. فهنا يُلمَّح من قبلُ إلى الكهنوت العام.

2.1.5 خلق آدم وحواء

في التكوين 2 تتناول الرواية خلق الإنسان على نحو ملموس. فما يُروى في الأصحاح 1 على نحو عام في إطار عمل الأيام الستة الذي عمله الله إلوهيم (Elohim)، يتحوّل الآن إلى رواية معبّرة. وكأن أهمّ ما في الأصحاح 1 يُؤخذ ويُعمَّق. في الأصحاح 1 نجد رواية الخلق، وفي الأصحاح 2 رواية الفردوس. وجنّة عدن هي مكان الأحداث. واسم الله صار الآن يهوه إلوهيم (Jahwe Elohim). الإله الذي يجبل الإنسان بوصفه خالقًا، ويقترب منه، ويكون إلى جانبه.

> [التكوين 2: 4-9، مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية] هذه مبادئ السماوات والأرض حين خُلقت، يوم عمل الرب الإله الأرض والسماوات، وقبل أن يكون كل شجر البرّية في الأرض، وقبل أن ينبت كل عشب البرّية؛ لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض، ولم يكن إنسان ليعمل الأرض.
>
> لكن ضبابًا كان يطلع من الأرض ويسقي كل وجه الأرض. وجبل الرب الإله الإنسان ترابًا من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة؛ فصار الإنسان نفسًا حيّة.

تنقل الرواية خلق آدم من تراب الأرض. فمَن هو صورة الله يُخلق من الأرض. الأرض بيته، وستبقى بيته دائمًا. حتى في الخليقة الجديدة. وفي عملية الخلق الغريبة هذه يظهر قربه من الأرض كما يظهر فناؤه. فمن الطين يبني المرء في العادة بيوتًا، لا إنسانًا. لكن الله يفعل ذلك بهذه الطريقة الغريبة الغامضة. وبنسمة الله، بروح الله، يُحيا آدم فيصير نفسًا حيّة.

2.1.6 استطراد قصير عن الكلمات المفتاحية العبرية

للكلمات المفتاحية أهمية كبيرة في النصوص الكتابية العبرية. لكنها لا تنكشف إلا عند سماع النصّ العبري!

ومن سلاسل الكلمات المفتاحية هذه سلسلة تضمّ الكلمات آدم (الإنسان)، وأداما (التربة الزراعية)، ودام (الدم) – والجذر اللغوي في الثلاث هو «المادّة الحمراء». وفي هذه الألفاظ يتّضح ارتباط الإنسان المتعدّد بالأرض.

«أداما» هي الأرض. و«آدم» هو الترابيّ الذي نشأ منها. و«دام»، أي الدم، هو حامل الحياة (فدم الإنسان، الذي يُسفك حين يقتل قايين أخاه هابيل، يعود إلى الأرض – التكوين 4: 10 وما بعدها).

بل أكثر من ذلك: حبل سرّي ثلاثي يربطنا بأمّنا الأرض. منها أُخذنا، وإليها عودتنا، ومنها نتغذّى جميعًا. ... آدم وأداما مرتبطان في شركة مصير لا يقدر أحد منّا أن يفكّها. «آدم» يلقانا في الكتاب المقدس اسمَ علم للإنسان الأول. لكن «آدم» هو دائمًا (أيضًا) اسم الجنس «إنسان»، الذي يمكن أن يدلّ على جميع نسل آدم معًا، كما يمكن أن يدلّ على كل ابن من بني البشر فردًا. وفي الحالتين يشير «الترابيّ»، بوصفه خلاصة الارتباط بالأرض، إلى هشاشة طبيعتنا البشرية وفنائها. وفي عبرية النصوص النبوية في الكتاب المقدس، الاسم الجامع لكل ذي قدمين هو «ابن الإنسان» (حرفيًا: ابن آدم)، كما يسمّي يسوع نفسه أيضًا.[7]

> وغرس الرب الإله جنّة في عدن شرقًا، ووضع هناك الإنسان الذي جبله. وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهيّة للنظر وجيّدة للأكل؛ وشجرة الحياة في وسط الجنّة، وشجرة معرفة الخير والشرّ.
>
> [التكوين 2: 15] وأخذ الرب الإله الإنسان ووضعه في جنّة عدن ليعملها ويحفظها.

المهمّة التي وُصفت من قبلُ في الأصحاح 1 تصير هنا أكثر تحديدًا. ففلاحة الأرض، وزراعة نباتات الطعام والحبوب، هي هنا من بين ما يُقصد. أي الزراعة. وكذلك أيضًا، وبالأهمية نفسها، حفظ المكان الذي أعدّه الله للإنسان. فالحفظ جزء من مهمّة الخلق. وبناءً على ذلك، توجد حتى في الوضع الموصوف ميول وقوى سلبية ينبغي كبحها وصدّها. والحيّة مثال على ذلك.

هنا يتركّز النظر على آدم. قبل أن تُخلق حواء.

7. بحسب P. Lapide، War Eva an allem schuld? 1998، ص. 71 وما بعدها

2.1.7 آدم يحتاج إلى معونة

[التكوين 2: 18-20، مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية] وقال الرب الإله: ليس جيدًا أن يكون الإنسان وحده؛ أصنع له معينًا نظيره. وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرّية وكل طيور السماء، وأحضرها إلى الإنسان ليرى ماذا يدعوها؛ وكل ما دعا به الإنسان ذا نفس حيّة فهو اسمه. فدعا الإنسان بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرّية. لكن لآدم لم يجد معينًا نظيره.

في الأصحاح 1 يُذكر الأمر كأمر بديهي: الرجل والمرأة كلٌّ منهما بمفرده، وكذلك معًا، صورة الله. وهنا تُذكر العملية الخاصة التي نشأت بها الثنائية. ويصعب أن نتخيّل أن كل هذا حدث في اليوم السادس. ويمكن للمرء في تفكيره أن يتحرّر من بُعد زمني ضيّق لليوم السادس مدّته 24 ساعة.

تريد هذه الرواية أن توضّح أمورًا جوهرية. فما يفعله الله هنا ليس تجربة لنفسه، بل درس لآدم. ولنا. فتسمية حيوانات كثيرة تُظهر قرب جميع الكائنات الحيّة، من البشر إلى الحيوانات، بعضها من بعض، لكنها تُظهر أيضًا المكانة المتميّزة للإنسان تجاه الحيوان. هنا تتّضح فعلًا تراتبية.

إن كان كل شيء في اليوم السادس من الخلق حسنًا جدًا، فالآن شيء ما ليس جيدًا. كان آدم كائنًا اجتماعيًا، وكان بهذه الصفة وحده. والله، العارف بالإنسان، عرف ذلك قبل أن يشعر به آدم. وربما صار ذلك ملحوظًا من قبلُ في أمور مختلفة. هل رأى من قبلُ لدى الحيوانات أن هناك ذكرًا وأنثى، وأنه هو ينقصه النظير الأنثوي؟

بعد أن أعطى آدم أسماء، من بين أمور أخرى، للتيرانوصور ريكس ولنمر ذي أنياب سيفية وللنمل والنحل، بقي البحث عن شريك من غير نتيجة. لم يكن أيّ حيوان قادرًا على أن يكون هذا النظير، هذه القطعة الناقصة من الأحجية. لقد بحث الله عن معين لآدم، لكي يتمّم مهمّة الخلق. لم يكن كاملًا وحده. ولم يكن وحده قادرًا على أن يكون ما قصده الله. و«إعلان الوظيفة» يبحث عن شخص يكون خيرًا لآدم. رفيقَ روح. حليفًا. نظيرًا، تكملة. مقابلًا لكل جانب من جوانب وجوده: جسديًا، نفسيًا، روحيًا؛ ذهنيًا؛ ظاهرًا وباطنًا. وباختصار، هذا ما يُقصد بمعين نظيره.

لا يوصف آدم بأنه رأس ينقصه جسد / بدن. بل يوصف بأنه ترابيّ محتاج إلى المعونة. إنه لا يحتاج إلى تابع، ولا إلى مساعد، بل إلى شخصية مساوية له في القوة إلى جانبه.

معين يجعل العمل المشترك ممكنًا.

كثيرًا ما يتصرّف الرجل كمن يُنجز كل شيء وحده. كمن لا يطلب معونة. لكن الله ينظر أبعد. إنه يعرف ما يحتاج إليه الرجل لكي يتغلّب على تحدّيات الحياة.

وأقتبس، في ما يخصّ عبارة «معينًا نظيره»، عالم الآشوريات وأستاذ اللغات السامية ر. ديفيد فريدمان (R. David Freedman)[8]: «أعتقد أن الترجمة المألوفة لهاتين الكلمتين [أي ezer kenegdo أو 'معين'] خاطئة، على الرغم من قبولها شبه العامّ. فهذا ليس ما يُراد للكلمتين أن تنقلاه. بل ينبغي أن تُترجما بحيث تعنيان تقريبًا 'قوّةً أو طاقةً مساوية للإنسان'. أي إن الله، حين انتهى إلى أنه سيخلق مخلوقًا آخر لكي لا يكون الإنسان وحده، قرّر أن يخلق 'قوّة أو طاقة مساوية للإنسان'. شخصًا تعادل قوّته قوّة الإنسان. لم تكن المرأة مقدَّرة لأن تكون مجرّد معينة للرجل. بل كانت بالأحرى لتكون شريكته.»

«ثم يوجّه فريدمان اهتمامه إلى الكلمة التالية kenegdo، التي كثيرًا ما تُترجم بـ'مناسب' أو 'ملائم'. هذه الكلمة لا ترد إلا مرة واحدة في الكتاب المقدس، فليست لدينا مقارنة كتابية أخرى تساعدنا في الترجمة. لكن جذر هذه الكلمة في العبرية المشناوية اللاحقة يعني 'مساويًا'.»

ويختم فريدمان (ونحن نستبق الآية التالية): «حين يخلق الله حواء من جنب آدم، فإن قصده أن تكون – على خلاف الحيوانات – 'قوّة (أو طاقة) مساوية له'. وأعتقد أنه لا توجد إمكانية أخرى لفهم عبارة 'ezer kenegdo' يمكن الدفاع عنها من الناحية اللغوية. فالترجمة التقليدية تقوم على دلالة متأخّرة لكلمة ezer (معونة) لا يسوّغها السياق».

وحتى من غير هذه المعرفة اللغوية، تستطيع كل امرأة ويستطيع كل رجل أن يستنتج أن المرأة نظير مساوٍ في المرتبة. السمات هي المساواة في الجوهر، والاختلاف، والتكامل. لا التراتبية، ولا السلطة، ولا التبعية، ولا الخضوع.

فالمرأة إذن لم تُخلق لكي تخدم آدم، بل لكي تخدم مع آدم.

أن يكون المرء معينًا لأحد لا يؤسّس فرقًا هرميًا. فالله أيضًا معيننا! ومن الخطأ المهلك أن نستنتج أن المعين يؤسّس فرقًا هرميًا. يا لها من صورة سلبية، بل مأساوية، تُرسم

8. R. David Freedman, "Woman, a Power Equal to a Man: Translation of Woman as a 'Fit Helpmate' for Man Is Questioned," Biblical Archaeology Review 9, 1 (1983): 56.

بذلك للمرأة، ويا لها من عواقب بعيدة المدى ترتبط بذلك. لا يتعلّق الأمر بأن يتمّم آدم مهمّة الخلق، بل بأن يتمّم الاثنان مهمّتهما المشتركة (1: 28).

حين يعين الزوج زوجته، وهذا أيضًا ينبغي أن يحدث، فلا تنقلب التراتبية. فالمعونة لا علاقة لها بالتراتبية، لا في الكتاب المقدس ولا في الحياة اليومية.

«الفكرة في التكوين 2: 18، 20 هي أن المرأة مصدر قوّة الرجل أو طاقته، وهي تخدمه بوصفها صديقًا وحليفًا. الخضوع ليس من قصد النصّ.»[9]

2.1.8 خلق حواء

[التكوين 2: 21-22] فأوقع الرب الإله سُباتًا عميقًا على الإنسان فنام. فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحمًا؛ وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من الإنسان امرأة، وأحضرها إلى الإنسان.

تروي هذه القصة عملية غامضة يصعب علينا تصوّرها. فما يوصف هنا بالضبط، في كلمات قليلة، لم يستطع أن يراه إلا الملائكة. وقد تعجّب هؤلاء المراقبون القدّيسون، كما كنّا سنتعجّب نحن. فمن جنبه تنشأ حواء. وكأنها تولد من آدم. لم تُخلق من التراب. فلا حاجة إلى آدم ثانٍ، بل إلى إنسان يقابل آدم تمامًا وكليًا. ولو خُلقت حواء أولًا، لاحتاجت هي أيضًا إلى معين. فلا الذكر ولا الأنثى مقصود في الخلق أن يكون وحده.

ولا يمكن أن نقرأ في هذا النصّ أيضًا أكثر مما فيه. فلا معنى كبيرًا للتفكير في المادّة الوراثية ونخاع العظم أو الكروموسومات. إنها عملية عميقة، جسدية وروحية، كانت في نظر الله الطريق الوحيد لإيجاد النظير والمعين لآدم.

وأن فهم الكلمات وترجمتها لا يكفيان دائمًا وحدهما لفهم نصّ من العصور القديمة، فهذا ما يوضّحه على سبيل المثال هذا الشرح:

«حين نقرأ أن آدم أُدخل في نوم عميق وأن حواء 'صُنعت'، نفكّر تلقائيًا أن آدم يُنقل إلى غرفة العمليات لإجراء عملية جراحية. لكن الشرقيّ القديم ما كان ليفكّر هكذا. فالكلمة العبرية لـ'النوم العميق' تُستعمل في العهد القديم كله للدلالة على خبرة رؤيوية. وهكذا كان القارئ الإسرائيلي سيفهمها. لذلك أعتقد أن هذا النوم العميق كان لآدم رؤيا، لا عملية جراحية. وبكلمات أخرى، إنه يرى شيئًا، ثم يرى من حواء أكثر فأكثر.»[10]

9. WKG-Studienpapier، سبتمبر/أيلول 2003
10. John Walton, Interview by Kevin P. Emmert/ March 19, 2015

2.1.9 من الضلع

أعترف أن هذا الوصف يبدو لي غريبًا. بل أسطوريًا. وكما ذكرت، كان مفهومًا أكثر لعالم التفكير في ذلك الزمن منه لنا. ولا معنى كبيرًا للنظر إلى هذه العملية بنظّارة العلوم الطبيعية أو الطبّ أو الأحياء أو التشريح. لكنها عميقة وأساسية إلى حدّ أن أمورًا أخرى ينبغي أن تظهر منها إلى النور.

فكلاهما إذن من المادّة نفسها. متقاربان في الجوهر. ليس كلٌّ منهما خليقة منفصلة فردية، بل تعبير منفصل عن الخليقة نفسها.

إنه لأمر غريب أن يضع المترجمون هنا كلمة «ضلع». ففي العهد القديم كله لا تُترجم هذه الكلمة هكذا في أيّ موضع آخر. ولا يوجد هنا أيضًا سبب لذلك.[11] بل تُترجم في الغالب بوصفها جزءًا معماريًا: لوحًا، جناحًا جانبيًا من البناء، كسوة خشبية، مصراع باب، وجانبًا. والأمر يتعلّق دائمًا بالبناء. وما يجمع هذه الألفاظ هو «الجانب».

تُبنى حواء من الجنب (zela). لقد صُنع آدم كأنه من الطين على يد خزّاف، والآن تُبنى حواء من الجنب (أو من جزء جانبي في البناء). والمسألة هنا مسألة صورة بيانية، لا مسألة تشريحية.

للرجل 24 ضلعًا، ويمكنه أن يستغني عن واحدة منها بسهولة. لكن ليس له إلا جنبان (انظر مصراعي الباب في هيكل سليمان، وهي الكلمة نفسها، 1 الملوك 6: 34). النصف الأيسر والنصف الأيمن من الجسد. وهنا يستمرّ زوج المفهومين «ذكر-أنثى» من 1: 27. فالمرأة ليست من عظمة، بل من نصف الرجل. «لقد أُخذت من جنب الرجل، لكي يسير الإنسانان جنبًا إلى جنب في الحياة، ويجد كلٌّ منهما في الآخر ’نصفه الأفضل‘.»[12]

ويكتب بنحاس لابيده (Pinchas Lapide) في ذلك: «الكلمة العبرية المستعملة هنا نادرًا ما يمكن أن تعني ضلعًا، وتُترجم عادةً بالخاصرة أو الجنب. ... فلا عجب إذن أن هذه الترجمة الخاطئة، ’الضلع‘، كان لا بدّ أن تؤدّي حتمًا إلى استخفاف بالمرأة في العالم المسيحي.»[13]

11. Bielefeldt، 43، Die Sache mit der Rippe, Die himmlische Idee von den Geschlechtern، Asslar، 2007
12. Bielefeldt، 45
13. Lapide، 161، Lapide, Pinchas، Ist die Bibel richtig übersetzt? Gütersloh، 2004

وبصياغة معدّلة تُقرأ الآية هكذا:

> وامتدّت يد الله، الرب، إلى جنب آدم (أو: أخذ أحد نصفَي جسد آدم)، وملأ المكان من جديد. ثم أخذ الجزء الجانبي وبنى منه امرأة.

فيصيران إنسانين يفهم أحدهما الآخر وينجذب إليه. ويصيران جسدًا واحدًا، وكأن الانفصال يُلغى. هذا هو سرّ الزواج، سرّ عهد الأمانة والمحبة بين الرجل والمرأة.

وكون المرأة تُبنى من نصف الرجل يلمّح ربما إلى ما سيتحقّق في خصوبة التكاثر: انقسام الخلية الجرثومية. فالخلايا تنقسم نصفين، وكل منها خلية كاملة. فلا المرأة من دون الرجل، ولا الرجل من دون المرأة.

هل يهمّ كيف تُترجم الكلمة؟ بالتأكيد. فالضلع يُثير لدى النساء شيئًا يجعلهن يشعرن بأنهن مجرّد مُلحَق. فبماذا كنّا نحن الرجال سنشعر لو بُنينا من «ضلع»؟

2.1.10 «امرأة» لأنها من «امرء» (Männin)

> فقال الإنسان: هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي؛ هذه تُدعى امرأة (Männin، ischah)، لأنها من امرء (isch) أُخذت.

يبتهج آدم ويتحمّس. نسمع كلمات شعرية. يا لها من لحظة مقدّسة. أمامه تقف أجمل امرأة في العالم. عريانة ومن غير خجل. كهديّة. يرى على الفور أنها لا تأتي من عالم الحيوان. فقد انشغل به انشغالًا مكثّفًا. أما هذا الآن فشيء مختلف تمامًا. إنها هي التي كانت تنقصه. المساوية له. من النوع نفسه. مثله، لكنها هي. «امرأة» من «امرء». يقول آدم: أخيرًا واحد مثلي!

هل علم آدم بتدخّل الله، حتى إنه يعرف أنها خرجت منه؟ إنها ليست غريبة عنه، وعلى الفور يقترب أحدهما من الآخر. ليس في الجنّة إلا هما الاثنان. والحيوانات.

> لذلك يترك الرجل أباه وأمّه ويلتصق بامرأته، ويكونان جسدًا واحدًا.
>
> وكانا كلاهما عريانين، الإنسان وامرأته، وهما لا يخجلان.

حواء، «المرأة»، ستكون في المستقبل جذّابة للرجل إلى حدّ أنه سيترك كل شيء من أجلها، لكي يكون معها. وبذلك تُذكر كرامة المرأة مرة أخرى على نحو خاص. فهي التي تُشتهى. ولا يوصف الأمر بالعكس.

أن يصيرا جسدًا واحدًا يدلّ على أنه لا يمكن أن تكون هناك وحدة ومساواة أكثر من ذلك.

ينبغي أن يُنظر إلى هذه الكلمات تاريخيًا أيضًا. فلا بدّ أن يكون للرجل استقلال ليستطيع أن يعيش من دون والديه، لكي يؤسّس عائلة جديدة.

وهنا تُرى المرأة تاريخيًا على أنها، على خلاف زوجها، تبقى مرتبطة ارتباطًا واضحًا ببيت أهلها، فتنال بذلك قدرًا من الحماية. إنها لا تتركه كما يتركه الرجل. ففي أمان بيت الأهل أو بالقرب منه، في نطاق العائلة الكبيرة، تنال هكذا حماية من زوج قد يكون عنيفًا أو مخادعًا. فالمرأة تجد العون حين تسكن قرب الوالدين أو في بيتهما.

ومع ذلك يكوّن الاثنان وحدة جديدة، مستقلّة وقائمة بذاتها إلى حدّ بعيد. وأن يكونا جسدًا واحدًا يدلّ على تتميم مهمّة الإثمار. أي على الفعل الجنسي بوصفه تعبيرًا عن الاتّحاد وذروته أيضًا، وعن الإنجاب أو التكاثر. والوحدة تصف أيضًا حياة الزواج كلها. وعهد الزواج، الذي لا يُذكر هنا مباشرة، يصف تماسك امرأة واحدة ورجل واحد مدى حياتهما. فكما يقول يسوع، هكذا كان في البدء، وهكذا ينبغي أن يبقى.

ولو كانت هناك نساء عديدات، لتقدّمت الخصوبة، ومعها عدد السكان، أسرع في البداية. لقد أدخل البشر والمجتمعات تعدّد الزوجات. لكنه لم يكن أبدًا فكرة الله، حتى وإن اضطرّ إلى احتماله لدى شعبه (مثلًا الآباء الأوّلون، وداود، وغيرهم).

2.1.11 عطيّة أحدهما للآخر

إنسانان يقف أحدهما مقابل الآخر. يتسلّم آدم حواء عطيّةً من الله. نوعان مختلفان من البشر يلتقيان أول مرة. ويُعطى الجسدان المختلفان، المتلائمان أحدهما مع الآخر، كلٌّ منهما للآخر ومن أجل الآخر. وفي اختلاف الجنس والجنسانية المرتبطة به يُظهر الله خطّته للمحبة. وهكذا تصير الجنسانية عطيّة من الله، كلٌّ للآخر. وهذا يخدم الإغناء والإشباع المتبادلين، وينبغي أن يقود إلى الشكر على الفرق الجنسي.

حين كان آدم وحده، لم يستطع أن يعبّر عن هذا الشكر في التبادل. ففي وحدته لم يكن قادرًا حتى على أن يدرك نفسه إدراكًا كاملًا بوصفه شخصًا، لأنه لم يكن هناك بعدُ «أنا» آخر. فأن يكون المرء شخصية يحتاج إلى علاقة وإلى نظير. بالنسبة إلى الرجل، المرأة هي العون على أن يدرك إنسانيته الخاصة، ويعي الإغناء المتبادل. ليست حواء وحدها عطيّة، بل هي تمكّن آدم من أن يدرك نفسه عطيّةً لها. ليس العيش معًا فقط، بل

العيش أحدهما من أجل الآخر، هو نوع الشركة كما خطّط لها الله. وهكذا يعكسان محبة الله بوصفهما عطيّتين متبادلتين أحدهما للآخر، من خلال رجولتهما وأنوثتهما.

إن فرح آدم وشكره، لأنه يرى في حواء لا مجرّد معين خاضع، بل عطيّة من الله، يعبّران عن كرامة شخصيتها – وهي الكرامة التي أدركتها حواء من جهتها في آدم أيضًا. حواء شخصية حرّة متساوية في الحقوق. وإدراك ذلك، اليوم أيضًا، يعني قبولها عطيّةً وهبةً من الله. الأنوثة عطيّة من الله. أول عطيّة (بعد حياته ووجوده) نالها الرجل.

السلطة التي تطالب بالخضوع تنكر العطيّة. فحين ينال المرء عطيّة، ينال بطريقة ما سلطة على هذه العطيّة. فلأيّ أمر فُوِّض آدم حين تسلّم حواء؟ لأن يبذل جسده في المحبة من أجلها – بما يتجاوز الجنسانية. إنه مفوَّض لأن يتسلّمها – كأخت. وليست هذه سلطة لإعطاء الأوامر أو للتسلّط عليها. فهذا لن يكون إلا العاقبة الوخيمة للسقوط.

كلمات آدم الأولى حين يرى حواء تجد صداها لدى العريس في نشيد الأنشاد 4: 9: «قد سبيتِ قلبي يا أختي العروس، قد سبيتِ قلبي بإحدى عينيكِ».

الرجل، الذي خُلق أولًا، مفوَّض لأن يكون الأول في المحبة، والأول في التضحية بنفسه، والأول المفوَّض للخدمة، والأول في تمكينها، لا في ممارسة السلطة عليها.

إن موقف الشكر هذا، كلٌّ من أجل الآخر، يجد تعبيره الكامل في محبة المسيح لكنيسته. وهذا ما ينبغي أن يكون منظورًا وملموسًا في كنائسنا وجماعاتنا واجتماعاتنا للجميع، وللزوّار غير المؤمنين أيضًا، وللناس من حولنا.

«بداية الكتاب المقدس تعد بحلم إنساني أصيل: المساواة بين الجنسين وجنسانية بريئة من الحرج.»

أرنولد أنغيننت (Arnold Angenendt)

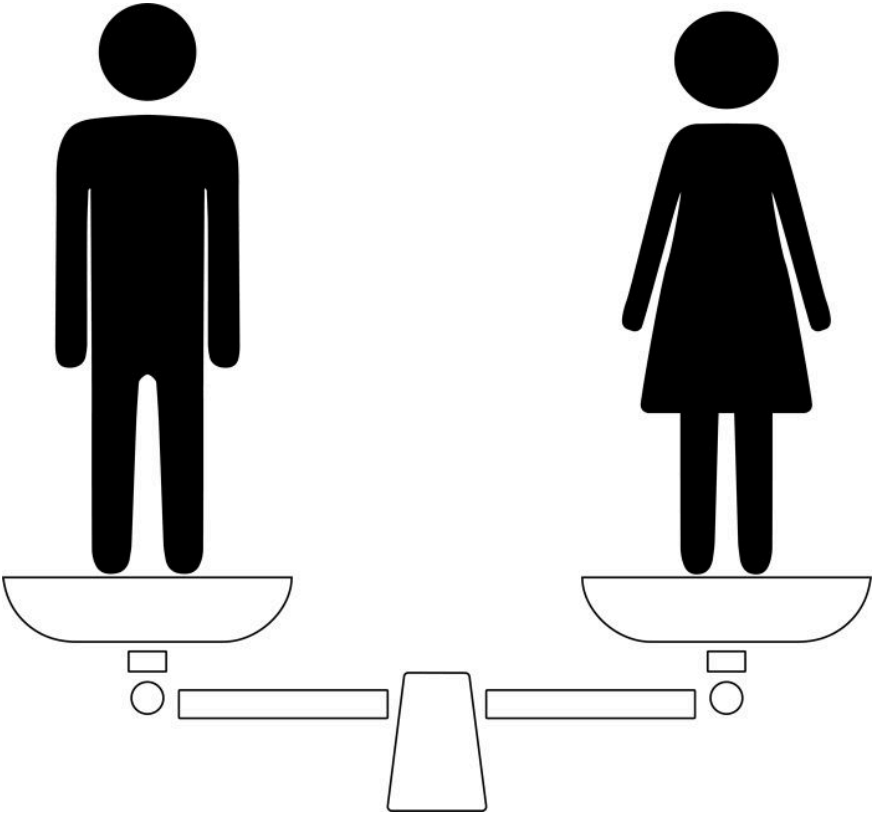

برّك يبقى برًّا إلى الأبد، وشريعتك حقّ.

المزمور 119: 142 (Zürcher Bibel – ترجمة ألمانية للكتاب المقدس)

2.2 سقوط الرجل والمرأة

حين أمرّ عبر تاريخ البدايات في الأصحاحات الثلاثة الأولى، أمتنع عن قصد عن التعمّق في التفسيرات الرمزية أو في الوظائف النموذجية. فالأمر يتعلّق بالإنسانية كما تظهر في العلاقة بين الرجل والمرأة في وجودهما الحرفي. ولا معنى هنا بعدُ لاستحضار نصوص بولس للتفسير. أقول «في هذا الموضع»، لأنني سأضطرّ إلى ذلك لاحقًا على أيّ حال. هناك قاعدة مهمّة في قراءة الكتاب المقدس: السياق، السياق، السياق. أولًا

وقبل كل شيء أن نفهم النصّ في سياقه المباشر وبيئته وظروفه التاريخية، قدر الإمكان. ولهذا توجد اليوم وسائل مساعدة كثيرة، ومصادر أيضًا. وبعد ذلك فقط تكون خطوات التفسير الأخرى على طريق جيد.

يصف التكوين 3 الخداع المأساوي، وعصيان حواء ثم آدم، اللذين قادا إلى مستويات متعدّدة من الانكسار: الخزي، والذنب، والعداوة، والتعب الأليم، والموت، والطرد من جنّة عدن. يتوجّه الله إلى جميع المعنيّين، الحيّة والرجل والمرأة، وينذرهم بعواقب أفعالهم. ويُعدّهم إلى حدّ ما لكل ما سيأتي عليهم. وهناك آية صارت في مركز الجدل. إنها التكوين 3: 16: «إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك». لكن لنمرّ، كما فعلنا من قبل، مرورًا سريعًا على الرواية الكتابية [التكوين 3: 1-7، مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية]:

> وكانت الحيّة أحيل جميع حيوانات البرّية التي عملها الرب الإله؛ فقالت للمرأة: أحقًّا قال الله: لا تأكلا من كل شجر الجنّة؟
>
> فقالت المرأة للحيّة: من ثمر شجر الجنّة نأكل؛ وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنّة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمسّاه، لئلا تموتا.
>
> فقالت الحيّة للمرأة: لن تموتا موتًا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله، عارفَين الخير والشرّ. فرأت المرأة أن الشجرة جيّدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهيّة لتعطي فهمًا؛ فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل.
>
> فانفتحت أعينهما كليهما وعرفا أنهما عريانان؛ فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر.

قال الله لآدم، قبل أن تكون حواء موجودة [التكوين 2: 16-17]:

> وأوصى الرب الإله الإنسان قائلًا: من جميع شجر الجنّة تأكل أكلًا كما تشاء؛ وأما شجرة معرفة الخير والشرّ فلا تأكل منها؛ لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت.

تتوجّه الحيّة المتكلّمة في مناورة الخداع عن قصد إلى حواء. هل كانت الأضعف؟ أو الأسهل إغواءً من الاثنين؟ هكذا يمكن أن يُفسَّر هذا الموقف. لا لأنها امرأة. بل لأنها ربما لم تعرف الوصية إلا من يد ثانية. فما عرفته لم يكن ممكنًا أن تعرفه إلا من آدم. وربما يُظهر تفصيل صغير أن آدم قال لها أكثر مما قاله الله له. أو أنها هي أضافت شيئًا

إلى ما قاله لها آدم. وربما من باب الاحتياط أيضًا: لا تمسّاه، قالت حواء. وفي الوسط كانت تقف شجرة الحياة، الأهمّ بكثير، لا شجرة معرفة الخير والشرّ (2: 9).

يرى بعضهم في كلمات حواء أولى علامات الضعف أو العصيان. لكن كلمات حواء، كما كتبها موسى، يمكن أن تنقل كيف نستطيع أن نفهم الخطية بالصورة بوصفها نجاسة. فمن مسّ شيئًا نجسًا بحسب ناموس موسى صار نجسًا واحتاج إلى تطهير. ويصف سفر اللاويين ذلك أكثر من 160 مرة. ومن هذه الزاوية توضّح كلمات حواء ما يعني أن يسقط المرء في الخطية وأن يصير نجسًا.

ينجح خداع المغوي، الحيّة. فهي تزرع الشكّ في صلاح الله وصدقه. وتصدّق حواء ذلك، فتصير الثمرة المحرّمة ثمرةً مشتهاة. لم يكن الجوع، بل الرغبة في نيل الفهم والمعرفة التي بدا أن الله يحجبها عنهما، هو ما جعل حواء تمدّ يدها. قرار مهلك. خطوة صغيرة بأثر كبير.

كانت حواء وآدم معًا في المكان. كان آدم معها. هل سمع آدم أيضًا الحيّة تتكلّم؟ هل ترك دوره القيادي؟ كل هذا تخمين. تعطيه حواء الثمرة التي ذاقت منها هي نفسها. فيأخذ آدم الثمرة المحرّمة. يتعدّى آدم عن وعي وصية الله التي نالها منه شخصيًا.

مع أنه لا يمكن أن يُستنتج شيء صالح من هذه الحادثة، فإن هذا الموقف أيضًا يُظهر كيف يتصرّف الاثنان بقوة متساوية، وفي الوقت نفسه بخطأ متساوٍ. حواء تُغوى. لقد عرفت أن الشجرة محرّمة. وآدم يدع نفسه يُغوى من غير كلمة، مع أنه عرف أن هذه الشجرة محرّمة.

وفي الحال يدركان أنهما عريانان. معرفة جديدة. كما وعدت الحيّة.

> [التكوين 3: 8-19، مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية] وسمعا صوت الرب الإله ماشيًا في الجنّة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ الإنسان وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنّة. فنادى الرب الإله الإنسان وقال له: أين أنت؟

يا له من امتياز لا يُتصوَّر، أن يلتقي المرء في جنّة الفردوس يوميًا، عند هبوب ريح النهار، في أول المساء، بالله نفسه في هيئة منظورة. كما في المقدس. لكن الآن صار كل شيء مختلفًا. الخوف والضمير المستيقظ يدفعان إلى الهرب من الله. إنهما يعرفان أن العلاقة الطيبة قد اضطربت. لقد استخفّا بأمر كان مهمًّا جدًا عند الله.

فقال (آدم): سمعت صوتك في الجنّة فخشيت، لأني عريان، فاختبأت. فقال: مَن أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألّا تأكل منها؟ فقال الإنسان: المرأة التي جعلتها معي، هي أعطتني من الشجرة فأكلت.

الوعي بالعري يقترن بالتعدّي. الواحد يتبع الآخر. فالعري يصير عورةً، يصير خزيًا. علامةً على الذنب. والبراءة صارت ماضيًا.

يتناول الله التعدّي على نحو ملموس. آدم واعٍ لذنبه. لكنه يبحث عن مذنب آخر، عن كبش فداء يلقي عليه ذنبه. ومهما كان ذلك مثيرًا للشفقة: إنه يجعل زوجته مسؤولة. يا له من جبن! فبدلًا من أن يعترف بذنبه، يتّهم زوجته. ويجعل الله كأنه مسؤول (معه)، لأنه هو الذي وهبه المرأة.

وفي الحقيقة لا يحسم الله في هذه الرواية الأمر كله مع آدم، بل يتوجّه أيضًا إلى المرأة. فكلٌّ منهما يُخاطَب ويُنظر إليه فرديًا وعلى قدم المساواة في المرتبة، كما أن الله سيدين جميع البشر بالعدل ولن يغفل عن أيّ تفصيل.

2.2.1 جواب حواء

كانت حواء قد أُغويت، وخُدعت من الكذّاب وقتّال الناس. وحين خاطبها الله، أشارت إلى مَن عليه الذنب الأكبر: الحيّة.

فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلتِ! فقالت المرأة: الحيّة غرّتني فأكلت.

تبتعد حواء عن الحيّة، وتتّهمها. فالتعدّي الكبير، الذي أطلقت به حواء انهيارًا جليديًا، جاء عن طريق الإغواء. وهي تعترف بأنها أكلت. وموقفها أفضل من موقف آدم. ودرجة تعدّيها لا تُقارن بدرجة تعدّيه.

«سأل الله المرأة، كما في التكوين 3: 13: ’ما هذا الذي فعلتِ؟‘ فأجابت الله من غير مراوغة. أجابت الله من غير لوم. وتكلّمت بطريقة مختلفة تمامًا عن الرجل. لم تعد تدع نفسها تُخدع. ربما صار كل شيء واضحًا لها حين سمعت كيف استجوب الله الرجل. وعلى أيّ حال رأت الآن ما حدث. وفي حكمتها الجديدة أدركت الشرّ وقالت: ’الحيّة أغوتني فأكلت.‘ وبهذا الجواب كشفت الحيّة الشرّيرة بوصفها مصدر خداعها. واعترفت بالشرّ الذي فعلته وهي مخدوعة: ’فأكلت.‘ هل ارتكبت شرًّا أكثر مما ارتكبه الرجل للتوّ؟ لا. هل اتّهمت الرجل الذي كان معها؟ لا. هل اتّهمت الله؟ لا. ومع ذلك فإن ما يرويه لنا

الكتاب المقدس عنها ليس الطريقة التي كثيرًا ما تُصوَّر بها. وهذا التصوير الخاطئ لها موجود منذ زمن طويل.»[14]

2.2.2 تعب حواء وحَبَلها وإخضاعها

كلمات العقاب التي وجّهها الله إلى حواء جاءت في ترجمة Elberfelder (ترجمة ألمانية للكتاب المقدس) هكذا:

> وقال للمرأة: تكثيرًا أكثّر تعب حبلك، بالوجع تلدين أولادًا؛ وإلى رجلك يكون اشتياقك، وأما هو فيسود عليك.

أما ترجمة Zürcher Bibel (ومعها Einheitsübersetzung)، وهما ترجمتان ألمانيتان للكتاب المقدس، فتفصل التعب عن الحبل. وهذا صحيح، لأن الأمر يتعلّق بشيئين:

> وقال للمرأة: أجعل لك متاعب كثيرة وأجعل حبلك كثيرًا، بالأوجاع تلدين أولادًا. إلى رجلك تشتاقين، وهو يسود عليك.

ويورد بروس فليمنغ (Bruce Fleming)، الذي اقتبسناه أعلاه، هذه الكلمات هكذا:

> سأكثّر بالتأكيد (1) عملك الشاقّ في الحقل و(2) حبلك.

ثم يعلّم الله المرأة عمّا حدث لها ولهما، الآن وقد صارا فانيين وساقطين.

> بالجهد تلدين أولادًا
>
> اشتياقك [المُحبّ] [هو] إلى رجلك
>
> لكنه [يتسلّط بتمرّد على نفسه و] سيسود عليك.

هل هذا التمييز في الجزء الأول من الآية 16 مهمّ؟ إن كلمات الله لحواء تأخذ بذلك نبرة مختلفة تمامًا، والأهمّ من ذلك مضمونًا مختلفًا. أولًا من المهمّ أن نقرّر أنه في خطاب الله هذا لا تقع على حواء أيّ لعنة على الإطلاق. بل العكس! أولًا يُنبأ لها بأنه سيكون لها كثير من التعب والجهد في ما يخصّ الزراعة. ويدخل في ذلك تربية المواشي وغيرها من الأعمال اليدوية التي تحفظ الحياة. وكلمة التعب بهذا المعنى لا ترد إلا ثلاث مرات،

14. Fleming, Bruce; Fleming, Joy; Hagemeyer, Joanne. The Book of Eden, Genesis 2-3: God Didn't Curse Eve (or Adam) or Limit Woman in Any Way. نسخة Kindle، ص. 56

وتعني دائمًا العمل الشاقّ في الحقل. هكذا يسمعها آدم: الأرض ملعونة بسببك: «بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك.» وهكذا يقولها لاحقًا لامك لابنه نوح (التكوين 5: 29): «هذا يعزّينا عن عملنا وتعب أيدينا من قِبل الأرض التي لعنها الرب.»

أخذ آدم الثمرة من حواء ببساطة، وهو يعرف المنع معرفة كاملة، وأكل. لكن لعنة الله لا تصيب آدم. إنها تتجاوزه وتصيب الأرض. هذه نعمة في عدن. والعواقب هي التعب في إنتاج الطعام. فيصير الوجود صراعًا من أجل البقاء، على خلاف ما كان في عدن. ولأن حواء تعيش على الأرض نفسها، ولأنهما يسيران معًا بوصفهما زوجين ليتغلّبا على تحدّيات الحياة، يصيبها التعب نفسه الذي يصيب آدم. والسبب ليس حواء، بل آدم، لأن الأرض ملعونة بسبب فعله هو.

لكن الآن، في الجزء الثاني من الجملة الأولى، تأتي البشارة السارّة، الإنجيل. فحالات الحبَل (بصيغة الجمع) تُكثَّر!

على الرغم من التعدّي يُسمح لحواء بأن تتمّم مهمّة الخلق: أثمروا واكثروا واملأوا الأرض! على الرغم من التعدّي ستستمرّ الحياة. سيكون هناك نسل كثير. والأهمّ من ذلك أن واحدًا من هذا النسل سيسحق رأس الحيّة. لقد سمعت الحيّة أولًا هذه الكلمات التي وجّهها الله إليها:

> وأضع عداوة بينكِ وبين المرأة، وبين نسلكِ ونسلها؛ هو يسحق رأسكِ، وأنتِ تسحقين عقبه.

تُسمّى هذه الكلمات «الإنجيل الأوّل» أو «البروتو-إنجيل». لكنها موجّهة إلى إبليس، وهي بالنسبة إليه بالتأكيد ليست بشارة سارّة. ثم تضطرّ الحيّة إلى أن تسمع أن الله يضمن ويكفل أنه سيكون هناك نسل، أنه سيكون هناك نسل المرأة. وهذه لحواء بشارة سارّة، كما هي لآدم ولنا، نحن الذين يُسمح لنا أن نسمع معهما في الجنّة. وهكذا يكون لكلمات الله لحواء معنى إيجابي، معنى مملوء رجاءً.

ستكون ولادة الأولاد متعبة لحواء، كما ستكون الزراعة متعبة لآدم. لقد صارت الحياة بعد السقوط حياة أخرى. وحين سمعت حواء هذه الكلمات، لم تكن قد ولدت بعدُ أيّ ولد. أما الحيّة وآدم فيسمعان كلمات لعنة وعقاب: هناك «قبلُ» طيب و«بعدُ» سلبي. أما حواء فلا! فالله لا يغيّر جسد المرأة حين يكلّمها في عدن. لكن بعض الترجمات تبدو كأن الله يغيّر المرأة بطريقة ما ويحوّل الولادة إلى أمر سيئ.

الولادة عملية محفوفة بالمخاطر، حين لا تتوافر إمكانات طبية كما هي اليوم في أجزاء كثيرة من العالم. لكن الله يقف إلى جانب النساء. إنه معينهن ومخلّصهن (1 تيموثاوس 2: 15).

وفي حديث بالأمثال قال يسوع لتلاميذه، ولنا أن نفترض أنه هو نفسه الذي تكلّم مع حواء في الجنّة:

> [يوحنا 16: 21] المرأة وهي تلد تقاسي أمرًا صعبًا (أو: مشقّة)، لأن ساعتها قد جاءت؛ ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الضيق (أو: الأوجاع) لسبب الفرح بأنه قد وُلد إنسان في العالم.

«الكاتب في الآيات 16-19 يصفّي الحساب مع قسوة الوجود الإنساني، ولا سيّما مع الجانب الخلّاق من الحياة: التكاثر وإنتاج الطعام. فالخفّة السابقة تختلط الآن بالتعب: الخير (النسل، الطعام) يأتي مع الشرّ (التعب).»

> فقال الرب الإله للحيّة: لأنكِ فعلتِ هذا، ملعونة أنتِ من جميع البهائم ومن جميع حيوانات البرّية! على بطنكِ تسعين وترابًا تأكلين كل أيام حياتكِ. وأضع عداوة بينكِ وبين المرأة، وبين نسلكِ ونسلها؛ هو يسحق رأسكِ، وأنتِ تسحقين عقبه.

وفي الكلام الموجّه إلى الحيّة يعلن الله ما هي عواقب هذا التعدّي على المعنيّين الثلاثة. فالحيّة تُذلّ إلى الأرض وإلى التراب. وللهجوم على المرأة عواقب مدمّرة على الحيّة. لقد ارتكبت خطأً سيكلّفها حياتها.

أولًا ستكون هناك عداوة دائمة بين المرأة والحيّة. وهذا لافت: لا بين آدم والحيّة. والأكثر لفتًا للنظر: بين نسل الحيّة ونسل المرأة. فهنا يكون للمرأة نسل أو ذرّية. وواحد من هذا النسل سيقتل الحيّة بأن يسحق رأسها. لكن على حساب لدغة مؤلمة في العقب.

لهذه الكلمات القليلة أثر بعيد ومدى واسع. فالحيّة أكثر من زاحف. إنها عدوّ البشر وعدوّ الله، الشيطان، إبليس.

وما أجده مدهشًا هو الدور الذي سيكون لحواء، ومعها للنساء، في هذا الصراع الكوني. فهكذا ينكشف هذا الصراع أيضًا حين ننظر إلى الوراء إلى تاريخ العالم وتاريخ الخلاص. سيهاجم إبليس المرأة في دورها «الجالب للخلاص». وسيفعل كل شيء ليذلّها،

وليُضعف فاعليتها، وليجعل كلماتها غير مسموعة. يا له من دور مهمّ تؤدّيه المرأة في هذا الصراع الكوني! فمن دونها لا يمكن أن يكون هناك انتصار لله بواسطة نسل.

مع أنها أُغويت للتوّ وأخطأت، فإن الخالق يجعلها أداةً للخلاص. لا آدم. إنها تختبر نعمة وعد عظيم.

وحتى في هذا الأصحاح، أصحاح السقوط، لا توصف المرأة في دور خاضع. بل يكاد الأمر يكون معكوسًا. وكأنها أهمّ لعكس السقوط في المستقبل.

والآن تُوصف علاقتها بالرجل بوصفها العاقبة الثانية للتعدّي. ويشعر كل قارئ بأن هذا يصف اضطرابًا حسّاسًا في علاقتهما. وهذا ليس أمرًا حسنًا. ليس بركة، بل كأنه لعنة. وقد تحقّق هكذا في تاريخ العالم.

وآدم أيضًا، الذي يُحمَّل مسؤولية هذه الخطية، عليه أن يسمع العواقب المرّة لفعله:

> وقال لآدم: لأنك سمعت لصوت امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك وقلت لك: لا تأكل منها! – ملعونة الأرض بسببك: بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك؛ وشوكًا وحسكًا تُنبت لك، وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزك حتى تعود إلى الأرض، لأنك منها أُخذت. لأنك تراب، وإلى تراب تعود!

لا يعفي الله آدم من المسؤولية. فله أعطى الوصية، وهو تعدّاها. أما أن يكون ذلك بطريقة غير مباشرة عن طريق زوجته، فليس له أهمية. لقد نال الوصية، وهو تعدّاها.

العواقب قاتمة. التعب والجهد، أي بكلمة واحدة صراع البقاء والوجود، هما ما سيشكّل مصير الحياة لآدم ولجميع بني آدم. وبينما تسمع حواء «الإنجيل الأوّل» أو «البروتو-إنجيل» وتشارك فيه مشاركة حاسمة، لا يبقى لآدم في النهاية إلا أن يعود إلى ما أُخذ منه. حكم مأساوي. لا أفق فيه للرجاء. لكن انتصار المرأة، أو نسل المرأة، سيخطف الرجل أيضًا يومًا ما من التراب إلى الحياة.

2.2.3 إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك

كلمة العقاب هذه من أكثر الكلمات مأساوية في الكتاب المقدس، وهي (للأسف) تُفسَّر حتى اليوم تفسيرات مختلفة. وهي في صميم بحثنا. تقرأ ترجمة Gute Nachricht (ترجمة ألمانية للكتاب المقدس) هنا: ستنجذبين إلى رجلك، لكنه سيسود

عليك. والكلمة التي تُترجم في ترجمة Elberfelder بـالاشتياق تعني التكريس الحازم الثابت لزوجها.

كلمة يسود محايدة في ذاتها. ولا يزال يبدو غير واضح هل يتعلّق الأمر بسيادة صالحة أم سيئة. لكن المرء يشعر بأن وصف العلاقة والصلة بين الاثنين ليس ما يُظهره التكوين 1 و2. فهنا انكسار، وعدم تناظر. ساحة توتّر سيتغلّب فيها عدم المساواة وعدم التوازن. فمن جهة تختبر المرأة، التي خُلقت أصلًا متّجهةً نحو الرجل، خيبة الأمل. إنها تأتمن الرجل على نفسها في ضعفها وقابليتها للجرح. ضعفها لأنها الأضعف جسديًا وبدنيًا. لكن أيضًا لأن ظروفها الاجتماعية والثقافية صارت هي الأضعف والمحرومة (1 بطرس 3: 7).

لكنها لا تجد لدى الرجل الجواب المناسب على اشتياقها. فما يلقاها ليس التعاطف ولا الانجذاب المتبادل (انظر الأصحاح 2: 24). ولا أن يكونا «جسدًا واحدًا». ربما في الفعل الجنسي والإنجاب، لا في كل مجالات الحياة المشتركة. فوحدة القلب في خطر. والسيادة هي جواب الرجل. لا المسير معًا على قدم المساواة، بل الإخضاع والقهر والتمييز ستصاحب العلاقة بين الجنسين. وهذا ليس بركة. إنه عاقبة الخطية. استمرار للخطية، وهي هنا خطية الرجل. السيادة على الزوجة، أو على المرأة عمومًا، لم تكن، ولم يكن ينبغي أبدًا أن تكون، جزءًا من علاقتهما. ولا يعطي الكتاب المقدس الرجال في أيّ موضع توجيهات بأن يسودوا عليهن!

ليس هذا ما خطّطه الله، ولا كما خلق الاثنين. فقد كان خلق حواء ولقاؤهما الأول واعدَين جدًا. لكن في «شرقيّ عدن» (Jenseits von Eden) تهبّ ريح أخرى. فهناك نادرًا ما يظهر الجنس الذكري فارسًا نبيلًا، بل في الغالب طاغيةً ومتسلّطًا مغرورًا برجولته.[15] وحتى إلى أمثال هؤلاء ما زالت نساء كثيرات ينجذبن.

وهناك تفسير آخر يفهم هذه الكلمة كأن المرأة ستسعى إلى السيادة على الرجل.[16] لكنه، باستثناء حالات طبعًا، سيفرض نفسه في مواجهة ذلك، ويدافع عن سلطانه وسيادته العليا. لقد سمعت هذه القراءة كثيرًا. وكأن المرأة بطبيعتها تمدّ يدها إلى التاج. فإن أعطيتها الإصبع الصغير، أخذت اليد كلها. ستوجد نساء كهؤلاء. نساء يردن التلاعب بأزواجهن والتحكّم فيهم. لا شكّ في ذلك. لكن وضع الجنس الأنثوي كله تحت هذه الشبهة العامة، أو تحميله مسؤولية جماعية، ينبع بالأحرى من الذهنية والموقف

15. يتساءل المرء هل تشمل كلمة العقاب هذه من الله أجزاءً من عالم الحيوان أيضًا.
16. انظر البنية نفسها للجملة كما في 4: 7؛ وأيضًا نشيد الأنشاد 7: 10. ولا ترد الكلمة إلا في هذين الموضعين الآخرين.

المنحرفين لدى الجنس الذكري. وهذا بدوره لا يقع تحت الشبهة فحسب، بل يقع، بحسب كلمات الله، تحت الحكم بأنه متشبّث بالسلطة. وهنا أيضًا ينبغي أن نضيف: باستثناء حالات. وكلا السلوكين موجود بكل الدرجات الممكنة، القويّة والضعيفة. وهذا لا يمنع أبدًا وجود شراكات إيجابية مُحبّة! وبالطبع خارج الزيجات المسيحية أيضًا.

اشتياق المرأة ليس سعيًا إلى الهيمنة. وليس كذلك اشتياقًا جنسيًا لإنجاب الأولاد. وقد يكون ذلك متضمَّنًا فيه. لكنه في عمقه الانجذاب إلى الرجل، وطلب الحماية، والسعي إلى العيش معًا، كما هو مغروس في الخليقة. ويصير ذلك مصيرها في دورها بوصفها الأضعف والمعدمة في الغالب: «الفكرة الأساسية هي أن اشتهاء المرأة، الذي يجعلها تابعة، يرجع إلى حاجتها إلى إشباع غريزة الأمومة لديها ... لنتذكّر ما سمّاه علماء الاجتماع مبدأ الاهتمام الأقلّ أو الأدنى: في علاقة يشترك فيها شريكان، يكون مَن هو أكثر تبعيةً للشريك الآخر هو الأكثر عرضةً للجرح، بينما يكون مَن له اهتمام أقلّ بالارتباط في العلاقة في موقع مهيمن.»[17]

إن أخذ المرء بنظرة فريدمان التبادلية[18] إلى التكوين 1-2، فإن قراءة التكوين 3: 16 ستكون مختلفة تمامًا: «مأساة من حجم مختلف تمامًا. فالعلاقة الأصلية القائمة على الدعم والقوة المتبادلين، وعلى المساواة والمشاركة، وعلى الاعتراف المتبادل بين متساوين، وعلى الاعتراف بالآخر بوصفه أقرب رفيق، صارت علاقة مضطربة على نحو مريع، غير متكافئة عاطفيًا، قائمة على القوة، خالية من المحبة. ستشتهي المرأة زوجها، لكنه سيهيمن عليها. إنه انكسار وانقلاب مروّع.»

ويشير أندرو ماكنتوش (Andrew Macintosh) إلى أن عواقب خطية حواء «تُحدَّد على خلفية هذا التكامل الجذري (المساواة والتكميل) بين الجنسين في الخليقة: فحيث يوجد بالضبط الإشباع الفَرِح للمرأة في الحياة، يحلّ الآن عبء الأوجاع والإخضاع.»

وهكذا يعلّق ماثيو لينش (Matthew Lynch) على هذه الآية: «فكما أن ولادتها 'خير' صار الآن ملطّخًا بالألم (3: 16أ)، كذلك 'تكريسها' خير صار الآن ملطّخًا بالسيادة (3: 16ب).»[19]

هذه الآية علامة على الاضطراب والخلل والمأساة لدى الأنثى والذكر كليهما. فالمرأة في انكسارها وقابليتها للجرح تلجأ إلى رجل بدلًا من أن تلجأ إلى الله لتسدّ حاجاتها، وبدلًا

17. Walton، 228، Genesis, The NIV Application Commentary، Zondervan، Grand Rapids، 2001
18. «تبادلي» (mutualistisch) يعني أن يكون الطرفان متبادلين، يحتاج أحدهما إلى الآخر ويعتمد عليه، في المساواة والوحدة.
19. Lynch، Contrary Women Genesis 3:16b on the ESV

من اللطف والرحمة تلقى حاجته المنكسرة المضطربة إلى أن يسود عليها. إنها مأساة تتكرّر عبر التاريخ بانتظام مروّع.

على آدم أن يتحمّل المسؤولية عن السقوط. كانت حواء ضحيّة (ومع ذلك كانت مسؤولة بالطبع). وكان آدم فاعلًا. لقد أخطأ «بيد رفيعة». أكل الثمرة وعيناه مفتوحتان، وهو يعرف وصية الله معرفة كاملة. هو، لا حواء، صار رأس البشرية الساقطة (رومية 5؛ 1 كورنثوس 15)، مع أنها هي أمّ كل حيّ.

الأرض الملعونة ستحدّد حياة آدم، وتتسلّط عليه، وتجعل حياته شاقّة. وهكذا سيتصرّف هو من جهته تجاه زوجته وتجاه الجنس الأنثوي عمومًا.

فالمرأة تقع، عبر تاريخ البشرية كله، مرارًا كثيرة في وضع تبعية كاملة وإخضاع. وتتشكّل مجتمعات بأكملها على هذا النحو. ولا يتعلّق الأمر هنا بالاستثناءات، بل بالقاعدة. ففي أغلب الثقافات كان هذا هو المألوف، ولا يزال كذلك في الغالب حتى اليوم.

كلاهما، الرجل والمرأة، صارا الآن خاطئين. ساقطَين. وبوصفه خاطئًا سيسود الرجل على زوجته، وهي بوصفها خاطئة ستستنفد كل إمكاناتها الخاصة لكي لا تُغبن في هذه العلاقة، ولكي تدافع عن نفسها وتجد طريقها. ولكي تتلاعب بزوجها، ومع ذلك تمارس تأثيرًا غير مباشر، وهو ما يُمنع عنها في الغالب.

«صراع الجنسين هذا سيظهر في ما بعد على كل مستويات ثقافات جميع الشعوب. ولا يمكن أن يُشفى إلا إذا اقتُلع الشرّ المسبّب من جذوره.»[20]

2.3 اعتراضات على المساواة

في مقابل الموقف الذي أجده في رواية الخلق، هناك القراءة المعاكسة للنصوص القليلة نفسها. فالذين يؤمنون برأس ذكري وبأولوية الرجل يقرأون قصة الخلق دليلًا على أن آدم هو رأس حواء[21]، وعلى أنها تقف في التراتبية تحت قيادة الرجل.

آدم اسم علم، وهو أيضًا تسمية الجنس البشري.

20. Schmalenbach، 87، Frausein zur Ehre Gottes: ... im Kontext verschiedener Kulturen، 2007
21. من بين مؤلّفين آخرين أذكر بشكل خاص الحجج التي يوردها Alexander Strauch. Strauch, Alexander، Die Revolution der Geschlechter، Bielefeld 2001

في هذه الحالة تكون حواء أيضًا «آدم»، أي إنسانًا. لم يسمِّ الله الجنس البشري «امرأة». فذلك كان سيبدو كأن «رائحة» القيادة الذكرية تفوح منه.[22] أما أنا فأرى في ذلك التشديد على ارتباط الرجل والمرأة بالأرض. فمن أداما (الأرض) أُخذ آدم، ومن آدم أُخذت حواء بعد ذلك. وهي أيضًا، مثل آدم، ستعود يومًا ما إلى الأرض. ويصعب أن يرى المرء هنا دورًا قياديًا، ما لم يحاول أن يجد واحدًا.

الله يجعل آدم المركز.

مع آدم يبدأ مشروع «البشرية». فالأمر يتعلّق به أولًا. إلى أن يتبيّن أن شيئًا ما ينقص. النصف الآخر من الحياة. والعملية التي توضّح هذا النقص (تسمية الحيوانات) تُظهر في الوقت نفسه قيمة المرأة التي تملأ النقص. فالإنسان – رجلًا وامرأة – هو معًا مركز الخليقة. وهذا ما يُظهره التكوين 1: 26-27.

آدم، لا حواء، خُلق أولًا. ولذلك هو فوق حواء في النظام الهرمي.

كم من الوقت، كثيرًا أو قليلًا، ترى مرّ بين خلق آدم وخلق حواء؟ وحتى إن كان القديم أو الأقدم في العصور القديمة، على خلاف اليوم، هو دائمًا الأثقل وزنًا والأسبق مقامًا، فإن هذا الاستنتاج لا يصلح لتحديد من هذا النوع. فالكتاب المقدس لا يقول في أيّ موضع إن هذا الترتيب هو سبب الدور القيادي للرجل. إنها استنتاجات اعتباطية، وتبقى كذلك. ولا ينبغي أن يُفسَّر هذا الترتيب على أنه ترتيب في الرتبة. وحين يشدّد بولس في 1 تيموثاوس 2، وهو ما سأتناوله لاحقًا بالتفصيل، على أن آدم خُلق أولًا، فالأمر هناك لا يتعلّق بدرس تقوية في الكتاب المقدس، بل بمسائل أخرى لا علاقة لها بنظام هرمي.

ومن المعروف أن حقّ البكورية يعمل بحسب مبدأ التتابع الزمني هذا. لكنه لا يُطبَّق في أيّ موضع على العلاقة بين الرجل والمرأة.

وبحسب الطريقة التي نقرأ بها الكتاب المقدس، يمكن أن يقوّي ذلك آراءنا الخاطئة أو الصحيحة. وليس نادرًا ألّا يعكس فهمنا للكتاب المقدس مشيئة الله، بل طريقة تفكيرنا نحن أو موقف قلوبنا.

ويمكن أيضًا أن يُفسَّر هذا الترتيب تفسيرًا آخر: ليس الأول هو الأسبق مقامًا، بل الثاني هو الذروة، قمّة الرواية الأدبية لخلق الإنسان. ففي الرواية الأولى الإنسان (الرجل والمرأة) هو ذروة الخليقة. وفي الرواية الثانية ليس الرجل هو الذروة، بل المرأة. أذكر هذا

22. Ortlund، 119

على سبيل المثال، لا لأبني عليه أطروحتي، بل لأبيّن كم يمكن أن تختلف وجهات النظر، وإلى أيّ حدّ تذهب الاستنتاجات الخاطئة حين نظنّ أنه لا توجد إلا وجهة نظر واحدة، أو وجهة نظرنا نحن فقط.

لآدم، لا لحواء، أعطى الله الوصايا المتعلّقة بشجرة معرفة الخير والشرّ، وهذا يشير إلى أنه الرأس/القائد الطبيعي.

بحسب رواية الخلق لم تكن حواء قد وُجدت بعدُ حين أعطى الله هذه الوصية. ولن تكون هذه الفكرة مشروعة إلا لو كانت حواء موجودة من قبل، ثم قال الله ذلك لآدم وحده.

المرأة صُنعت من الرجل، ولذلك هي تابعة له.

في أشكال الحياة الأبوية توجد هذه التبعية. لكن الكتاب المقدس لا يؤيّدها أبدًا بوصفها مثالًا أعلى. حتى وإن كان جميع الأشخاص في العهد القديم يعيشون فيها، والكتاب المقدس يصف ذلك. أما اليوم فالمرأة ليست تابعة للرجل. فكلاهما يستطيع أن يعيش ويوجد مستقلًّا أو وحده. ويمكن، بنظرة محايدة، أن يُرى هذا تقدّمًا. ومن الجيد أن الأمر كذلك.

آدم يسمّي المرأة حواء، وهذه علامة على أن له سلطة عليها.

التسمية لا علاقة لها بالسلطة. بل بالمعرفة والتقدير والإدراك، لأن الأسماء في الكتاب المقدس كثيرًا ما تصف جوهر الشخص. لذلك يسمّي آدم حواء «أمّ كل حيّ». ومن يربط التسمية بالسلطة، فعليه أن يلاحظ أن هذا حدث لا قبل السقوط، بل بعده مباشرة.

المرأة خُلقت من الرجل لكي تكون «معينته» (Gehilfin).

بالطريقة التي يستعمل بها الكاتب مفهوم «المعين»، فإن المقصود ليس شخصًا أدنى، بل شخص مساوٍ في القوة ومساوٍ في المرتبة.

يرحّب الرجال بدور المرأة معينةً، لكي يبلغوا أهدافهم التي يحدّدونها هم وحدهم. لكن هذه ليست الفكرة. فالمعونة لا تؤسّس أبدًا فرقًا في السلطة أو في الرتبة. فكيف نطبّق ذلك على الله، الذي هو معيننا؟ ثم ألا يريد الرجل أيضًا أن يكون معينًا لزوجته الحبيبة؟ من غير أن تنشأ بذلك تراتبية؟

حواء خُلقت من أجل الرجل. لا العكس.

هكذا يُروى الأمر. ومع ذلك لا تصير حواء مُلكًا لآدم ولا مُقتنًى له. لقد خُلقت نظيرًا مساويًا في القوة من جنب آدم. وحين يتعلّق الأمر بعهد الزواج، فإن اشتياق الرجل إلى المرأة اتّجاه أو حركة يمكن أن يُستنتج منها أيضًا – لو أراد المرء – أنها هي الأقوى. فهو ينجذب إليها.

حواء أخطأت أولًا. وهذه علامة على أن المرأة هي الجنس الأضعف، الأكثر عرضةً للتجارب والخداع.

حتى لو كان هذا الاستنتاج صحيحًا – وأنا لا أعتقد ذلك –، فإنه لا يؤسّس تراتبية، نظرًا إلى عدد لا يُحصى من الرجال الذين أغوتهم نساء فسقطوا في الخطية.

ومن أين كان للمجرِّب أن يعرف أنها هي الجنس الأضعف؟ أما آدم فلم يكن يحتاج حتى إلى أن يُجرَّب لكي يخطئ!

آدم لم يقم بواجبه في أن يتولّى القيادة وأن يكون الرأس. لذلك وقعت المأساة.

لمنع هذه العملية وهذه الخطية الأولى لا يحتاج المرء إلى تراتبية. فمواقف كهذه تحدث يوميًا آلاف المرات. والخطية تُمنع بـ«لا» واضحة. صحيح أن آدم، لأنه نال وصية الله، كان ينبغي أن يعترض على حواء. لكن هذه العملية لا تؤسّس شيئًا في ما يخصّ التراتبية. فلدى الاثنين كان الأمر قرارًا حرًّا لإنسان مسؤول له حقّ اتّخاذ القرار.

إن كان آدم هو الرأس، وكان له الدور القيادي، وفشل فيه، فلماذا تُحاسَب حواء أصلًا؟ كان ينبغي عندئذ أن يُحمَّل آدم وحده المسؤولية. لكن لأن الاثنين مسؤولان بالقدر نفسه بالذات، فعلى الاثنين أن يُحاسَبا بالقدر نفسه. وذنب آدم أكبر بكثير من ذنب حواء. لقد أُغويت بالمكر، وأدركت ذلك على الفور، وحمّلت الحيّة بحقّ الذنب الأكبر. أما آدم فأخطأ من غير تردّد «بيد رفيعة»، ثم جعل حواء أيضًا مسؤولة عن ذلك، بل في النهاية جعل الله نفسه مسؤولًا، الذي وهبه المرأة.

أليست الحجّة المعاكسة ممكنة أيضًا؟ إن كانت حواء تتّخذ هنا دورًا قياديًا، حتى وإن قاد إلى الخطية، أفلا يُظهر هذا أن المرأة أيضًا تستطيع في الزواج أن تقود، تمامًا كالرجل؟ ففي «فريق الزواج» يكون كل واحد ضعيفًا أحيانًا وقويًا أحيانًا. ولذلك سيتولّى كل واحد أيضًا القيادة بحسب الظروف، من أجل المعونة المتبادلة وفي الخضوع المتبادل.

ربما توجد حجج أخرى، لكن لا شيء منها يستطيع أن يُخِلّ بالتوازن الذي أراده الله بين الرجل والمرأة. فالنصّ الكتابي الأصلي يبقى أقوى حجّة لشراكة متساوية في المرتبة. وليست هناك أيّ إشارة إلى قيادة لآدم أرادها الله أو كانت بارزة. وكل ما لدينا يشير إلى شراكة بين شريكين. ومع ذلك فإن قراءة نصّ الخلق تقود إلى مواقف مختلفة اختلافًا واضحًا. هنا، في البداية، يُحسم القرار في كيف يجيب المرء عن مسألة الجنسين ويطبّقها، وكيف نفسّر أقوال العهد الجديد في هذا الموضوع.

2.4 الاختلاف بين الرجل والمرأة

لأنني أبرز المساواة والتساوي في المرتبة بين المرأة والرجل، سيعترض بعضهم بأنني أغفل الاختلافات. لكنني لا أفعل ذلك في أيّ موضع. بل على العكس، أعارض صراحةً كل «تسوية» قسرية أو مطابقة بين الأدوار. لكن إن وُجدت أدوار مختلفة، فليس الرجل بسبب ذلك هو الرأس الحاكم والقائد. وهذا التمييز مهمّ. فإن لم يحدث، نشأ خلط متحيّز بين نظام خليقة مفترض (الرجل رأس المرأة) وبين عواقب السقوط، حيث يُقال «هو يسود».

من الواضح أنه لا بدّ من وجود اختلافات. وإلا لما كانت حواء مقابلًا، ولا نظيرًا ملائمًا. فإن «أُخذ» من آدم جنبٌ، النصف كله، فإنه ينقصه شيء يجده من جديد في المرأة أو يستعيده. والاثنان معًا يكوّنان كلًّا واحدًا.

ومع ذلك فالكتاب المقدس ليس كتابًا تعليميًا عن الاختلافات بين الرجل والمرأة. حتى وإن أُشير إلى ذلك باستمرار. ويُغفَل في ذلك أن هذه الاختلافات كثيرًا ما تكون قد نشأت من التاريخ، ومن تطوّر الثقافات والمجتمعات، وليست التعبير النقيّ الكامل عن مشيئة الله الخالق.

«رواية الخلق لا تقدّم أيّ إشارة إلى سيادة أحدهما على الآخر، ولا إلى توزيع المهامّ بحسب الجنس. فالفصل الحادّ، الذي يُلاحظ لاحقًا في ثقافات البشر، بين مجالات العمل وميادين المهامّ، أي المجال العامّ الصانع للثقافة للرجل، والمجال الخاصّ للتكاثر للمرأة، لا يمكن تعليله بالخليقة. إنه قريب إلى الذهن بسبب المعطى البيولوجي، لكن لا يمكن أن يُستنتج من أقوال الكتاب المقدس ويُطالَب به بوصفه مشيئة الله الخالق. بل إن الله يترك هنا للرجل والمرأة مجالًا واسعًا في توزيع المسؤوليات في إطار المعطيات البيولوجية.»[23]

Schmalenbach, 72–23

أذكر هنا، في نقاط فقط، بعض الاختلافات الخاصة بكل جنس، التي عُرفت في البحث العلمي، إلى هذا الحدّ أو ذاك – إلى جانب الاختلافات الواضحة تمامًا. فالموضوع معقّد، ولا أستطيع، باستثناء أمور قليلة، إلا أن أنقل ما اكتشفه آخرون في هذا الشأن. والكتاب المقدس نفسه ليس كتابًا متخصّصًا في هذا المجال.

بنية الجسد وطول القامة أقوى وأكبر لدى الرجل. لذلك يُفصل بين الجنسين في المسابقات الرياضية.

الرجال موهوبون، إلى هذا الحدّ أو ذاك، في التفكير المكاني المجرّد. والنساء لديهن كفاءة تواصلية أكبر.

الحاجة إلى الحديث أكبر لدى النساء في المتوسّط. فالنساء أكثر توجّهًا نحو الأشخاص، والرجال أكثر توجّهًا نحو الأمور.

الخبرة الجنسية مختلفة اختلافًا جوهريًا.

أما أن النساء بطبيعتهن يلدن الأولاد، لا الرجال، فلا حاجة إلى ذكره. لكن في ذلك فرقًا بيولوجيًا كبيرًا.

إنني أدعو إلى توزيع للأدوار موجَّه بحسب المواهب، لا يتوجّه بحسب المعايير الثقافية أو المجتمعية أو الاجتماعية للماضي. فحيث تكون المساواة في الحقوق جزءًا من الدستور، ينبغي أن تُتاح لأفضل القدرات، بغضّ النظر عن الجنس، أن تظهر لنفع الجميع وأن تُقدَّر. وفي ملكوت الله وكنيسته ينبغي أن يحرص الرجال على أن تكون هذه الإمكانات مفتوحة أمام النساء من غير قيود. فهناك يمكن إصلاح بعض الأمور.

في زمننا (ما بعد الحداثي) تغيّر دور المرأة والرجل كثيرًا مع التحوّل الاجتماعي. والتمسّك في ذلك بنظام خليقة مزعوم أمر صعب، بل مستحيل. والتكيّف مع الوضع الاجتماعي ليس دنيوية، بل جزء من التعامل مع متطلّبات الوجود. ولا يكون ذلك مشكلة إن قبل المرء أن الكتاب المقدس لا يفرض فهمًا معيّنًا للأدوار. فأن يكون المرء رجلًا وأن تكون المرأة امرأةً موضوعُ بعض الكتب بوصفها نصائح للحياة حسنة النيّة. أما الكتاب المقدس نفسه فيعطي تقريبًا كل التوجيهات للرجال والنساء بالقدر نفسه.

حين يتولّى زوج اليوم شؤون البيت ويهتمّ بالأولاد، بينما تكسب الزوجة الدخل اللازم، فإن هذا التوزيع للأدوار يصير أكثر فأكثر واقع الحياة. أما هل هو التوزيع الأمثل، فلا يمكن الحكم عليه من منظور كتابي.



2.5 نظام الخليقة

هذا المصطلح (Schöpfungsordnung) يُستعمل كثيرًا. كلمة ألمانية نموذجية. نحن نحبّ النظام. نريد أن نعرف ما الذي يسري وما الذي لا يسري. لهذا مزايا، ويمكن أن يكون مفيدًا. ويُستعمل المصطلح كثيرًا حين يُراد تعليل نصوص العهد الجديد التي تتناول خضوع المرأة للرجل.

الخليقة الصالحة موصوفة في الأصحاحين الأولين من سفر التكوين. إنها النموذج، والتعبير عمّا يريده الله. قبل السقوط!

الكتاب المقدس لا يعرف كلمة «نظام الخليقة». وهذا في حدّ ذاته ليس مشكلة، كما هو الحال مع «مصطلحات مساعدة» لاهوتية أخرى. لكن أيّ أنظمة نريد أن نستنتجها من هذين الأصحاحين، أو حتى أن نجعلها أساسًا ملزمًا لكل الأزمنة؟ النباتية مثلًا، لأن أحدًا لم يأكل لحمًا في الفردوس؟ وماذا عن الأزواج الذين لا يُرزقون أولادًا ولا يستطيعون الإنجاب؟ وماذا عن العدد الكبير والمتزايد من الأسر المكوّنة من شخص واحد؟ وماذا عن الذين يولدون بجنسين؟ هل علينا أن نمشي عراة؟ طبعًا لا. لكن هذا كان أمرًا عاديًا قبل السقوط. يجب أن تُستعمل الكلمة الثقيلة نظام الخليقة بتمييز دقيق، هذا إن كانت مفيدة أصلًا.

في الواقع: ما وُصف في التكوين 1 و2 عن الرجل والمرأة يجب أن يسري هكذا في كل الأزمنة. وما هو مختلف عن ذلك أو أسوأ منه جاء عن طريق الخطية، ولا يوافق خطة الله ومشيئته.

الرجل والمرأة متساويان في القيمة، متساويان في الكرامة، متساويان في التكليف، متساويان في المرتبة، متساويان في المكانة. لا توجد تراتبية في الأصحاحين 1 و2. إنها وحدة في التنوّع. تكامل على المستوى نفسه. تكامل متبادل، لا من طرف واحد. العون الموصوف في التكوين 2 ليس الطرف التابع. المعين (Gehilfin) نظير كامل القيمة لآدم. معًا، على قدم المساواة، هما فريق قوي. يساعد أحدهما الآخر بقدرات ومواهب مختلفة. والفرق بين الجنسين جزء جوهري لا غنى عنه من الكلّ. التنوّع ضرورة، لكنه لا علاقة له بالخضوع أو بالسلطة. الفرق بين الجنسين يكمّل صورة الله، وهكذا يؤهّل للقيام بمهمة الخليقة الواسعة.

هذه الصورة للرجل والمرأة قبل السقوط هي المعيار الإلهي: نظام الخليقة الإلهي. إنه يسري إلى الأبد. شامل، ولا يحدّه زمن. به يجب أن يُقاس كل شيء. إنه معيار أبدي يبقى ثابتًا في كل الأزمنة.

ونرى أن هذا المعيار – أو، إن شئتم، هذا النظام – يختلّ توازنه بسبب الخطية، ويُهاجَم، ويُدمَّر، باستثناءات قليلة. ولا يُستعاد هذا المعيار في المسيح إلا بعد آلاف السنين (غلاطية 3: 28)، ليبقى إلى الأبد، ولا يُهاجَم بعد ذلك أبدًا.

كثيرًا ما تُستعمل كلمة نظام الخليقة حين يُشار إلى خضوع المرأة، وإلى منعها من الكلام علنًا (أمام الرجال)، ومن التعليم والقيادة. ردّ فعل راسخ حين يُصَرّ المرء على النظام. لكن بعد السقوط لا يكاد يمكن الحديث عن نظام للخليقة. بل هو بالأحرى «لا-

نظام» الخليقة (Schöpfungs-UN-ordnung)، حين يسود الرجل الآن على المرأة، وتتحدّد أدوار الجنسين من الآن فصاعدًا بذلك. فبسبب بنيته الجسدية الأقوى انتزع الرجل السلطة لنفسه.

نظام خليقة شامل هو أساس الأخلاق المسيحية. وهو لا يتضمّن فرقًا هرميًّا بين الرجل والمرأة. ويدخل فيه، إلى جانب كرامة الإنسان التي له بصفته حاملًا لصورة الله، الصفاتُ الجوهرية المتأصّلة في الله: العدل والمحبة والحق. وهي التي يجب أن تجعل العيش المشترك الصالح بين البشر ممكنًا.

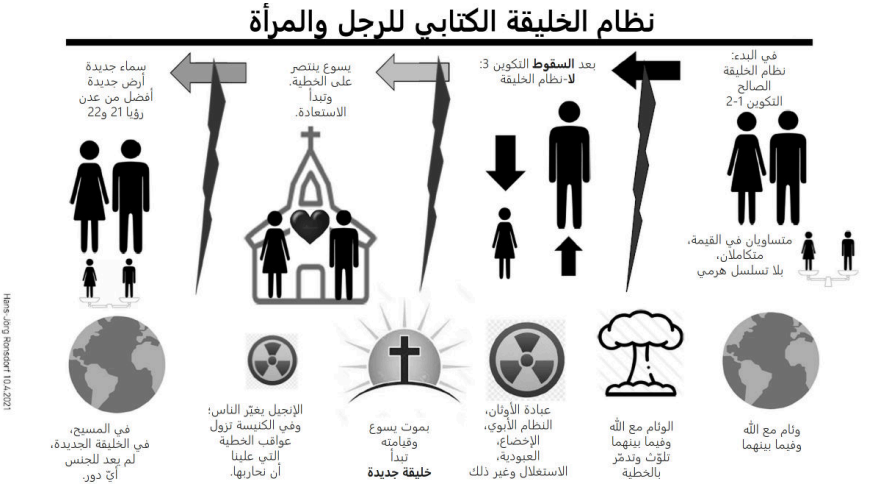

2.5.1 من جنّة عدن إلى أورشليم الجديدة

المسيحيون في طريقهم إلى الخليقة الجديدة (2 بطرس 3: 13). عدنٌ جديدة وأفضل تنتظرهم. خليقة جديدة تواصل الخليقة الحالية بطريقة ما، وهي في الوقت نفسه خليقة جديدة. والجديد يوصَف الآن بأنه مدينة نجد فيها عناصر من عدن. فالأمر إذن ليس عودة إلى الوضع قبل السقوط. بل هو تقدّم إلى الأمام، إلى المدينة الجديدة الأبدية.

في الخليقة الجديدة سيتعامل الرجال والنساء بعضهم مع بعض بلا تكلّف، كإخوة، كأخ وأخت. بمحبة واحترام. بلا تراتبية. عندئذ تنتهي مهمة الإثمار والتكاثر. لن تكون هناك علاقة جنسية بعد. كل ما يتعلّق بها يصير عندئذ من الماضي. ما يؤدّي الآن دورًا كبيرًا

لن يُفتقَد هناك. ومع أننا سنبقى دائمًا الشخصيات الفردية التي جعلنا الله نصير إليها، فإن الجنس، الذكر والأنثى، قد صار في المسيح بلا أهمية (غلاطية 3: 28). أمّا كم سيبقى من «الجنس» عندئذ، فلا نعرف.

في عالمنا الساقط يولد عدد قليل من الناس بـكلا الجنسين، متكوّنين بدرجة أكبر أو أقل. وضع صعب بالنسبة إليهم. بالنسبة إليهم العالم الجديد خلاص (كما هو لنا جميعًا).

وبما أن الخليقة الجديدة قد بدأت منذ الآن في الكنيسة، فيجوز أن يتّسم تعاملنا بعضنا مع بعض بها منذ الآن. في جسد المسيح لم يعد للجنس أيّ دور. لكن بما أن الكنيسة لا تزال في طريقها في الخليقة الأولى، فهي تواجه تحدّيات ثقافية شديدة التنوّع. ومن أجل الإنجيل قد تكون هناك تكيّفات يُراعى فيها الجنس مع ذلك. وسأعود إلى هذا لاحقًا.

لن يكون في الخليقة الجديدة تراتبية ولا خضوع، لأننا جميعًا واحد في المسيح. فلنعِش حياة الخليقة الجديدة!

2.6 وهو يسود عليك – التاريخ

في هذا الفصل أتتبّع السؤال المأساوي: كيف تحقّقت كلمات العقاب في التكوين 3: 16؟ ولا أستطيع أن أفعل ذلك إلا على نحو محدود. هذا التحقّق يتضمّن كونًا كاملًا من القمع والاستغلال والتمييز والإجحاف. بحرًا من الألم والدموع. حتى القرن الحادي والعشرين. كان العالم، وما زال، مكانًا خطرًا لكل من لا يملك سلطة، سواء أكان امرأة أم رجلًا أم طفلًا.

بفضل العمل البحثي لكثير من المؤرّخين وعلماء الآثار واللاهوتيين لدينا اليوم أدلّة كثيرة على أوضاع المرأة. والإنترنت يجعل معلومات كثيرة متاحة بسهولة وسرعة. وفيما يلي مجموعة من الاقتباسات من عصور مختلفة، تعبّر عمّا كان رجال مؤثّرون ومشهورون يفكّرون به في النساء. وفي هذا الإيجاز لا يمكن أبدًا إيفاء الموضوع حقّه. لكن ينبغي أن يكفي ذلك لإدراك أيّ عبء لم يوجد في العالم فقط، بل جُرّ من هناك إلى الكنيسة، وجرى تنصيره وتنميته.

لا يمكن تجاهل كيف ترسّخ في اليهودية موقف أساسي يحتقر المرأة، عن طريق المفكّرين اليونانيين الكبار. وهذا بدوره ترك آثاره في الكنيسة. بل أكثر من ذلك، فقد قدّر آباء الكنيسة الإرث اليوناني في هذه المسألة أكثر من نظرة الكتاب المقدس. وتاريخ تأثيرهم ملموس حتى الحاضر. لذلك ينبغي أن يحفّز ذلك اليوم أيضًا على الكشف والاعتراض.

في هذه المسألة لا يصحّ إلا شعار واحد: العودة إلى الكتاب المقدس! العودة إلى يسوع!

2.6.1 العصور القديمة

النساء في العصور القديمة[24] جسّدن الجمال، وكنّ خاضعات للرجل، لكنهنّ كنّ أيضًا أضعف في قوة الجسد. وإن كنّ ميسورات لبسن ثيابًا حريرية طويلة، وكانت لهنّ تسريحات شعر متقنة. وحين كانت إلى جانب الرجل امرأة جميلة، كان ذلك قد يجلب له مزايا تجارية وسياسية. وفي المجتمع كانت للنساء حقوق محدودة، أو لم تكن لهنّ حقوق على الإطلاق. وفي حال الزنى كان يمكن أن تُتّهم النساء، أو تُصادَر أملاكهنّ، أو يُنفَين. وكانت المناصب العامة يشغلها الرجال وحدهم. وكان دور المرأة محدّدًا بوضوح. كان يُنتظَر منهنّ أن يلدن نسلًا ذكورًا قدر الإمكان. وكان للأغنياء أيضًا عبيد يهتمّون بتدبير المنزل. ولم تكن للإماء حقوق، وكان عليهنّ أن يؤدّين خدمات كثيرة. لكن كانت هناك بالتأكيد استثناءات، كانت فيها بعض النساء الثريّات يحتللن مكانة أعلى، ويستطعن التأثير بقوة في القرارات. وكثيرًا ما كانت المفاتن الأنثوية وسيلة نافعة في عالم يسيطر عليه الرجال.

«كان ‹الرجل الحرّ› أو ‹المواطن› (الرجل) يُعدّ في العصور القديمة النموذج الكامل للإنسان، ومتميّزًا بوضوح أيضًا عن ‹المرأة الحرّة› أو ‹المواطنة› (المرأة). كانت المرأة تُعدّ أدنى قيمة من الرجل بسبب البنية الجسدية والدونية المنسوبتين إليها. وكانت هذه الدونية تُعدّ فطرية وغير قابلة للتغيير، وبها كان يُعلَّل عدم أهلية المرأة القانونية، وحاجتها الدائمة إلى وصيّ ذكر. ووفقًا لدورها في المجتمع كانت المرأة تُعدّ سلبية، وكان ذلك يمتدّ أيضًا إلى العلاقة الجنسية (المغايرة الإيلاجية). أما الدور الفاعل للنساء، كالهيمنة في شؤون البيت، أو الظهور الزائد في الحياة العامة، أو اتخاذ وضع مهيمن في العلاقة الجنسية، فكان يُعدّ مخزيًا، ويهدّد المكانة المحترمة للعائلة كلها. أما الرجل فكان مهدّدًا بسحب حقوق المواطنة منه إن لم يسيطر على بيته وأهل بيته (النساء

24. يُطلق اسم العصور القديمة على الثقافة اليونانية والرومانية من نحو 600 ق.م. إلى 400م.

والأولاد والإماء)، ولم يضبط حاجاته الخاصة (الأكل والشرب والشهوة والجنس والنوم)، وقضى وقتًا قليلًا في الحياة العامة، واتّخذ أدوارًا سلبية في العلاقة الجنسية.»[25]

كانت النساء في أثينا تابعات للرجل، على نحو مشابه لزمن الجمهورية الرومانية، وكان عليهنّ أن ينصعن له. كانت النساء دائمًا قاصرات، أي إنهنّ كنّ بحاجة إلى شخص يوجّههنّ ويقودهنّ. فالفتاة والمرأة كانتا تحت رحمة الوصيّ وأهوائه.

2.6.2 أرسطو

أرسطو (Aristoteles)، 322-384 ق.م.، أحد أعظم الفلاسفة اليونانيين والعلماء الموسوعيين، جعل دونية المرأة حقيقة عامة مسلّمًا بها. في مسألة قيمة المرأة لم ينفعه كل علمه، وبقي في ذلك ابن عصره. «الإناث ذكور مشوّهون» هي واحدة من الأقوال الوخيمة العواقب في رؤيته للعالم. وبما أن الروح هو الذي يُنجب، فالنساء لسن سوى معاونات «بلا روح» يضعن أجسادهنّ/أرحامهنّ حاضنةً تحت تصرّف البذرة الذكرية «الروحية». وبعد أن انطلق أرسطو من دونية التكوين البيولوجي للمرأة، وأضفى بذلك الشرعية على خضوعها الاجتماعي للرجل، جعلها فوق ذلك مسؤولة عن أيّ فشل محتمل، لأن غلبة النصيب الأنثوي في الإنجاب «... مسؤولة عن ولادة كائنات مشوّهة.»

لم تكن للنساء أيّ أهمية قانونية أو اجتماعية في هذا الشكل من المجتمع. كانت النساء مُستبعَدات من السياسة، وكنّ تابعات اقتصاديًا وفي كل الشؤون الأخرى لأزواجهنّ، سيّد البيت، أي قاصرات مدى الحياة تحت وصاية رجل. وكان الرجال عمومًا يتزوّجون نساء أصغر منهم سنًّا بكثير، مما زاد هيمنتهم حدّة. «كانت المهمة الأساسية للزوجات أن يؤمّنّ ورثة ذكورًا، وأن يُدِرن بيت الزوج.»

كثيرًا ما كانت البنات يُعرَّضن للموت بعد الولادة بقرار من الأب. ومن الفتيات اللواتي بقين على قيد الحياة كانت تُنتظَر العفّة قبل الزواج، ثم العفّة الزوجية. وكانت النساء المحترمات يقضين معظم حياتهنّ في البيت.

التراتبيات في رؤية أرسطو للعالم «من صنع الطبيعة»، وكذلك من طبيعة الأشياء أن يسود البعض ويملكوا كل الحقوق، وأن يُساد الآخرون ولا يملكوا أيّ حقوق. فبحسب

25. Voß, Heinz-Jürgen, Das differenzierte Geschlechterverständnis der Antike, Gender, 2/2009.

رؤيته للعالم يولد بعض الناس ليسودوا، وآخرون ليُساد عليهم. والذكوري عنده أعلى قيمة من الأنثوي، ولذلك فالأنثوي موجود ليحكمه الذكوري.

«حسنًا، كما أن البشرية هي الأكمل بين جميع الحيوانات، كذلك داخل البشرية الرجل أكمل من المرأة، وسبب كماله يكمن في زيادة في الحرارة، لأن الحرارة أهمّ أداة للطبيعة.»

وهكذا وضع أرسطو أساسًا فلسفيًا دائمًا لفكرة أن النساء أدنى من الرجال. لقد صاغ ممارسة التمييز الجنسي صياغة منهجية، وقدّم نزعة تسلّط عالِمة تؤمن بعدم المساواة بين الجنسين. وبعد قرون فسّر قادة الكنيسة، وهم أنفسهم نتاج الثقافة والتعليم اليونانيين، كتابات بولس من منظور الفلسفة الأرسطية.

لقد ترك فلاسفة أثينا للعالم اتّهامًا مزدوجًا للأنوثة. فمن الحقبة الكلاسيكية، ولا سيّما من تعاليم أرسطو، جاءت القناعة بأن النساء أدنى من الرجال. ولذلك ينبغي أن يأمر الرجالُ النساءَ، وأن يُستعمَلن لمتعة الرجال. ثم جاءت من الفلاسفة الرواقيين القناعة بأن النساء إلهاء وتجربة للرجال. ولذلك ينبغي أن يتجنّب النساءَ الرجالُ الذين كانوا، لولا ذلك، أحرارًا في أن يكتسبوا تلك الصفات التي تجعل الرجال متفوّقين. وعلى كلتا النظرتين تقوم التفسيرات التقليدية لكتابات بولس المتعلّقة بالنساء والزواج. أي خضوع المرأة والعزوبية، التي كثيرًا ما اعتُبرت المثال الأعلى حتى زمن الإصلاح.

لقد كان سقراط (Sokrates) (470-399 ق.م.) هو الذي خلّد احتقار الأثينيين للنساء. فهو كثيرًا ما يسمّي النساء الجنس الأضعف، ويحتجّ بأن كون المرء امرأة عقاب إلهي، لأن المرأة شيء وسط بين الرجل والحيوان.

حياة رجل واحد تعادل ألف امرأة، كما يقول يوريبيديس (Euripides) (480-407 ق.م.)، الشاعر التراجيدي اليوناني.

وهناك اقتباسات أخرى كثيرة، بل أشدّ إهانة، لا تفعل إلا أن تؤكّد كيف كان الناس يفكّرون عمومًا في النساء.

2.6.3 المرأة مُلكًا ومُقتنًى

حُرمت النساء إلى حدّ بعيد من حقّ تقرير المصير، بل عوملن أحيانًا كنوع من المُلك. وكان الأبناء يُقدَّرون أكثر من البنات، بوصفهم ورثة أملاك الأب ورؤساء للأسر، أمّا

البنات فكان يمكن أن يُبعن لرجال آخرين مقابل ثمن العروس، بوصفهنّ موردًا ثمينًا.

وكما تشهد أدبيات العصور القديمة، لم تكن النساء دائمًا وفي كل مكان بلا حقوق، لكنهنّ كنّ خاضعات للرجال بوضوح. وفي النهاية استغلّ الأزواج مزاياهم ليضمنوا لأنفسهم قدر الإمكان أن تكون النساء متاحات لهم جنسيًا.

لم تكن النساء ممثَّلات في المجال العام السياسي، وكنّ عادة محصورات في شؤون البيت وفي عمل الإنجاب. وكانت النساء من حيث المبدأ تحت وصاية رجل (الزوج أو الأب أو الأخ)، وفي تبعية اقتصادية كاملة له.

كانت السلطة الحاسمة داخل الزواج للزوج. كان وصيًّا على الزوجة والأولاد، وكانت له في كل المسائل المتعلّقة بالأملاك والعائلة صلاحية القرار الأخيرة، وفي الغالب الوحيدة. وكان دور الزوجات ينحصر تقريبًا بالكامل في البيت ورعاية الأولاد.

وكان يُولى اهتمام خاص لقدرتهنّ على الإنجاب، وكانت عفّتهنّ خارج نطاق الزواج تلقى تقديرًا اجتماعيًا خاصًا. أمّا النساء غير المتزوّجات (السراري والإماء) فكان يُنتظر منهنّ أن يخدمن إشباع الحاجات الجنسية للرجال الأحرار الذين كنّ يعملن في أملاكهم.

2.6.4 النظام الأبوي

الأديان الكبرى والهندوسية تشترك، بقواعدها وفرائضها، في نشوء النظام الأبوي في العالم كله.

لغويًا يُشتقّ المصطلح من اليونانية patér – «أب» وarché – «أصل» و«سيادة». النظام الأبوي، ويُسمّى أيضًا الأندروقراطية[26]، يصف بالمعنى التقليدي نظامًا مشتقًّا تاريخيًا من القانون اليوناني والروماني. وفيه كان ربّ العائلة والبيت الذكر يمارس السلطة القانونية والاقتصادية على أفراد العائلة التابعين له، إناثًا وذكورًا.

في الطبقة الاجتماعية الواحدة يقف الرجال فوق النساء المنتسبات إليهم بناتٍ أو أخواتٍ أو زوجات. ومع ذلك لا ينبغي أن يُساء فهم النظام الأبوي الكتابي على أنه مجرّد سيادة للرجال، لأن نساء الطبقة العليا كانت لهنّ سلطة على من هم دونهنّ من الإناث والذكور.

26. الأندروقراطية (Androkratie)، مترجمة عن اليونانية، تعني سيادة الرجل. وتُستعمل هذه الكلمة نادرًا نسبيًا مرادفًا لشكل السيادة الأكثر شيوعًا، أي النظام الأبوي.

النظام الأبوي هو الشكل الاجتماعي المحدِّد للحياة في البيت، كما يمكن ملاحظته منذ الآباء الأوّلين. لقد تطوّر هكذا، وكان أمرًا عاديًا. ليس مثالًا أعلى يطلبه الله، بل جزء من تاريخ الثقافة خارج عدن. بكل مزاياه وعيوبه.

يرى بعضهم أن النظام الأبوي يعكس أبوّة الله، وبذلك يوافق نموذجًا إلهيًا. لكن مثل هذه الفكرة عن بنية العائلة لا تجد سندًا بهذا الشكل. حتى وإن كانت هذه البنية قادرة على أن تعمل جيدًا تحت «النعمة العامة» لله. فبنية العائلة هذه جزء من عالم ساقط، وتطوّرٌ في تاريخه. لم تنشأ من نموذج إلهي أو من أمر إلهي. لقد سادت بوصفها نموذجًا ضمن البقاء، ولا يزال يضمنه في أماكن كثيرة من هذا الكوكب. وبوصفه بنية اجتماعية كهذه يجب أن يُقيَّم في ضوء الكتاب المقدس.

2.6.5 التأثير اليوناني في الفكر اليهودي

إن كنت قد اقتبست أرسطو فيما سبق، فذلك لأن هذا التفكير أثّر في اليهودية أيضًا.

«حين نأتي إلى العهد الجديد، نجد أن معظم الرجال اليهود لم ينظروا إلى النساء بالتقدير الكبير المنعكس في العهد القديم. وقد قادت ثلاثة عوامل اليهود إلى تشويه علاقات الرجل والمرأة كما أرادها الله.

1. السلوك الخاطئ. الخطية تشوّه الفهم والعلاقات.

2. سوء تفسير النصوص الكتابية.

3. تأثير الأفكار الهلّينية (اليونانية).

في القرن الثالث قبل الميلاد بدأت الأفكار الهلّينية تتسلّل إلى الفكر اليهودي. وتسارع هذا التسلّل في أثناء حكم أنطيوخس أبيفانس (Antiochus Epiphanes)، الذي بدأ حكمه سنة 175 ق.م. ثم غزا أنطيوخس اليهودية، وحاول أن يُهلّنها بالقوة. وكانت النتيجة أن الفكر اليهودي تأثّر بالفلسفة اليونانية. وقد صبغ هذا نظرة اليهود إلى النساء.»[27]

«بوجه عام يمكن التعبير عن وضع النساء في التشريع الديني على أفضل وجه بهذه الصيغة المكرّرة باستمرار: ‹النساء والعبيد (غير اليهود) والأولاد (القاصرون)›. فكالعبد

27. WKG-Studienpapier، سبتمبر/أيلول 2003

غير اليهودي والولد القاصر، للمرأة رجل فوقها هو سيّدها؛ وهذا يحدّ أيضًا من مشاركتها في العبادة، لأنها من وجهة النظر الدينية أدنى من الرجل.

ويمكن أن يُضاف إلى كل هذا أنه عُبّر عن آراء محتقرة كثيرة بشأن النساء. ويصدم المرء حين يرى كيف تغلب هذه الآراء على آراء التقدير العالي، التي لم تكن غائبة بأيّ حال. ومن المعتاد أن الفرح كان يسود عند ولادة صبي، بينما كانت ولادة بنت تُستقبَل كثيرًا باللامبالاة، بل بالحزن. ولذلك لدينا الانطباع بأن اليهودية أيضًا في زمن يسوع كان لها رأي متدنٍّ جدًا في النساء. كما هو مألوف في الشرق، حيث تُقدَّر المرأة قبل كل شيء لخصوبتها، لكنها تُعزَل قدر الإمكان عن العالم الخارجي. وتخضع لسلطة أبيها أو زوجها، وحيث تكون من وجهة النظر الدينية أدنى (تابعة) مقارنة بالرجال.»[28]

2.6.6 آباء الكنيسة

هنا أيضًا لا يمكن ذكر إلا قليل من الاقتباسات، التي تُظهر آثار الفلسفة اليونانية في المسيحية الناشئة أيضًا.

«عند المرأة يجب أن يكون مجرّد الوعي بطبيعتها الخاصة مثيرًا للخجل.» كليمنضس الإسكندري (Clemens Alexandrinus)، 215-150م، المربّي

«مثال بارز هو أبو الكنيسة أوغسطينوس (Augustinus) (354-430م)، الذي أسهم إسهامًا خاصًا في تطوير صورة المرأة ‹المسيحية›. ولأنه متأثّر بفلسفة أرسطو، صعب عليه أن يعترف بأن المرأة على صورة الله صورةً كاملة: ‹المرأة مع زوجها معًا صورة الله، أي إن الاثنين معًا صورة كاملة. لكنها في وظيفتها معينًا، وهي مهمة تخصّها وحدها، ليست صورة الله. أما الرجل، فهو أيضًا إذا أُخذ وحده صورة الله بالكمال والشمول نفسه، كما لو كان متّحدًا بالمرأة في وحدة واحدة›.»[29]

في القرن الخامس استُعمل بولس لتأكيد صورة عدم المساواة والفصل الهرمي كما طوّرها أرسطو. وكان على الحرية الأولى للإنجيل أن تتراجع من جديد. ومع ازدياد ترسّخ البنى الكنسية ضاعت المساواة في المرتبة بين أعضاء المسيح أكثر فأكثر. والبرهان هو تراجع النساء في المناصب الكنسية واستبعادهنّ منها.

28. Jeremias, Joachim، ص. 359-375، Jerusalem zur Zeit Jesu، 1963
29. Schmalenbach، 196

«في سنة 585، في اجتماع حضره 63 أسقفًا وممثّلوهم في ماكون (Mâcon) بفرنسا، صوّت 32 بنعم و31 بلا على سؤال ‹هل النساء كائنات بشرية؟›. وهكذا أُعلنت النساء بشرًا بأغلبية صوت واحد!»[30]

اللاهوتي الأبرز في العصور الوسطى، توما الأكويني (Thomas von Aquin)، يؤكّد نظرة أرسطو (Prima Pars, Quaestio 92):[31]

«أ) يبدو أنه ما كان ينبغي أن يُذكَر إيجاد المرأة بين أعمال الخليقة الأولى. لأن:

I. أرسطو يسمّي المرأة كائنًا بشريًا أقلّ كمالًا من الرجل. أما ما هو في ذاته ناقص ومعيب، فما كان يجوز أن يُذكر في وصف الترتيب الأول للأشياء.

II. الإخضاع والانتقاص يأتيان من الخطية. فقد قيل للمرأة: ‹ستكونين تحت سلطان الرجل›، وغريغوريوس الكبير (Gregor der Große) يكتب: ‹فيما لم نخطئ فيه، نحن جميعًا متساوون.› أما المرأة فهي بطبيعتها أضعف من الرجل، كرامةً وقوةً.

III. يجب تجنّب فرص الخطية. لكن الله كان يعلم أن المرأة ستصير لاحقًا للرجل فرصة للخطية. إذن ما كان يجوز له أن يوجدها. وفي الجانب الآخر تقف سلطة الكتاب المقدس. (تكوين 2: 18.)

ب) أجيب بأنه كان من الضروري أن تكون المرأة ‹عونًا للرجل›. وليس عونًا لأيّ عمل آخر، إذ كان رجل آخر سيعين الرجل فيه على أيّ حال أفضل منها؛ بل لعمل الإنجاب. ويُرى ذلك على أفضل وجه حين ننظر في درجات الإنجاب المختلفة. ... فقط بالنظر إلى الطبيعة البشرية الفردية الخاصة تكون المرأة شيئًا ناقصًا وأضعف.»

وكتب في موضع آخر أن المرأة ستكون منقادة للشهوة الجنسية، أما الرجل فللعقل. أو: المرأة غلطة من الطبيعة، أدنى جسديًا وعقليًا، نوع من الرجل المشوّه، المخطئ، الفاشل.

الخطّ الأحمر امتدّ من أرسطو، عبر بولس (كما ظنّوا)، عبر أوغسطينوس وتوما، ودخل أيضًا في لاهوت المصلحين. وهذه النظرة يفهمها كثيرون اليوم (ولا سيّما المسيحيون المُصلَحون) على أنها نظام الخليقة الإلهي الشامل. هذه في الواقع صورة للإنسان

30. Smith/Kern, Frauen und Männer im Dienst für Gott, Gießen، 2000، ص. 114.
31. لبحث موسّع أوصي بمكتبة آباء الكنيسة (Bibliothek der Kirchenväter) المتاحة مجانًا على www.unifr.ch/bkv/.

سمّمتها الفلسفة، وقد انخدع بها حتى أعظم المفكّرين واللاهوتيين. فإلى الله المشتكى.

2.6.7 الإصلاح

أدّى الإصلاح إلى القطيعة مع الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى. وقد جلب ذلك للمرأة حرية جديدة وتقديرًا جديدًا. ولا يمكن المبالغة في تقدير رفع لوثر لشأن المرأة في الزواج والعائلة، إذا أخذنا في الاعتبار أن الموقف السائد اجتماعيًا من النساء كان الاحتقار الصارم، بدرجة أو بأخرى.

عند لوثر (Luther) كان خضوع المرأة أمرًا بديهيًا من صنع الطبيعة. كان يُجِلّ زوجته كاترينا فون بورا (Katharina von Bora)، التي كانت له نظيرًا قويًا، وكانت تعرف أيضًا متى عليها أن تكبح مارتنها أو حتى توقفه. لكن أقواله في النساء عمومًا تعكس على الأرجح اللغة الفظّة البذيئة السوقية في القرن السادس عشر. «... إن حكم النساء منذ بدء العالم لم يُنجز قطّ شيئًا صالحًا، كما يقال عادة: حكم النساء قلّما ينتهي نهاية حسنة! حين أقام الله آدم سيّدًا على كل الخلائق، كان كل شيء لا يزال حسنًا ومستقيمًا، وكان كل شيء مُدارًا على أحسن وجه؛ ولكن حين جاءت المرأة وأرادت أن تضع يدها هي أيضًا في القدر وأن تكون ذكية، سقط كل شيء، وصار فوضى موحشة. ... حين تكون النساء فصيحات، فليس ذلك ممّا يُمدحن عليه، بل الأليق بهنّ أن يتلعثمن ولا يُحسنّ الكلام. فهذا يزيّنهنّ أكثر بكثير.» أو: «النظام يقتضي الأدب والكرامة، أن تصمت النساء حين يتكلّم الرجال.» أو: «الأعشاب الضارّة تنمو بسرعة، لذلك تكبر البنات أسرع من الأولاد.» وقد قصد هو نفسه ذلك حرفيًا، بجدّية تامّة، حين اقتبس في عظة خروج 22: 18: «لا تدع ساحرة (مشعوذة) تعيش.» أما إلى أيّ حدّ يؤدّي لوثر المبكر ولوثر المتأخّر دورًا في هذا السياق، فلا أستطيع أن أقوله في هذه المرحلة. ليس المقصود الحكم أو الإدانة، بل البحث في الأسباب. ومن الواضح أن هذا السؤال يجب أن يُوضَّح مرة بعد مرة، في زمننا أيضًا.

همّي هو أن أُلمّح إلى أن حتى رجال الله العظام وقعوا في هذا الضلال الكبير، وأن الله احتمل ذلك وصبر عليه. كما يفعل كثيرًا اليوم. فهو يبارك ويعمل، ويضطرّ في أثناء ذلك إلى احتمال آراء وممارسات وتصرّفات لأولاده لم يُردها قط.

بعد حلّ الأديرة انحصرت خدمة المرأة ومكانها في المجال المنزلي. لم تُفتح المناصب الكنسية للمرأة. رُفعت كرامتها إنسانًا وزوجةً، لكن لم تُرفع مكانتها في كنيسة يسوع.

وكتب المؤرّخ أرنولد أنغيننت (Arnold Angenendt) ملخّصًا: «لقد كان الجنس الأنثوي في وثائق مكتوبة لا تُحصى، من كل العصور والثقافات، موضوع ازدراء، بل سخرية». وهذا يصحّ بالقدر نفسه على المسيحية، وكثيرًا حتى اليوم.

«نحن المسيحيين نودّ لو كنّا البشر الأفضل. لكننا لسنا كذلك. نحن في أحسن الأحوال في حال أفضل.»[32] والمسيحيون اليوم أيضًا ليسوا روّادًا حاسمين لعالم أكثر عدلًا للجميع. ولا أستطيع أن أعترض على امرأة تقول: «في تاريخ الكنيسة كثير جدًا من احتقار النساء، حتى إن أنفاس المرأة تنقطع».

ومع ذلك، كما يقول أنغيننت، عادت المسيحية في القرون الأولى إلى نظام الخليقة الأصلي لله: «فلا عجب إذن أن النساء بالذات انجذبن إلى المسيحية، وقد شكّلن في القرون الثلاثة الأولى الأغلبية في الكنائس. ولا يصعب تحديد الأسباب. فأين غير ذلك كانت المرأة مساوية للرجل إلى هذا الحدّ؟» ولكن هذا النور للإنجيل كان، للأسف، سيُظلم من جديد.

في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حدثت حركات نهضة كبرى. وفيها كانت النساء كثيرًا ما يقُدن ويعظن بالكلمة.[33] ففي أزمنة الانطلاق هذه، التي لم تكن منظّمة تنظيمًا صارمًا، حيث غابت البنى، وكان روح الله يهبّ عاصفًا، كان حرًّا أن يجعل المواهب تعمل بلا عائق، لأنه كان يجوز إغفال الفرق بين الجنسين تمامًا. وهذا شرط جيد، حين لا يؤدّي هذا الفرق أيّ دور.

2.6.8 الحركة العلمانية لحقوق المرأة

كثيرًا ما يُحتقَر مصطلح النسوية لدى المسيحيين المحافظين. لكن هؤلاء بالذات ينبغي أن يعرفوا أن نساء شجاعات، ورجالًا أيضًا، حقّقوا ما كان ينبغي أن يدافعوا هم عنه بالذات. واليوم يستفيدون هم أنفسهم، وقبل كل شيء نساؤهم، ممّا حقّقته هذه الحركات. وهذا ليس تقديسًا للنسوية. بل هو إدراك للوقائع وتقدير لها أيضًا، وهو يصحّ بالقدر نفسه على إنجازات النقابات العمالية، التي يستفيد منها المسيحيون (المحافظون) (من غير استحقاق). لا يمكننا أبدًا أن نقول بحدّ ذاته إن مثل هذه الحركات في الثقافة الحديثة سيّئة أو هجوم على الكتاب المقدس، ما دمنا نستفيد منها بشكل إيجابي بطريقة ما، وما كنّا لنتخلّى عن هذه الإنجازات عن طيب خاطر.

32. Schmidt, 118, Endlich gleich, Holzgerlingen, 2019
33. Krüger, Hartmut, Frauen im Pietismus, Marburg, 2005

«تمتدّ جذور النسوية في الحركة النسائية العلمانية. كانت موجتها الأولى، في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، حركة لحقوق المرأة في النضال من أجل حقّ متساوٍ في المشاركة السياسية. ولا سيّما حقّ الاقتراع والوصول إلى المناصب السياسية، وفي النضال من أجل الحقّ في التعليم، ولا سيّما تعليم البنات، وفي النضال من أجل حرية اختيار المهنة والوصول إلى العمل المهني. في سنة 1896 قُبلت النساء لأول مرة مستمعاتٍ زائراتٍ في الجامعات، ولم يُسمح لهنّ بالدراسة النظامية إلا في بادن ابتداءً من سنة 1900، وفي بلدان أخرى بعد ذلك بكثير؛ وفي سنة 1918 أُدخل حقّ المرأة في الاقتراع، وفي سنة 1949 نُصّ في القانون الأساسي (Grundgesetz) على المساواة في الحقوق بين النساء والرجال، وفي سنة 1954 أُلغي حظر عمل المتزوّجات في الخدمة العامة، وفي سنة 1957 أُلغي حقّ الزوج في القرار الأخير، وفي سنة 1958 أخيرًا أُلغيت ما سُمّي ‹عزوبية المعلّمات› (Lehrerinnenzölibat)، التي كانت تُلزم المعلّمات بالبقاء عازبات، وبترك مهنتهنّ عند الزواج.

أما الموجة الثانية للحركة النسائية في سبعينيات القرن العشرين فقد فهمت نفسها حركةً لتحرير المرأة. فمع أن النساء كنّ متساويات قانونيًا إلى حدّ بعيد، على الورق على الأقل، فقد ظللن يشعرن بأنهنّ مميَّز ضدّهنّ وغير حرّات: بسبب عدم تكافؤ فرص التعليم – ففي ذلك الوقت كان عدد الصبيان في المدارس الثانوية لا يزال أكبر من عدد البنات، وكان عدد الرجال الذين يدرسون في الجامعات أكبر بوضوح من عدد النساء؛ وبسبب فرص أسوأ في سوق العمل؛ ففي أزمنة البطالة المرتفعة وجدن أنفسهنّ أمام تهمة ‹أصحاب الدخل المزدوج›، أو لم يُوظَّفن أصلًا، ومن ذلك بسبب احتمال الغياب بسبب الحمل؛ وبسبب أجور أدنى عن العمل نفسه؛ وليس آخرًا بسبب العبء المزدوج أو المتعدّد بين العائلة والمهنة ورعاية الأقارب. وصارت اللغة المنصفة للمرأة محطّ الاهتمام، وانتُخبت مفوَّضات لشؤون المرأة، وكُتبت خطط لدعم المرأة.»[34]

كل هذا ليس إلا جزءًا ضئيلًا ممّا كان يمكن إيراده هنا. أرجو أن توضّح هذه السطور القليلة الطريق الصعب للنساء خارج عدن. وكم أثّر تفكير العالم في تفكير الكنيسة، يُرى في أن «أرسطو المخفَّف» (Aristoteles light) لا يزال يُعلَّل اليوم بكلمات بولس. لا يمكن أن تُسرّ بهذا الطريق الصخري للنساء إلا قوى مظلمة، قائدها الحيّة القديمة. ومع يسوع يُعلَن نهائيًا موقف الله من بنات حواء أيضًا.

34. ويكيبيديا (مقالات متنوّعة)

ربما تفكّرون أن كل هذا تاريخ. إنه شيء مضى عليه زمن طويل، واليوم صار كل شيء مختلفًا تمامًا في كل مكان. كلّا، أبدًا: منظمة World Vision تقدّم تقريرًا (قبل 10 سنوات) عن بلدان بلا إرث مسيحي: 450 مليون امرأة يعانين إعاقة جسدية بسبب سوء التغذية في أثناء الطفولة. وفي مجتمعات كثيرة لا تأكل البنات وأمهاتهنّ إلا بعد أن يشبع الرجال والصبيان. صحيح أن النساء يشكّلن نصف سكان العالم، لكنهنّ لا يملكن إلا واحدًا في المئة من الثروة. ومن بين 1,3 مليار إنسان يعيشون في الفقر 70% نساء. واحتمال ألّا تحصل البنت على تعليم مدرسي ضعف احتماله لدى الصبي.

وتُشوَّه مليونا بنت، معظمهنّ في أفريقيا والشرق الأوسط، بالختان لقتل شهوتهنّ الجنسية. وإن نجين من هذا الإجراء، يكبرن ليواجهن جماعًا مؤلمًا، وعقمًا محتملًا، واحتمالًا أكبر للموت عند الولادة. وتُظهر إحصاءات أحدث أن 100 مليون بنت مفقودات فعلًا في الجيل الحالي. لقد قتلتهنّ العائلات بسبب جنسهنّ. ملايين كثيرة من هؤلاء البنات مفقودات في الهند والصين، حيث تُجهض الأمهات بشكل روتيني حين يعرفن أنهنّ حوامل ببنت. أو يُعرَّضن للموت كما في العصور القديمة. وتُحرَم من الرعاية الطبية.

كم من الدموع ذُرفت في الخفاء؟ والسماء أيضًا تبكي حين يرى يهوه إلوهيم ما يحدث لبنات حواء. من سيأتي لنجدتهنّ؟ من سيدافع عنهنّ؟ قلبُ مَن يبقى غير متأثّر أمام هذه الحقائق؟

التراتبية هي أصل النظام الأبوي، والنظام الأبوي هو أصل إساءة استعمال الجنس والسلطة.

بيث أليسون بار (Beth Allison Barr)

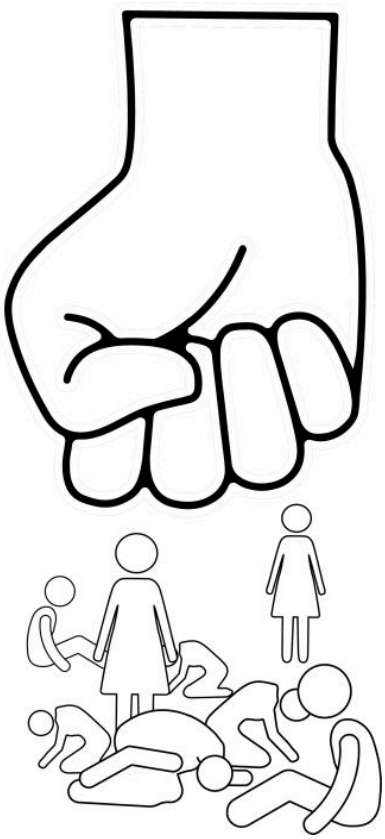

3 يسوع المسيّا والنساء

يبدأ تقويمنا بمعجزة لا مثيل لها: الله يصير إنسانًا. الأزلي، الخالق، يأتي بنفسه. يبدأ مثل كل إنسان من الصفر، ويعيش الطفولة والشباب وحياة العمل حِرَفيًّا في البناء في الناصرة وما حولها. وفيما بعد، حين تبدأ خدمته العلنية، يكون بيته في كفرناحوم في الجليل. كل هذا يحدث في يهودية القرن الأول.

وللنساء أيضًا يبدأ معه تقويم جديد. إنه هو نفسه الذي التقى آدم وحواء في الجنّة عند هبوب ريح النهار. يهوه إلوهيم، بصفته ابن آدم، ابن الإنسان، هو نسل المرأة. ومحرِّرها. رجل يفهم النساء. ومع أنه لم يتزوّج، فقد عاش مع أمّه وأخواته. يشعر ويرى كل يوم كيف يتصرّف الرجال مع نسائهم، ومع النساء عمومًا. وربما كان هو نفسه، بصفته البكر، مسؤولًا عن العائلة، إن كان يوسف أبوه لم يعد حيًّا، واضطرّ هو أن يأخذ دوره. تُرى كيف عرفته أخواته؟

إنه يرى ما وراء الكواليس. وعلى أبعد تقدير في خدمته العلنية يهدم الأسوار، ويقلب العالم اليهودي آنذاك رأسًا على عقب. إن كان أحد قدوة لنا، فهو الذي أعلن الله. إنه نهاية كل تناقض.

لا يدور هذا الفصل حول التعليم أو العقيدة أو وجهات النظر. بل حول واقع الحياة. قصص. لقاءات. مواقف. اكتشافات.

كل لقاءات يسوع بالنساء المذكورة هنا تأمّل فيها كثيرون مرارًا.[35] وهي مهمة أهمية حاسمة. بل مركزية، لأننا في هذه النصوص نجد كيف تصير قوة الله الفادية والمُصلِحة واقعًا في حياة النساء. كيف يُرجَعن إلى المقام الذي كان للمرأة في عدن. هذا هو هدف الله: أن ينقض أعمال إبليس، ومنها سيادة الرجل على المرأة، السلبية والمتعدّية والساحقة، بكل أشكالها.

كيف اختبرت النساء يسوع؟ كنّ هناك حين وُلد يسوع، وحين عُذّب على الصليب، وحين قام. اقرؤوا هذا الاقتباس القوي، الشهير في العالم كله، لدوروثي ل. سايرز (Dorothy L. Sayers):

35. لضيق المساحة والوقت أمتنع عن تناول النساء الشجاعات في العهد القديم، اللواتي تولّين أدوارًا قيادية أو تنبّأن، وكذلك عن أليصابات أو مريم. فأمّ يسوع امرأة فريدة، جريئة، مستقلّة، روحية وشجاعة، لا أتناولها هنا بمزيد من التفصيل.

«ربما ليس عجيبًا أن النساء كنّ أوّل من عند المذود وآخر من عند الصليب. لم يكنّ قد رأين قطّ رجلًا مثل هذا – ولم يوجد مثله قطّ بعد ذلك. نبيّ ومعلّم وبّخ بلا تذمّر، ومدح بلا تعالٍ؛ أخذ أسئلتهنّ وحججهنّ بجدّية؛ لم يلحّ عليهنّ قطّ أن يكنّ أنثويات، ولم يسخر منهنّ قطّ بسبب أنوثتهنّ؛ قبلهنّ كما هنّ، وتعامل معهنّ بلا أيّ تكلّف.»

يلتقي يسوع النساء بلا ازدواجية في المعايير، بلا إقصاء، بلا تعالٍ، بلا مجرّد تسامح، بل باهتمام وتفهّم، بل بلطف ومحبة.

ربما ليست الحوادث المروية كثيرة جدًا. لكن لها وزنها. ولا بدّ أنه كانت هناك حوادث أخرى كثيرة لم تُروَ لنا. لكننا ربما يُسمح لنا يومًا أن ننظر إليها بنظرة إلى الوراء، حين يكون ملكوت الله الأبدي قد أتى.

لقد قرأتم هذه القصص أو سمعتموها مئة مرة. ومع ذلك سأتناولها، وأشير باختصار إلى خصائصها، ومنها الثقافية أيضًا. أورد النصوص كاملة، فلا تحتاجون إلى أن تأخذوا كتابًا مقدسًا. وأشارك ببعض الأفكار فقط. انغمسوا أنتم في هذه اللحظات المقدسة!

3.1 تلميذات خادمات

[لوقا 8: 1-3] وعلى أثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية يكرز ويبشّر بملكوت الله، ومعه الاثنا عشر. وبعض النساء كنّ قد شُفين من أرواح شريرة وأمراض: مريم التي تُدعى المجدلية التي خرج منها سبعة شياطين، ويونّا امرأة خوزي وكيل هيرودس، وسوسنّة، وأُخَر كثيرات كنّ يخدمنه من أموالهنّ.

ليس يسوع وحده، بل أيضًا رابيّون آخرون في ذلك الزمن كانوا محاطين بتلاميذهم. لكن: لم تكن للرابيّين تلميذات، ولم يكونوا يريدون أيّ امرأة تلميذةً لهم. كان التعلّم من رابّي امتيازًا حصريًا للرجال. حين نتكلّم عن تلاميذ يسوع، نفكّر دائمًا في الاثني عشر. لوقا يتكلّم عن نساء يستطيع أن يذكرهنّ بأسمائهنّ، وعن نساء كثيرات بلا أسماء. نحن نعرف أنه كان هناك أكثر من الرجال الاثني عشر. لوقا تكلّم عن 70 (لوقا 10: 1، 17). لكن ربما كانت النساء داخلات في هذا العدد. وعلى كل حال يبدو لنا جمع التلاميذ، كما يصفه لوقا، جماعة مختلطة من رجال ونساء. بعض النساء اختبرن الإنقاذ على يد الرابّي، وتبعنه منذ ذلك الحين. وقدّمن أملاكهنّ. خدمنه، هو معلّمهنّ، وعلى الأرجح خدمن كل من كانوا مع يسوع في الطريق. وهذا لا يعني إعداد الطعام وغسل الثياب –

بل ربما أيضًا: خدمن بأموالهنّ. هنّ، أو بعضهنّ على الأقل، موّلن رسالة يسوع مع أتباعه.

إنه كسر للمحرّمات لا مثيل له: يسوع يقبل نساء في دائرة تلاميذه. يسوع يريد أن يتعلّمن. لأنه يعرف أيّ دور مهمّ إلى أقصى حدّ ستأخذه النساء في المستقبل لملكوت الله ولكنيسته، وهنّ اللواتي استطاع أن يعتمد عليهنّ أكثر من الرجال. لوقا يذكرهنّ بشكل إيجابي، دون أن يذكر أيّ خصوصية في علاقتهنّ بالتلاميذ الذكور.

3.2 على النساء أن يتعلّمن

> [لوقا 10: 38-42، مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية] ولمّا كانوا سائرين، دخل قرية؛ فقبلته في بيتها امرأةٌ اسمها مرثا. وكانت لهذه أختٌ تُدعى مريم، جلست هي أيضًا عند قدمَي يسوع، وكانت تسمع كلامه. أمّا مرثا فكانت منشغلة جدًا بخدمة كثيرة؛ فتقدّمت وقالت: يا رب، أما يهمّك أن أختي تركتني أخدم وحدي؟ فقل لها إذن أن تعينني. فأجاب يسوع وقال لها: مرثا، مرثا! أنتِ مهتمّة ومضطربة لأجل أمور كثيرة؛ ولكن الحاجة إلى واحد. فمريم اختارت النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها.

أحبّ يسوع هؤلاء الإخوة الثلاثة. كان يحبّ أن يكون في هذا البيت. كان مرحّبًا به. والساعات التي كان يعلّم فيها كانت كأنها اختطاف إلى عالم آخر. كلمات حياة، كلمات ذات قوة، كانت تخرج من فمه. ووجدت مريم ذلك أكثر إثارة لاهتمامها من خدمة جمهور التلاميذ. مفهوم أن يحدث شجار بين الأختين. لكن يسوع، الذي يبدو أن مرثا توجّهت إليه بعتاب، يعطي مريم، وبذلك كل النساء، امتياز أن تكون تلميذة ومتعلّمة. بلا فرق بين تلميذ وتلميذة. عند قدمَي يسوع تُسوّى كل الفروق. هناك الجميع متساوون! واليوم أيضًا. من المهم للنساء بالقدر نفسه أن يتعلّمن الحق، وأن يتأسّسن في الإيمان تأسيسًا راسخًا. وهنّ يشاركن مثل الرجال في التبادل والأسئلة.

3.3 الجميع متساوون

> [مرقس 3: 33-35] فأجابهم قائلًا: من أمّي وإخوتي؟ ثم نظر حوله إلى الجالسين وقال: ها أمّي وإخوتي، لأن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمّي.

ظنّت عائلة يسوع أنه قد خرج تمامًا عن السيطرة. يسوع لا يظهر هنا رجلَ عائلة. ما يهمّه أكثر هو العائلة الجديدة لملكوت الله وللخليقة الجديدة. وكما رأينا في النقطة السابقة، في العلاقة بيسوع، في التلمذة، لا يُلغى الجنس، لكنه لم يعد ذا أهمية. ولا سيّما أيّ أهمية هرمية، كأن النساء خاضعات للرجال. ومن الحاسم لفهم دور الرجل والمرأة أن يسوع لم يتكلّم قطّ عن تراتبية، ولم يعلّم بها. فمن دون كلمات كسر يسوع بأفعاله الأعراف الثقافية و«التقوية» في زمنه. إنه يسمّي الذين يطيعونه إخوة وأخوات!

3.4 الحيض لم يعد نجاسة

> [مرقس 5: 32-34] وكان ينظر حوله ليرى التي فعلت هذا. وأما المرأة فجاءت وهي خائفة ومرتعدة، عالمة بما حصل لها، فخرّت وقالت له الحقّ كلّه. فقال لها: يا ابنة، إيمانك قد شفاك، اذهبي بسلام وكوني صحيحة من دائك.

الحيض في ذاته شيء لا يعني للمرأة بركة، بل هو عبء. نحن الرجال لا نستطيع أن نضع أنفسنا مكانها. في إسرائيل كانت النساء في أثناء دورتهنّ الشهرية نجسات طقسيًا. نجسات بسبب شيء لا ذنب لهنّ فيه. قَدَر؟ وأسوأ من ذلك حين لا يتوقّف النزف. وهذا المرض موجود اليوم أيضًا. وبذلك كانت المرأة نجسة على الدوام. وكالأبرص تقريبًا لم تكن تستطيع أن تشارك في الحياة الاجتماعية إلا بالكاد، ولا في الحياة الدينية إطلاقًا. وشجاعتها في أن تنال الشفاء من يسوع واحدة من القصص المؤثّرة في الأناجيل. يسمّي يسوع هذا المرض «داءً». وهو الذي ينهيه. يعيد المرأة إلى الحياة. على نحو مشابه لإقامته ابنة يايرس بعد ذلك مباشرة. فإلى هناك كان ذاهبًا. إنه يسمّيها بطريقة مؤثّرة: ابنة. وكأب يوقظ فيها الشعور بالقبول والاهتمام والتقدير الذي افتقدته 12 سنة. كما حين تختبر ابنة اهتمام أبيها الحاني. أمام كل الناس، والشارع مكتظّ، يكلّم هذه «النجسة» هكذا، ويفعل ما لم يفعله سواه: يكلّم امرأة علنًا، ويعيد إليها الحياة وكرامتها أمام الجميع. ماذا تُرى فكّر الرجال؟ وكم بالحريّ النساء!

3.5 منبوذة ثم موجودة

> [يوحنا 4: 6-9] وكانت هناك بئر يعقوب. فإذ كان يسوع قد تعب من السفر، جلس هكذا على البئر، وكان نحو الساعة السادسة. فجاءت امرأة من السامرة لتستقي

ماءً، فقال لها يسوع: أعطيني لأشرب! (لأن تلاميذه كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعامًا.) فقالت له المرأة السامرية: كيف تطلب منّي لتشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية؟ (لأن اليهود لا يعاملون السامريين.)

[يوحنا 4: 27-30] وعند ذلك جاء تلاميذه، وكانوا يتعجّبون أنه يتكلّم مع امرأة. ولكن لم يقل أحد: ماذا تطلب؟ أو: لماذا تتكلّم معها؟ فتركت المرأة جرّتها ومضت إلى المدينة وقالت للناس: هلمّوا انظروا إنسانًا قال لي كل ما فعلت! ألعلّ هذا هو المسيح؟ فخرجوا من المدينة وأتوا إليه.

كم مرة سمعت في شبابي كلمات من الأصحاح الرابع من إنجيل يوحنا. وفي الغالب تلك التي تقول إن الآب يطلب مثل هؤلاء الساجدين، الذين يسجدون بالروح والحق. ومن «الحق» في شبابي كان أن النساء لا يفعلن ذلك. فهنّ يصمتن في الاجتماعات.

فلماذا إذن قال يسوع هذه الحقائق العميقة والمهمة لامرأة؟ ولسامرية فوق ذلك؟ لمطلّقة مرات عدّة؟ لواحدة لم تتعرّف إلى المسيّا إلا لتوّها؟

كان حرًّا. كان يهوه إلوهيم، الذي خلق الرجل والمرأة متكافئين. كان يستطيع أن يلتقي النساء كما ينبغي أن يكون. تعجّب التلاميذ أنه يتكلّم مع امرأة. كم كانت صورة المرأة منحطّة في تلك الأيام. سلك يسوع هذا الطريق المتعب ليجعل قصة حياة هذه المرأة المأساوية، التي صُرفت مرات عدّة، قصة خلاص. لا، لم يكن رجلًا ذاك الذي قال له يسوع هذه الكلمات، بل كانت امرأة فقدت كل قيمة لذاتها، واضطرّت أن تأتمن رجلًا آخر على نفسها لكي تبقى على قيد الحياة. هذا الرجل عند بئر سوخار كان مختلفًا. كما ينبغي أن يكون كل رجل. كان المسيّا.

تصير هي أوّل مبشّرة. قريتها كلّها تؤمن، لأنها تروي قصتها وتتغلّب على خوفها. إنها حقًّا قصة تحبس الأنفاس، تملأ عينيّ بالدموع. لم يكن كثيرون أولئك الذين أعلن لهم يسوع مباشرة أنه المسيّا. لكنه لهذه المرأة يفتح السماء.

لا بدّ من طرح السؤال: كيف يمكن أن يُفسَّر منع بولس للكلام بهذه الطريقة، ويُمدّ ليشمل كل نساء الكنيسة في كل الأزمنة، في حين يعلّم يسوع هنا امرأة عن جوهر السجود (العبادة)؟ عن السجود، الذي هو سمة جوهرية للكنيسة!؟

3.6 الزنى يحتاج إلى اثنين

[يوحنا 8: 1-11، مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية] أمّا يسوع فمضى إلى جبل الزيتون. ثم جاء أيضًا إلى الهيكل في الصباح الباكر، وجاء إليه كل الشعب؛ فجلس وكان يعلّمهم. وأتى إليه الكتبة والفريسيون بامرأة أُمسكت في زنى، وأقاموها في الوسط وقالوا له: يا معلّم، هذه المرأة أُمسكت في زنى، في الفعل نفسه. وقد أوصانا موسى في الناموس أن نرجم مثل هذه؛ فماذا تقول أنت؟ قالوا هذا ليجرّبوه، لكي يكون لهم ما يشتكون به عليه. أمّا يسوع فانحنى إلى أسفل وكان يكتب بإصبعه على الأرض. ولمّا استمرّوا يسألونه، انتصب وقال لهم: من كان منكم بلا خطية، فليرمها أولًا بحجر. ثم انحنى أيضًا إلى أسفل وكان يكتب على الأرض. فلمّا سمعوا ذلك، خرجوا واحدًا فواحدًا، مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين؛ وبقي يسوع وحده مع المرأة في الوسط. فلمّا انتصب يسوع ولم يرَ أحدًا سوى المرأة، قال لها: يا امرأة، أين هم المشتكون عليك؟ أما دانكِ أحد؟ فقالت: لا أحد، يا رب. فقال لها يسوع: ولا أنا أدينك؛ اذهبي ولا تخطئي أيضًا!

طبعات مختلفة من الكتاب المقدس تضع لهذا النص عنوانًا: يسوع والزانية. لكن: أين كان الزاني؟ ظنّ آباء الكنيسة، ولا يزال بعضهم يظنّ ذلك اليوم، أن النساء هنّ الإغواء إلى الخطية الجنسية. كانت النظرة اليهودية إلى المرأة تجعلها مسؤولة عن الإغواء الجنسي. أما يسوع فيضع المسؤولية على الرجل (متى 5: 28). حين ينظر إلى امرأة، عليه أن ينتبه إلى الرغبة الجنسية ويكبحها. بكلمات أخرى: لا تُطل النظر إن لم تكن مسيطرًا على شهوتك. أشكّ في أن المرأة هي التي تُغوي. فالرجال، وهم أسرع إثارة من النساء، يفعلون كل شيء ليوقعوا امرأة بسرعة. كيف كان الأمر هنا، لا نعرف. فالعشيق إمّا تركها بجبن، وإمّا تستّر عليه زملاؤه الرجال.

«قال يسوع كلمات قليلة، لكنها كانت أبلغ من مجلّدات. الخطية خطية – سواء ارتكبها رجل أو امرأة. كل واحد منّا سيقف أمام دينونة الله. لن يستطيع أحد أن يختبئ أو يفلت. لن يستطيع أحد أن يشير إلى آخر. لم تكن خطية المرأة أسوأ من خطية الرجل – ولكنها لم تكن أفضل أيضًا. حين يكون التكافؤ هو المعيار، قلّما تُرمى حجارة.»[36]

36. Hamilton, David

3.7 الوقوف مستقيمة بكامل القامة

[لوقا 13: 10-17، مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية] وكان يعلّم في أحد المجامع في السبت. وإذا امرأة كان بها روح ضعف ثماني عشرة سنة؛ وكانت منحنية، ولم تقدر البتّة أن تنتصب. فلمّا رآها يسوع دعاها إليه وقال لها: يا امرأة، إنكِ محلولة من ضعفك! ووضع عليها يديه، ففي الحال استقامت ومجّدت الله. ... وهذه، وهي ابنة إبراهيم، قد ربطها الشيطان – ها ثماني عشرة سنة – أما كان ينبغي أن تُحَلّ من هذا الرباط في يوم السبت؟ ولمّا قال هذا أُخزي جميع معانديه؛ وفرح كل الجمع بجميع الأعمال المجيدة الكائنة منه.

كان المجمع مكان الرجال. كانوا في الصدارة. كانوا هم المتكلّمين. لكن يسوع يرى هذه المرأة ويأتي بها إلى الأمام. إلى الوسط. امرأة. وفوق ذلك امرأة كان منظرها مروّعًا. الطبيب العظيم يأتي بها إلى حضرته. الرجال لم يرحّبوا على الأرجح بكسر التقليد هذا. وحدها حقيقة أن اليوم كان سبتًا أعطتهم حجّة واهية لمهاجمة يسوع. عبارة «ابنة إبراهيم» فريدة. وهكذا تنتصب المرأة المنحنية. بتعاطف، ملتفتًا إلى المرأة المسكينة، يضع يديه عليها. ثم تقف حيث لا يكون عادة إلا الرجال. مستقيمة. يهوه إلوهيم لا يعيد إليها الصحة فقط، بل الكرامة: يسمّيها ابنة إبراهيم. وحيث لا يُسمع عادة إلا الرجال، ترفع صوتها لتمجيد الله. نعم، كأنها تبدأ في المجمع ترنيمة تسبيح الله. يا لها من لحظة مقدّسة!

المجمع اليهودي، حيث كانت النساء في الخلفية شبه مخفيّات، وكان الرجال وحدهم يتكلّمون، ليس أبدًا النموذج لطريقة عمل كنيسة يسوع المسيح.

3.8 لا ازدواجية في المعايير

[متى 19: 8-9 (5: 31-32)] قال لهم: إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلّقوا نساءكم، ولكن من البدء لم يكن هكذا. وأقول لكم: إن من طلّق امرأته إلا بسبب الزنى وتزوّج بأخرى يزني، والذي يتزوّج بمطلّقة يزني.

كان الأزواج اليهود يستطيعون أن يطلّقوا نساءهم بسهولة نسبية. فسبب ما يمكن دائمًا إيجاده. وهكذا كانت المرأة المطلَّقة، أو بالأحرى المطرودة، منبوذة حقًا، ولا تكاد

تستطيع البقاء على قيد الحياة. إنه يسوع الذي يفضح الفريسيين والكتبة، ويعيد الأمر إلى البدء. الرجل والمرأة خُلقا متكافئين على صورة الله، واتّحدا في الزواج. هذا كان نظام الخليقة.

على الرجال كما على النساء أن يلتزموا بقواعد اللعبة نفسها. والحمد لله، لم يعد الأمر عندنا اليوم كما كان عند اليهود آنذاك. لكن الطلاق يبقى شيئًا يجرح في الأعماق، ويكسر قلب الله أيضًا. يسوع، مستندًا إلى رواية الخليقة، يحمي المرأة، ويناشد الرجال ألّا يطلّقوا نساءهم ببساطة لأسباب غير مبرّرة، إلا في حال الزنى. إنه يدافع عن النساء. يرفع صوته من أجلهنّ، ويوبّخ قساوة القلب التي يراها سبب هذا التطليق.

3.9 نعمة بلا حدود

> [مرقس 14: 3-9، مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية] وفيما هو في بيت عنيا، في بيت سمعان الأبرص، وهو متّكئ، جاءت امرأة معها قارورة من المرمر فيها طيب من ناردين خالص كثير الثمن. فكسرت قارورة المرمر وسكبت الطيب على رأسه. وكان قوم مغتاظين في أنفسهم فقالوا: لماذا كان تلف الطيب هذا؟ فقد كان يمكن أن يُباع هذا الطيب بأكثر من ثلاث مئة دينار ويُعطى للفقراء. وكانوا يؤنّبونها. أما يسوع فقال: اتركوها؛ لماذا تزعجونها؟ قد عملت بي عملًا حسنًا؛ لأن الفقراء معكم في كل حين، ومتى أردتم تقدرون أن تعملوا بهم خيرًا؛ وأمّا أنا فلست معكم في كل حين. عملت ما استطاعت؛ قد سبقت ودهنت بالطيب جسدي للتكفين. الحقّ أقول لكم: حيثما يُكرَز بالإنجيل في العالم كله، يُخبَر أيضًا بما فعلته هذه، تذكارًا لها.

إنه موقف لا يُصدَّق، بل محرج حقًا. هذه المرأة كانت قد التقت يسوع من قبل، وكان قد جعل حياتها جديدة. وهي تستجمع شجاعتها لتقتحم مجتمع الرجال هذا، وتكون محطّ أنظار الجميع. ثم لتفعل ما استطاعت. عرف يسوع أنها لم تكن تستطيع أن تفعل أكثر. أجر سنة مُدّخر، كل ما كانت تملكه، رأت أنه يستحقّ أن تقدّمه ليسوع. لم يُسكَب قطّ من قبل شيء ثمين كهذا على رأس الرجل الناصري. ولم تفُح منه رائحة كهذه قطّ. ويسوع يرفع هذه المرأة أمام الجميع، ويعطيها مكانًا في التاريخ لم يعطه لأيّ رجل. لقد قدّر ذلك فوق كل حدّ – ولم يفهم أحد أن رسالته كانت ستبلغ في النهاية حضيضها وذروتها على الجلجثة.

«إنها أكثر من خاطئة غُفر لها. فدموع فرحها الكثيرة، حين تخدم يسوع، تقف على النقيض من دموع بطرس، الذي يبكي بكاءً مرًّا بعد أن يتخلّى عن الخدمة وينكر يسوع (لوقا 22: 62). وقبلاتها المتواصلة تقف على النقيض من قبلة يهوذا الخائنة (لوقا 22: 47). ووضعها عند قدمَي يسوع هو وضع الخادم، الوضع الذي يتّخذه يسوع نفسه (لوقا 22: 26-27). وعملها المُحِبّ، بكسر قارورة المرمر وسكب محتواها الثمين، هو محاكاة رمزية للمسيح، الذي يسمح بأن يُكسَر جسده، وأن يُسفَك دمه الثمين من أجل جميع أحبّائه (لوقا 22: 20). إنها أيقونة (صورة) للمسيح!»[37]

يا كل الرجال الذين يفرضون الصمت على النساء ويمنعونهنّ من الوعظ: كم مرة ذكرتم هذه المرأة في كرازتكم ووعظكم بالإنجيل؟

3.10 الصليب: أين الرجال؟

[متى 27: 55-56] وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد، وهنّ كنّ قد تبعن يسوع من الجليل يخدمنه. وبينهنّ مريم المجدلية، ومريم أمّ يعقوب ويوسي، وأمّ ابنَي زبدي.

[مرقس 15: 40-41] وكانت أيضًا نساء ينظرن من بعيد، بينهنّ مريم المجدلية، ومريم أمّ يعقوب الصغير ويوسي، وسالومة، اللواتي أيضًا تبعنه وخدمنه حين كان في الجليل، وأُخَر كثيرات اللواتي صعدن معه إلى أورشليم.

[لوقا 23: 55-56] وتبعته نساء كنّ قد أتين معه من الجليل، ونظرن القبر وكيف وُضع جسده. فرجعن وأعددن حنوطًا وأطيابًا؛ وفي السبت استرحن حسب الوصية.

[متى 28: 9-10] وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه، إذا يسوع لاقاهما وقال: سلام لكما! فتقدّمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له. فقال لهما يسوع: لا تخافا. اذهبا قولا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل، وهناك يروننني.

أليس لافتًا كيف يكتب كتبة الأناجيل الذكور هنا عن هؤلاء النساء؟ لا يتجاهلونهنّ. لا ينسونهنّ. فقد عرفوا النساء رفيقات في التلمذة، تبعن يسوع مع الاثني عشر. وهؤلاء الكتبة أيضًا نشأوا على صورة المرأة اليهودية والتلمودية. لكن يسوع جعل صورتهم

37. Reid, Barbara E.، ص. 76، Wisdom's Feast، 2016

للمرأة أيضًا جديدة. احتاج الأمر إلى بضع سنين، لكنهم في هذا الشأن يسيرون على خطى يسوع.

وفوق ذلك كان محرجًا لهم، وهم رجال، أن يكتبوا أن النساء كنّ عند الصلب ينظرن على الأقل من بعيد، بينما هم أنفسهم – ما عدا يوحنا – كانوا قد هربوا.

سلوك يسوع تجاه النساء جعلهنّ قويّات وشجاعات. لقد شجّعهنّ. قدّر خدماتهنّ. وما نقرؤه هنا هو صدى الاحترام الذي كان ليسوع تجاههنّ. فخلافًا للتقليد والأعراف قبلهنّ في دائرة التلميذات والتلاميذ. أمور كثيرة لا نعرفها، لكن الحقائق المذكورة توضّح أمرًا واحدًا: لقد احترمهم على قدم المساواة، تلاميذ وتلميذات. حتى وإن لم تكن هناك نساء في الدائرة الأضيق.

3.11 مريم الرسولة

> [يوحنا 20: 15-18] قال لها يسوع: يا امرأة، لماذا تبكين؟ من تطلبين؟ فظنّت تلك أنه البستاني، فقالت له: يا سيّد، إن كنت أنت قد حملته فقل لي أين وضعته، وأنا آخذه. قال لها يسوع: يا مريم! فالتفتت تلك وقالت له بالعبرانية: ربّوني! الذي تفسيره: يا معلّم. قال لها يسوع: لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي. ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم. فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب، وأنه قال لها هذا.

في المحاكمات لم تكن هناك نساء شاهدات. لم يكنّ أهلًا لأن يكنّ شاهدات. إلى هذا الحدّ وصل الأمر. وأن يأتمن يسوع النساء على أهمّ رسالة في كل الأزمنة ويكلّفهنّ بها، أمر لا يمكن المبالغة في تقديره – بالنسبة إلى التلاميذ أنفسهم أيضًا. لم تُعلَن قطّ رسالة أهمّ وأعظم مباشرة بعد الصلب. كانت مريم الوحيدة التي كانت حيث يمكن سماع هذه الرسالة. وتُكلَّف أن تعلن هذه الحقيقة للتلاميذ، الذين كانوا قد اختبأوا خائفين. أمام هذا التكليف يدلّ السؤال عمّا إذا كان يجوز للنساء أن يعظن على قليل من الفهم.

في هذا الإرسال الفريد أسمّي مريم رسولة، امرأة كلّفها القائم من الأموات. في جنّة انخدعت حواء. وفي هذا البستان لا يُرى رجل. فقط امرأة تفتقد ربّها ومحرّرها، وتبحث عنه. لا عن الحيّ، بل عن يسوع الميت. به ربطت وجودها. كان لها كل شيء. وهذه الأمانة والمحبة يقدّرهما الرب يسوع ويكرّمهما.

ولأن مريم المجدلية مذكورة بوصفها أوّل من التقى القائم من الأموات، وأقامها هو لتعلن رسالة قيامته لتلاميذه (يوحنا 20: 11-18)، كُرّمت منذ الكنيسة القديمة بوصفها «معادلة للرسل». وفي القرن الثالث أسّس هيبوليتس الروماني (Hippolyt von Rom) اللقب الكريم apostola apostolorum، ومعناه رسولة الرسل، الذي أخذه اللاهوتي رابانوس ماوروس (Hrabanus Maurus)، بل وحتى توما الأكويني (Thomas von Aquin)، الذي سبق أن أشرت إلى صورته للمرأة.

«لم يؤسّس يسوع حركة نسائية، بل حركة من أجل البشر. ولكن ليس مفاجئًا أن النساء كنّ متقبّلات لأفكاره بشكل خاص. فالنساء، وهنّ أسيرات العزلة في عائلة معادية أحيانًا، كنّ يعرفن كم كان العالم غير آمن وظالمًا وموحشًا.»[38]

عند يسوع لا أجد أيّ إشارة إلى خضوع هرمي للمرأة، أو إلى استبعادها من خدمة علنية أو من خدمة قيادية في الكنيسة. في سلوكه تجاه النساء يتّضح كم ابتعدت صورة المرأة عند الرابيّين عن تصميم الخالق.

لقد اعتنى المسيّا ببنات حواء. هو الذي أعلن الله إعلانًا كاملًا في أعمق جوهره.

أنت صالح دائمًا، وتصنع معي خيرًا كثيرًا! يا ربّ، أعنّي لأعرف مشيئتك!

مزمور 119: 68 (Gute Nachricht – ترجمة ألمانية للكتاب المقدس)

38. Boulding, Elsie، 358، A View of Woman through Time، 1976



إلى الأبد، يا ربّ، كلمتك ثابتة، راسخة كالسماء.

مزمور 119: 89 (Neue Genfer Übersetzung NGÜ – ترجمة ألمانية للكتاب المقدس)

4 بولس صديق النساء

سمعت مرارًا، وفكّرت أنا نفسي أحيانًا، أن يسوع وبولس لا يقصدان الشيء نفسه ولا يقولانه. كأنهما تناقضا. إن أراد المرء أن يرى الأمر هكذا، فسيستطيع أن يركّب الأسباب. أما أنا فأرى أن بولس يسير على خطى يسوع، حتى حين يتعلّق الأمر بالنساء. بكرامتهنّ، وتكريسهنّ، وأمانتهنّ. والواقع أن بولس هو الذي يطبع صورة المرأة في الكنيسة برسائله أكثر حتى من يسوع. أما من يسيء فهمه، فسيصنع تناقضًا بينه وبين يسوع.

بولس نفسه يعطي في بعض مقاطع رسائله سببًا لأن يدخل التاريخ عند كثيرين عدوًّا للنساء. لكن النظرة تتغيّر. وسبب ذلك أننا ربما نستطيع، بل يجب، أن نفهم المقاطع المذكورة فهمًا آخر. وسأعود إلى هذا لاحقًا.

مع أنه جاء من التقليد الفريسي، الذي لم تكن له صورة للمرأة تحمل كثيرًا من التقدير، والمتأثّر بالفكر اليوناني، فقد تحرّر من ذلك تمامًا.[39] وفي موضع آخر من هذا الكتاب أبدي الظنّ بأن السنوات الثلاث في العربية، مباشرة بعد لقائه بالمسيح في الطريق إلى دمشق، كانت مدرسة قاسية للتخلّص من كل هذا العبء من التكوين الفريسي. لأن صور المرأة التلمودية، التي كان يسوع قد كسرها من قبل، لا مكان لها في ملكوت الله.

عمل الخادم الذي لا يكلّ، بولس، كان محاطًا بنساء كثيرات ومتشابكًا معهنّ. كنّ مندمجات في رسالته، وكحلقات في سلسلة كنّ عاملات لا غنى عنهنّ. أخشى أن بعض الرجال لم يدركوا أيّ أعمال وثمار عظيمة صنعها الله في ملكوته بواسطة النساء. في كل القرون، ولا سيّما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. حيث بدا أن الأمر لا يهمّ الله إطلاقًا، أيُسمح للنساء أن يعلّمن ويقُدن علنًا أم لا. ومهما قلّب المرء الأمر: كانت هناك مشاكل حين أصرّ «سادة الخليقة» على تفسيرهم للكتاب الذي يهيمن عليه الرجال، وأبطلوا تقريبًا مشورة الله لخدمة النساء (لوقا 7: 30).

أورد في هذا الفصل بعض الأمثلة على كيف يذكر بولس غير المتزوّج النساء بأسمائهنّ في رسائله. لا يدور الأمر أولًا حول المبادئ أو العقيدة في كون المرء رجلًا أو امرأة، وسأتناول ذلك لاحقًا. بل يدور حول نساء حقيقيات كان لبولس تعامل معهنّ. «إذا

39. هناك أيضًا افتراض بأن المعلّم غمالائيل كانت له صورة للمرأة أكثر إيجابية من زملائه، وكان يعلّم بها، وأن بولس أخذها عنه.

انطلقنا من عدد النساء اللواتي كنّ مرتبطات ببولس في خدمة مشتركة، فيبدو أنه كان أمرًا عاديًا للنساء أن يكنّ ناشطات في الكرازة بالإنجيل، وفي الخدمات التي كانت موجودة في الكنائس الناشئة. في الأساس يستعمل بولس اللغة نفسها لوصف العاملين معه من الإناث والذكور».[40]

والمعروف في هذا الصدد قائمة التحيّات في الأصحاح السادس عشر من الرسالة إلى رومية، حيث تُذكر النساء لا بأسمائهنّ فقط، بل بصفات خدمتهنّ أيضًا. الذين يدافعون عن استبعاد النساء من المناصب القيادية العلنية يقرؤون هذه النصوص قراءة مختلفة عن قراءتي. احكموا أنتم كيف يمكن أن يكون المقصود. فانطلاقًا من رواية الخليقة، وكما فُصّل في فصول أخرى من هذا الكتاب، فإن قراءتي للمساواة بين الجنسين، في الخدمة العلنية في الكنيسة أيضًا، ليست ممكنة فحسب، بل واضحة لا لبس فيها في بعض الحالات.

4.1 ليدية

أول مسيحي أوروبي هو مسيحية: بائعة الأرجوان ليدية في المستعمرة الرومانية فيلبي. إنها تضع بيتها تحت تصرّف بولس ورفاقه وأول كنيسة مسيحية في أوروبا. ليست مجرّد متلقّية لتعاليم بولس، بل محاوِرة لبولس. إنها ربّة البيت الوحيدة. وتُلحّ على بولس ورفيقه سيلا أن يقيما عندها:

> [أعمال الرسل 16: 14-15] فكانت تسمع امرأة اسمها ليدية، بيّاعة أرجوان من مدينة ثياتيرا، متعبّدة لله، ففتح الرب قلبها لتصغي إلى ما كان يقوله بولس. فلمّا اعتمدت هي وأهل بيتها، طلبت قائلة: إن كنتم قد حكمتم أني مؤمنة بالرب، فادخلوا بيتي وامكثوا. فألزمتنا.
>
> [أعمال الرسل 16: 40] فخرجا من السجن ودخلا عند ليدية، فأبصرا الإخوة (أو: الإخوة والأخوات المجتمعين عند ليدية) وعزّياهم، ثم خرجا.

«هذا يشير إلى أن بيتها صار بعد ذلك بسرعة نقطة تبلور لكنيسة بيتية. فالكنائس كانت تجتمع في البيوت. وليست ليدية وحدها، بل تظهر نساء أخريات أيضًا بوصفهنّ ممّن وضعن بيوتهنّ تحت تصرّف الكنائس. وفي ذلك يكمن أيضًا دور قيادي طبيعي لهؤلاء الناس – دور قيادي في الكنيسة بصفتهم مضيفات ومضيفين، ربما قادوا

40. Tucker, Liefeld، 436، نقلًا عن Kuen, Alfred, Die Frau in der Gemeinde، 1998

الكنائس المعنيّة أيضًا، وربما ترأّسوا العبادات أيضًا.»[41]

4.2 فيبي

[رومية 16: 1-2] أوصيكم بفيبي أختنا، التي هي أيضًا خادمة الكنيسة التي في كنخريا، لكي تقبلوها في الرب كما يليق بالقدّيسين، وتقفوا إلى جانبها في أيّ أمر تحتاج إليه منكم؛ لأنها هي أيضًا كانت نصيرة (باليونانية: prostatis) لكثيرين، ولي أنا أيضًا.

صيغة التحية، التي تبدأ بفيبي، تبيّن أنها الشخص الذي حمل الرسالة إلى أهل رومية من كورنثوس إلى عاصمة الإمبراطورية الرومانية. وهناك قرأتها على الأرجح في الكنيسة (أو في الكنائس البيتية)، وشرحتها ردًّا على الأسئلة. إنها شمّاسة كنيسة كنخريا، الضاحية المرفئية لكورنثوس. وتتلقّى من بولس مهمة بالغة المسؤولية، تتجاوز خدمة ساعي البريد.

«أريد أن أؤكّد أن هذه الملاحظة في الرسالة إلى رومية ليست، ولا يمكن أن تكون، نهاية النقاش حول النساء في الخدمة. فهناك نصوص وسياقات وتفسيرات أخرى يجب أن نتعامل معها. لكنني أشير إلى أن بولس لم يكن، على ما يبدو، يرى مشكلة في أن تؤدّي النساء في الكنائس نوعًا من دور الخطيب. ولو كانت لديه فعلًا تحفّظات، لكان إرسال فيبي إلى رومية أمرًا غريبًا جدًا جدًا. واستنتاجي هو أن مدح بولس للشمّاسة فيبي، ومكانتها بصفتها محسنته (حامية الكنيسة)، ودورها حاملةً للرسالة وممثّلةً له في الكنائس الرومانية، كل ذلك يشير إلى أن النساء كنّ جزءًا من الحياة التعليمية للكنيسة، وأن بولس شجّعهنّ صراحةً».[42]

«يمكن أن نفترض أن فيبي كانت ببساطة المرأة المحورية في الكنيسة البيتية في كنخريا، وربما وضعت بيتها تحت التصرّف، ورعت ماديًا الاحتفال بعشاء الرب، أي العشاء الرباني. وأن فيبي كانت مسؤولة عن كل ذلك، إذ عملت أيضًا محامية أو حامية لهذه الكنيسة – كل هذا يمكن قوله بناءً على رومية 16.»[43]

41. Sabine Bieberstein، باحثة في العهد الجديد في آيشتيت (Eichstätt)، مقابلة في إذاعة Deutschlandfunk، 2013
42. Bird، 37
43. Heininger, Bernhard، فورتسبورغ (Würzburg)، المرجع نفسه.

يسمّيها بولس Prostatis، وهي الكلمة التي تترجمها Elberfelder (ترجمة ألمانية للكتاب المقدس) بـ«نصيرة» (Beistand). لكن هذه الكلمة، التي لا ترد في العهد الجديد إلا مرة واحدة في هذا الموضع، تعني أيضًا يرأس (يدبّر). «يمكننا أن نفترض بشكل معقول أن بولس، اليهودي الهلّيني الذي نشأ في الشتات، كان مطّلعًا اطّلاعًا وثيقًا على المصطلح اليوناني prostates بمعنى الأول، أو السيّد، أو المدافع، أو المسؤول الذي يرأس المدينة. وهذا يعني أن القادة المسيحيين في رومية، حين استقبلوا فيبي، كانوا مدركين أنها كانت قائدة مسيحية هناك من حيث أتت.»

بحسب رومية 12: 8 التدبير (الرئاسة) موهبة نعمة في جسد المسيح، ولذلك فهو بالتأكيد ليس شأنًا للرجال وحدهم. والنساء لهنّ هذه الموهبة كما للرجال. والتدبير جزء من مهمة الشيخ (1 تسالونيكي 5: 12؛ 1 تيموثاوس 5: 17 / 3: 4، 5، 12). أن تكون النساء شيخات أو رئيسات (مدبّرات)، لا ينبغي أن يكون غريبًا في ضوء كلمات بولس هذه. ولا يمكن أبدًا أن تُمارَس باجتهاد خدمة التدبير والاهتمام بالكنيسة، والتعب المرتبط بها في الكلمة والتعليم (1 تيموثاوس 5: 17)، إذا كان على المرء أن يصمت في الاجتماع، أو لا يجوز له أن يتكلّم أو يقود علنًا.

«إنها Prostatis، رئيسة، وتُسمّى أيضًا Diakonos، وهنا يبدأ الأمر: هل هي خادمة، هل هي مساعدة في الكنيسة، كيف تُترجَم الكلمة؟» وفي هذا يتجادل المفسّرون حتى اليوم. ترجمة العهد الجديد المسمّاة Einheitsübersetzung (ترجمة ألمانية للكتاب المقدس) تتكلّم ببساطة عن «خادمة كنيسة كنخريا». «... فقد سار تفسير هذا المفهوم، أو تاريخ تأثيره، على هذا النحو: حين يسمّي رجلٌ مثل بولس نفسه diakonos، فهو خادم الكلمة، أي رسول، رجل مستقيم حرّ، يخدم الكلمة ببساطة. أما حين تُسمّى امرأة هكذا، فهي مساعدة في الكنيسة، بمعنى: هي تساعد فقط.»[44] فيبي تنتمي إلى الدائرة الكبيرة من الذين يعملون مع بولس في نشر رسالة المسيح. ويسمّيها بولس أختًا، وهذا يصف تقديره الشخصي والعلاقة بينهما. وبصفتها حاملة الرسالة كانت فيبي أوّل من يُرجَع إليه عند أسئلة الكنيسة الرومانية. كانت مطّلعة على أفكار بولس، وهكذا يمكن أن تُعَدّ أول مفسّرة للنص.

ائتمن بولس فيبي، وهي امرأة، على ربما أهمّ وثيقة في المسيحية. وهذا ليس مجرّد قرينة، بل برهان على أنه لم يكن يفرّق بين الجنسين في ما يتعلّق بالخدمة والدور في ملكوت الله.

44. Sutter Rehmann, Luzia، بازل (Basel)

4.3 بريسكا

[رومية 16: 3-5] سلّموا على بريسكا وأكيلا، العاملَين معي في المسيح يسوع، (اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتي، اللذين لست أنا وحدي أشكرهما، بل أيضًا جميع كنائس الأمم)، وعلى الكنيسة التي في بيتهما.

الزوجان بريسكا وأكيلا، الأكثر ذكرًا، ربما كانا أقدم العاملين مع بولس وأقربهم إليه في عمله الإرسالي. كانا مسيحيين يهوديين. ومع أن الرجل كان يُذكر دائمًا أولًا عند ذكر الأزواج، فإن العهد الجديد يذكر بريسكا، الزوجة، أولًا أربع مرات (من ست مرات). لماذا؟ لأنها كانت تتقدّم وتقود في الخدمة. ربما لأنها كانت أكثر موهبة من زوجها. ومع ذلك عمل كلاهما معًا شريكين في فريق، متساويين في القيمة والمرتبة، في وحدة. كان كل منهما يعرف نقاط قوة الآخر وضعفه. وبصفتها امرأة كانت بريسكا مهمة استراتيجيًا أيضًا، لأن النساء كنّ في الغالب يُبشَّرن عن طريق النساء، لا عن طريق الرجال. كلاهما، وبريسكا في المقدّمة، علّما أبلّوس. وبعد أن تعلّما من بولس نفسه، وتدرّبا بالأسئلة والأجوبة في ساعات كثيرة من صناعة الخيام المشتركة، صار كلاهما مؤهَّلين لتعليم الآخرين. وهنا بالذات يجب أن تُذكر بريسكا، وهي امرأة، بشكل خاص. كان زوجها يقف خلفها، في الصفّ الثاني، لكن دون أن يكون في ذلك تراتبية.

4.4 يونيا

[رومية 16: 7] سلّموا على أندرونكوس ويونيا، نسيبَيّ والمأسورَين معي، اللذين هما مشهوران بين الرسل، واللذين كانا في المسيح قبلي أيضًا.

زوجان إرساليّان آخران يكرّمهما بولس. أقدم مفسّري العهد الجديد، آباء الكنيسة، يتكلّمون عن يونيا بتقدير عالٍ. يوحنا الذهبي الفم (Johannes Chrysostomos) (344-407م) يكتب عن يونيا: «أن يكون المرء رسولًا أمر عظيم. لكن أن يكون مشهورًا بين الرسل – تأمّل أيّ مديح عظيم هذا. كم كانت حكمة هذه المرأة عظيمة، حتى حُسبت أهلًا للقب رسول.»

لكن في بعض الترجمات يُقرأ حتى اليوم بدلًا من يونيا اسم آخر: يونياس – رجل. غير أن اسم يونياس يظهر للمرة الأولى، بشكل موثّق، في القرن الثالث عشر – عند إيجيديوس

الروماني (Ägidius von Rom)، الراهب الأوغسطيني الناسك وتلميذ معلّم الكنيسة توما الأكويني (Thomas von Aquin). فلماذا صارت يونيا يونياس؟ لأنه في رؤية كثير من المسيحيين للعالم لا يمكن، أو لا يجوز، أن توجد رسولة.

وفي البحث العلمي سادت الآن الرؤية القائلة بأن يونيا، الصيغة الأنثوية، لا بدّ أن تكون الصيغة الأصلية عند بولس. «لقد تبيّن في منتصف القرن الماضي أن اسم الرجل يونياس لا يكاد يوجد في العصور القديمة، أي إنه غير موثّق، بينما اسم المرأة يونيا موثّق كثيرًا. وما جعل يونيا يونياس لا يمكن تفسيره على الأرجح إلا على أساس فهم خاطئ للمنصب الكنسي. فأندرونكوس ويونيا يوصفان في رومية 16: 7 بأنهما بارزان بين الرسل، وقد كان ذلك صعوبة، أو هو صعوبة: أن تُحسب يونيا بين الرسل.»[45]

الحجج والمنشورات المؤيّدة والمعارضة لكون يونيا رسولة لا تُحصى. فإن كانت رسولة، فلم تكن كذلك بمعنى الاثني عشر أو بمعنى بولس، بل بوصفها مبشّرة استراتيجية فعّالة. وحتى إن لم تكن رسولة، فلا بدّ أن التقدير لها كان هائلًا. في الثقافة القديمة لم يكن ذلك مألوفًا. إنه يُظهر كيف امتدّ أثر الإنجيل الشافي إلى مسألة الجنسين أيضًا. ولكن أيضًا كم يصعب على عالم كنسي يهيمن عليه الرجال أن يتعامل مع هذه المسألة.

«من الممكن أن أندرونكوس ويونيا، وربما كانا زوجين، كانا رسولين بمعنى شخص تُرسله كنيسة كمبشّر، مثل أبفرودتس في فيلبي 2: 25 وتيطس في 2 كورنثوس 8: 23. لكن مثل هؤلاء الناس يُسمَّون عادة، من قِبَل الكنيسة التي جاؤوا منها، ‹رسل الكنائس› أو ‹رسولكم›، أو حتى، مثل فيبي، ‹خادمة (شمّاسة) كنيسة كنخريا›. وبدلًا من ذلك يمكن أن يكون أندرونكوس ويونيا رسولين بمعنى أنهما كانا شاهدين لقيامة يسوع، وكُلّفا آنذاك بالمهمة التي كانا يمارسانها الآن خارج فلسطين (1 كورنثوس 15: 6-7). وهذا تدعمه حقيقة أن بولس يقول إنهما ‹كانا في المسيح قبلي›، بحيث إنهما اهتديا في فلسطين في وقت ما نحو 30-32م. والمواضع الأخرى الوحيدة لكلمة ‹رسول› في الرسالة إلى رومية تصف تكليف بولس بالذهاب إلى الأمم (رومية 1: 1؛ 11: 13). وقد قرّر إلدون إب (Eldon Epp) مؤخّرًا: ‹تبقى الحقيقة أنه في أقدم جيل من المسيحية كانت هناك رسولة سُمّيت هكذا صراحةً، وعلى المسيحيين اليوم – علمانيين وإكليروسًا – أن يواجهوا ذلك (وسيفعلون في النهاية).›»[46]

45. Heininger, Bernhard، المرجع نفسه.
46. Bird, Michael، المرجع نفسه.

4.5 مريم، تريفينا وتريفوسا، برسيس

[رومية 16: 6] سلّموا على مريم، التي تعبت لأجلكم كثيرًا.

[رومية 16: 12] سلّموا على تريفينا وتريفوسا، العاملتين في الرب. سلّموا على برسيس المحبوبة، التي عملت كثيرًا في الرب.

بماذا يفكّر المرء حين يتكلّم بولس عن العمل والخدمة؟ يُجمل بولس كل خدمته، كل ما فعله، بوصفه عملًا (تعبًا) (مثلًا 1 كورنثوس 15: 10؛ 16: 10؛ غلاطية 4: 11؛ 1 تسالونيكي 3: 5؛ 5: 12)؛ التبشير، التعليم، الحثّ؛ كلها خدمات كانت تحدث في الغالب علنًا، وكانت خدمات للكلمة. أيّ سبب لدينا لنفهم خدمة هؤلاء النساء فهمًا مختلفًا عن خدمة بولس؟ كنّ نساء شجاعات، خدمن المسيح في محيطهنّ، في وضعهنّ الفردي. ليس فقط عند الموقد أو في البيت، بل أيضًا في الكنيسة البيتية. لم تكن هناك مبانٍ كنسية بعد. بل في البيت الخاص أو في الهواء الطلق. كان المسيحيون يجتمعون أيضًا في الأماكن العامة، في الورش أو في النُّزُل. أو كما عند ليدية عند النهر، وكذلك في المعموديات، كانت مثل هؤلاء النساء يقفن بقوة، تمامًا مثل إخوتهنّ في الرب. ما يمدحه بولس هو عمل مرئي ومسموع علنًا من أجل ملكوت الله.

إجمالًا يذكر بولس 10 نساء في رومية 16، إذا أدخلنا فيبي من كنخريا. وإذا أدخلنا النساء من رسائل بولس الأخرى، يرتفع عدد النساء اللواتي يذكرهنّ إلى 18. كان بولس يقدّر خدمة النساء، وكان يعدّ كثيرات منهنّ شريكات في الخدمة. لم يسمّهنّ قطّ راعيات أو شيخات، لكنه أيضًا لم يسمّ قطّ شركاءه الذكور في الخدمة رعاة أو شيوخًا. لم يُشر بولس قطّ إلى العاملين معه بمصطلحات توحي بالسلطة أو النفوذ أو الهيبة. لقد فهم أنهم إخوته وأخواته، وأنهم، تمامًا مثله، مكلَّفون من يسوع المسيح. هذا كان فهمه للخدمة والعمل المشترك.

4.6 أفودية وسنتيخي

[فيلبي 4: 2-3] أطلب إلى أفودية وأطلب إلى سنتيخي أن تفتكرا فكرًا واحدًا في الرب. نعم، أسألك أنت أيضًا، يا شريكي المخلص، ساعد هاتين اللتين جاهدتا

معي في الإنجيل.

أن تجاهدا معه في الإنجيل لا يمكن أن يعني إلا أنهما بشّرتا به أيضًا. وذلك بحيث لقيتا معارضة في العلن أيضًا.

كان بين هاتين المرأتين خلاف. وقد أثّر ذلك مباشرة في الجماعة. لم يكن ذلك ساحة قتال جانبية، بل أصاب قلب الكنيسة. ومن هنا يمكن أن يُستنتج أنهما كانتا تتولّيان وظائف قيادية أو تدبيرية معيّنة. يذكرهما بولس في نفس واحد مع أكليمندس وعاملين آخرين معه. كفريق كان لا بدّ أن يُنصح فيه لاعبان فرديّان ألّا يتخلّيا عن روح الفريق.

ربما كانتا من النظّار (episkopos) والشمامسة (diakonos)، الذين يحيّيهم بولس ويخاطبهم في بداية رسالته إلى أهل فيلبي. وهذه القراءة لا تشكّل أيّ مشكلة، إذا كان المرء مقتنعًا بأنه لا يوجد خضوع هرمي للمرأة للرجل، وأن النساء والرجال يعملون معًا في الكنيسة متساوين في المرتبة.

4.7 خلوي

[1 كورنثوس 1: 11] لأني أُخبرت عنكم يا إخوتي من أهل خلوي أن بينكم خصومات.

ربما يمكن القول إن بولس يكتب صراحةً في بداية الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس بالذات: إنه سمع من أهل خلوي عن الأحوال السائدة في كورنثوس. فهذا يعني: خلوي هذه تؤدّي دورًا مهمًا، دورًا علنيًا، في الكنيسة. ومن الممكن تمامًا أنها كانت قائدة، وأنها هي التي أرسلت الوفد إلى بولس.

وعلى كل حال كانت امرأة، لم تكن مجرّد معرفة جيدة لبولس، بل يذكرها لأنها كانت ذات أهمية خاصة بين أهل كورنثوس. ومثل هذه الأهمية لا ينالها المرء عند بولس بالغنى، ولا بالجنس، ولا بالعلاقات الجيدة، بل بالخدمة من أجل المؤمنين.

4.8 نمفا

[كولوسي 4: 15] سلّموا على الإخوة الذين في لاودكية، وعلى نمفا، وعلى الكنيسة التي في بيتها.

من البديهي أن ربّات البيوت التي كانت تستطيع أن تستقبل كنيسة بيتية كنّ يتولّين أيضًا مهام قيادية. ليس ذلك حتميًا، لكنه ممكن جدًا. وبوجه عام من اللافت أن امرأة كانت تدعو الإخوة والأخوات في الإيمان. وبصفتها مضيفة، ربما كانت أرملة. وإن كانت متزوّجة، وكان زوجها مؤمنًا أيضًا، فمن اللافت أكثر أنها هي، لا هو، تُذكر بصفتها المضيفة. على نحو مشابه لترتيب ذكر بريسكا وأكيلا. ففي بيت العائلة في العصور القديمة كانت المرأة في الغالب المديرة، التي كانت تعمل هناك باستقلالية كبيرة، وإن كانت تحت زوجها. ومن اللافت أن في كولوسي أيضًا تُذكر ما يُسمّى قائمة الواجبات المنزلية، أي نظام البيت في العائلة الأبوية تقريبًا: [كولوسي 3: 18] «أيتها النساء، اخضعن لرجالكنّ كما يليق في الرب.» ومع ذلك فنمفا هي التي تدعو.

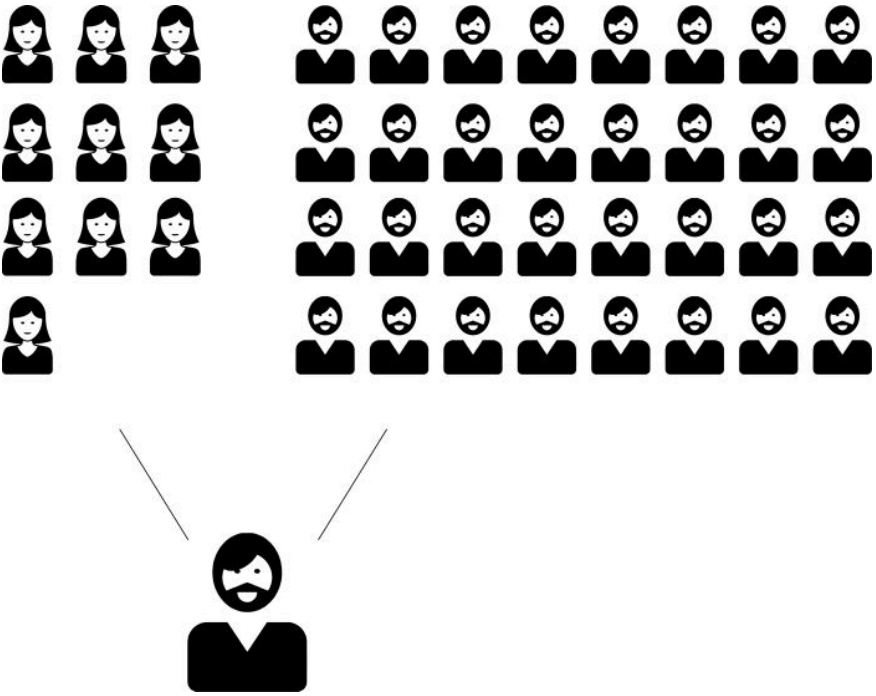

يذكر بولس في العهد الجديد بالاسم 39 شخصًا بوصفهم العاملين معه. 10 منهم نساء. يتكلّم عن الجميع بالطريقة نفسها، دون أن يفرّق بينهم أيّ تفريق. اللاهوتي المعروف ف. ف. بروس (F. F. Bruce)، اللاهوتي المحترم عالميًا من حركة الإخوة (الإخوة المنفتحون)، يلاحظ: «(بولس) لا يبدو أنه يفرّق بين الرجال والنساء من العاملين معه. فالرجال والنساء كلاهما ينالون المديح على العمل معه في خدمة الإنجيل، دون تلميح إلى فرق خفيّ بين هذا وذاك من حيث المقام أو الوظيفة.» ربما كان هناك مزيد من النساء يمكن ذكرهنّ، وفحص أسمائهنّ وصفاتهنّ بتفصيل أكبر. لكن الآن ينبغي أن يكون واضحًا أن بولس كان في زمنه صديقًا ثوريًا للنساء، هدم الأسوار الهرمية. رجلًا تتلمذ في مدرسة يسوع، مع أنه لم يعرف يسوع الأرضي معرفة شخصية. لكنه انتهز فرصًا كثيرة ليعرف عنه قدر الإمكان. ومن بطرس، ومن العامل معه لوقا، لا بدّ أنه عرف الكثير عن يسوع. ومن ذلك أيضًا سلوكه تجاه النساء. وإن كان في فريق أسفاره، على حدّ علمنا، عاملون ذكور فقط، فإنه، كما تُظهر هذه النصوص، لم يصنع فروقًا كانت ستضع النساء في الصفّ الثاني. فما كان حاسمًا عنده هو كم كنّ أمينات، وموهوبات، ومستعدّات للبذل. الجنس لم يكن له وزن عنده!

4.9 بولس الأمّ المرضعة

كان بولس صانع اتّجاه. ضد اتّجاه عصره. مثال الرجولة اليوناني-الروماني، الذي يؤمّن بجدّ النظام الهرمي الاجتماعي، ويدافع عنه، ويعيشه، لا يجد عند بولس أيّ صدى إيجابي. بالنسبة إلى الكنيسة يشكّل هذا السلوك الأبوي الموجَّه نحو السلطة، الذي يريد أن يُبقي الضعفاء ضعفاء ويعزّز موقع القوة الخاص، خطرًا كبيرًا. وهذا السلوك كان يختبئ وراء كل التوتّرات والانقسامات تقريبًا في كورنثوس. ومسائل السلطة لا تزال تؤدّي اليوم أيضًا دورًا بين الرجال، وكثيرًا ما تطغى على المضمون. وهنا قد يكون لمجرّد حضور النساء، مثلًا زوجات الإخوة القادة أو الشيوخ، أثر شافٍ.

يقدّم بولس نفسه مرارًا بوصفه من ينبغي التمثّل به، كما أنه هو متمثّل بالمسيح (1 كورنثوس 4: 16؛ 11: 1؛ فيلبي 3: 17؛ 1 تسالونيكي 1: 6). إنه رجل لا يُحسن الكلام، جاهل من أجل المسيح، امرأة ترضع طفلًا، أب يجلب العار على أولاده، ورجل بتول (1 كورنثوس 1-7). مثل هذا الرجل كان سيأخذ بالضرورة في مجتمع ذلك الزمن موقعًا أدنى، ومن ثمّ يُستبعَد من المؤسّسات والمواقع المحفوظة للرجال.

«من وجهة نظر بولس تمثّل مؤسّسات النظام الأبوي بنى قمعية للزمن الحاضر، وليست ممثِّلة للطريقة التي ينبغي أن يعيش بها شعب الله. ... على الرجال أن يكونوا جهّالًا، لا خطباء مهيمنين، وألّا يستغلّوا المكانة في المحاكم الرومانية، بل أن يعيّنوا رجالًا من مكانة أدنى للفصل في الخلافات، وأن يُخضعوا أجسادهم لنسائهم، وأن يتكيّفوا مع عادات الأكل لدى الضعفاء. والغاية من هذه الممارسات هي منع روح التحزّب التي كانت تهدّد بتمزيق أهل كورنثوس، وذلك بإنهاء السلوكيات التي تخلق التنافس والسعي وراء السلطة والمكانة، الذي كان متفشّيًا في كورنثوس الرومانية. يصنع بولس هوية ذكورية محدّدة شبيهة بالمسيح، يعرف أنها ستقوّض نوع ألعاب المكانة والسلطة التي كانت هي القاعدة في السياقات الرومانية الحضرية. وهدف بولس هو وحدة جماعة المؤمنين. ولبلوغ هذه الوحدة يشكّك بولس مباشرة في الأنظمة الهرمية التي تضع بعض أعضاء الجماعة فوق آخرين، بأن يدعو أعضاء الجماعة الذين قد يستفيدون من مثل هذه الأنظمة إلى أن يجسّدوا عن قصد هويات تجعلهم يتماهون مع أعضاء الجماعة الأدنى مكانة. إن الارتباط الطاغي بين السلطة والرجولة اقتضى أن يتناول بولس هذا النوع من الرجولة الذي كان الرجال في كورنثوس يسعون

إليه.»[47]

وحول سؤال دور الرجل في المجتمع القديم، يُبدي توم هولاند (Tom Holland)، الكاتب البريطاني المعروف، الملاحظات التالية: «يقوم الاقتصاد الجنسي (للعالم القديم) على الحقّ المطلق للرجال الرومان الأحرار في ممارسة الجنس مع من يريدون، وكيفما يحلو لهم.» ويقول أيضًا عن السلوك العام للرجال في السلطة: «في كل جانب تقريبًا هذا عالم قاسٍ قسوة لا توصف بالنسبة إلى طريقة تفكيرنا». وإلى هذا العالم تأتي، من وجهة نظر هولاند، رسائل بولس وتفكيره بأثر كبير، وتُربك خصوصًا عالم الرجال المهيمن.

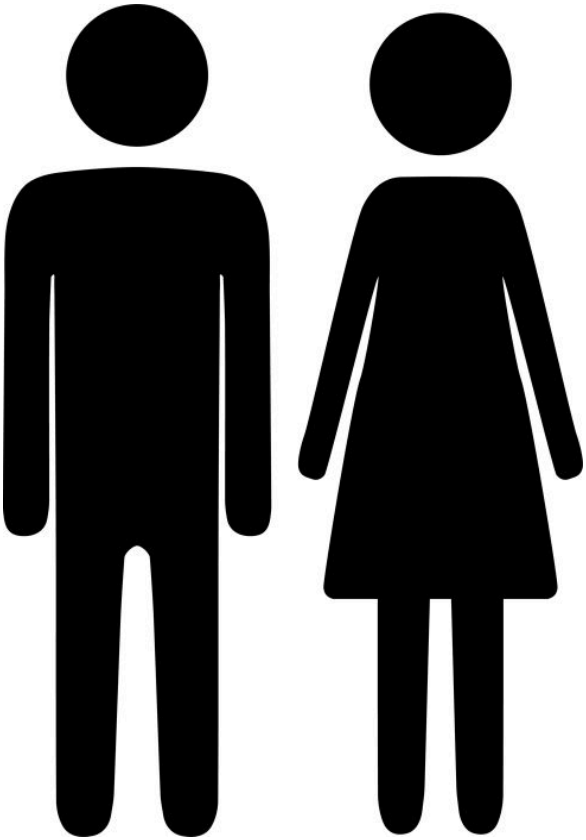

47. Being Subordinate Men: Paul's Rhetoric of Gender and Power in 1 Corinthians, Brian J. Robinson, Lanham, 2019, 214

5 الرجل والمرأة في الزواج

من رواية الخليقة استنتجت أنه لا يوجد خضوع هرمي للمرأة للرجل. والعهد القديم لا يطلب ذلك. لكن حين يقرأ المرء رسائل الرسل، يُشار أكثر من مرة إلى أن على المرأة أن تخضع للرجل. ومن هنا يمكن – حتى وإن كان ذلك بعد بضعة آلاف من السنين – أن تُستشفّ تراتبية ينبغي أن تُعاش الآن في الزواج. كيف تُفهم هذه التوجيهات؟ لذلك لا بدّ من نظرة إلى الوراء، إلى حياة الزواج والعائلة في القرن الأول. وكثير ممّا وصفته واقتبسته سابقًا عن العلاقة بين الرجل والمرأة في التاريخ، يُستعاد هنا مرة أخرى حيًّا إلى الذاكرة.

5.1 البيت في العصور القديمة وقواعده

كان الأويكوس (Oikos، باليونانية: οἶκος) في اليونان وروما القديمتين جماعة البيت والمعيشة التي شكّلت محور الحياة. وكان الأويكوس يضمّ العائلة، والخدم والعبيد، والأرض، والمباني، وكل المتاع المنقول – على غرار الفيلّا الرومانية. وكان ربّ الأسرة هو السيّد، الـكيريوس (Kyrios)، الذي يسود سيادة أبوية على زوجته وأولاده، وكثيرًا ما كان يسود أيضًا على الأبناء البالغين الساكنين في الأويكوس وعلى زوجاتهم.

كان البيت هو فضاء الحياة، والصورة القديمة لما نسمّيه نحن العائلة. لا أسرةً صغيرة بولد أو ولدين، بل عائلة ممتدّة فيها الوالدان أو والدا الزوج أو الزوجة، وأفراد العائلة غير المتزوّجين. وكان حجم البيت مرتبطًا بالطبع بالقدرة المالية. فالغالبية العظمى من الناس كانوا فقراء، يعيشون على حدّ الكفاف أو دونه. ومع ذلك كانت البنية الاجتماعية لعائلاتهم هي بنية البيت القديم، حتى لو سكنوا في أكواخ من طين.

كان البيت القديم العمود الفقري للمجتمع القديم. وكان من حقّ ربّ البيت أن يرأس البيت ويديره، أي الـpaterfamilias. والبيت (domus) – الذي وصفه الكتّاب القدماء بأنه الخليّة الأولى للمجتمع والمدينة المصغّرة – صار في الوقت نفسه من أهمّ الاستعارات للكنائس المسيحية الأولى. وذلك مثلًا حين تُسمّى الكنيسة أو الجماعة بيتًا أو جماعة بيت يرأسها الله بوصفه ربّ البيت (انظر الرسالتين إلى تيموثاوس والرسالة إلى تيطس).

فالبيت إذن هو خلاصة العائلة القديمة، بيت حقيقي، وفي الوقت نفسه صورة لبيت الله، أي الكنيسة. وفي هذه البيوت كانت تُعقد اجتماعات المسيحيين.

كثيرًا ما يتكلّم سفر أعمال الرسل وبولس عن البيت. وعلينا أن نفهم تصوّرنا لما هو البيت في المحيط الثقافي لزمن بولس، لا من خلال نظّارة زماننا.

كانت هناك نساء يرأسن بيوتهن، وكثيرات منهن أرامل. وصرن مضيفات لكنائس بيتية، وكانت لهن بهذه الصفة وظائف قيادية أيضًا.

كان البيت القديم مكانًا مقدّسًا، فيه مذبح بيتي تُقدَّم عليه الذبائح للآلهة كل يوم. وكانت سلامة الجماعة البشرية في البيت متوقّفة على رعاية (cultus) العلاقة بالآلهة، وهي رعاية كان يُراد بها ضمان السلام مع الآلهة. وكان البيت فضاء المرأة، وهي التي كانت تؤدّي هذه الطقوس بوصفها كاهنة. فتخيّلوا أيّ مواقف صعبة كانت تنشأ حين تصير المرأة مسيحية والرجل لا.

لماذا لهذه الحقائق التاريخية أهمية لموضوعنا؟ لأن الرسل يوجّهون تعليماتهم إلى داخل بنى العلاقات القديمة هذه، التي لا نعرفها بكل تفاصيلها، والتي لا نعيش فيها اليوم أيضًا.

يصف العهد الجديد البيت، أي العائلة (الممتدّة)، بوصفه أمرًا قائمًا. فلا يحكم عليه بأنه جيد ولا بأنه سيّئ. إنه «نتاج ثقافي» قديم جدًا. هكذا تطوّر عبر آلاف السنين، بمزايا كثيرة وعيوب كثيرة. وفي داخله يأتي الإنجيل.

5.1.1 قوائم الواجبات المنزلية في العهد الجديد

«قائمة الواجبات المنزلية (Haustafel) في العهد الجديد تعني توجيهًا بحسب المنزلة أو الوظيفة أو الدور لأفراد البيت المسيحي القديم في علاقتهم بعضهم ببعض. وهذا المصطلح الذي صاغه مارتن لوثر (Martin Luther) (الملحق الثاني للتعليم المسيحي الصغير، 1529) يُستعمل في طبعات الكتاب المقدس بترجمة لوثر بصيغة "قائمة الواجبات المنزلية المسيحية" عنوانًا فرعيًا لأفسس 5: 21-6: 9 وكولوسي 3: 18-4: 1. ويُستعمل المصطلح لنصوص العهد الجديد ذات الطابع الأخلاقي التي تتعلّق بفئات من الأشخاص في البيت، وأحيانًا أيضًا في الكنيسة (بوصفها "بيت الله"، 1 تيموثاوس 3: 15)، لكن لا في المجال الاجتماعي السياسي.»[48]

48. WiBiLex، Das wissenschaftliche Bibellexikon im Internet

المقاطع التي تتكلّم عن الطريقة التي ينبغي أن يتصرّف بها الأزواج والزوجات في الزواج، أو عن الطريقة التي ينبغي أن يفهموا بها أدوارهم في علاقتهم بعضهم ببعض، تنتمي إلى ما يُسمّى قوائم الواجبات المنزلية أو مدوّنات قواعد البيت. فتعليم العهد الجديد عن الزواج مرتبط بالسؤال: كيف ينبغي لبيوت بكاملها أن تنظر إلى مواقعها الجديدة بعضها تجاه بعض، الآن وقد صار بعض أفرادها أو جميعهم مسيحيين؟ ولذلك أمثلة كثيرة في العهد الجديد وفي الكتابات المسيحية المبكرة:

أفسس 5: 21-6: 9؛ كولوسي 3: 18-19؛ 1 تيموثاوس 2: 8-15 (الرجال–النساء)

1 تيموثاوس 6: 1-2 (العبيد–السادة)

تيطس 2: 1-10 (الشيوخ، العجائز، الشبّان، العبيد)

1 بطرس 2: 18-3: 7 (العبيد، الزوجات، الأزواج)

وقد طُوّرت هذه القوائم في كتابات مسيحية لاحقة، ومنها الديداخي (Didache)، في اتجاهات أخرى: الديداخي 4: 9-11 (الآباء، الأولاد، السادة، العبيد)؛ رسالة برنابا 19: 5-7 (الآباء، الأولاد، العبيد، السادة)؛ رسالة إقليمندس الأولى 1: 3 (القادة، الشبّان، النساء)، و21: 6-9 (القادة، الشيوخ/البالغون، الشبّان، الزوجات، الأولاد)؛ رسالة إغناطيوس إلى بوليكاربوس 4: 1-6: 2، ورسالة بوليكاربوس إلى أهل فيلبي 4: 2-6: 1 (الزوجات، الأرامل، الشمامسة، الشبّان، العذارى، الشيوخ).

ومثل هذه الأحاديث التعليمية الأساسية الموجّهة إلى فئات اجتماعية تظهر أيضًا في نصوص غير مسيحية، ولعلّ أوضحها في كتاب «السياسة» لأرسطو (Aristoteles)، ثم لدى آريوس ديديموس (Arius Didymus)، ولدى فلاسفة الشوارع (شاروندس المنحول Ps.-Charondas، وزالوكوس المنحول Ps.-Zaleukos).

«يلاحظ ماكنايت (McKnight) أن قواعد البيت هذه تتكلّم بشكل مختلف إلى قرّاء مختلفين. فهي عند بعضهم تدعم بلا لبس بنى أبوية؛ وتؤكّد النظرة الهرمية التي ترى أن الأب والزوج هو ربّ البيت، ويقصدون بذلك صراحةً أن له السلطة على جميع الأشخاص الذين في رعايته. أما آخرون فتُريهم شيئًا آخر. "ففي حين يكتشف بعضهم في هذه المقاطع ترسيخ النظام الأبوي، يرى آخرون أن هذه البنية بالذات تُخلَع عن عرشها، أو على الأقل تُتاح لها فرصة أن تُخلَع عن عرشها. فيبدو إذن، كما في مواضع كثيرة من الكتاب المقدس، أن قوائم الواجبات المنزلية هذه تخبرنا بشيء عن المنظورات القديمة لكتّابها، وبشيء عن أنفسنا حين نقرؤها! ... وينبغي أن نتّفق جميعًا

على أن تفسير قائمة الواجبات المنزلية يحمل معه تصوّراتنا الاجتماعية الخاصة."»[49]

فلم يكن جديدًا على الزوجة المسيحية آنذاك أن تسمع أن الخضوع مطلوب منها. لكنني أتخيّل أن التوجيه الموجّه إلى الأزواج، الذي يُقرأ بصوت عالٍ ليسمعه الجميع، أي الكنيسة البيتية كلها، قد أحدث موجات كبيرة في البيت كله. فالآن عرفت هي ومن حولها أن هذا السلوك مطلوب منه أيضًا، من الـpaterfamilias. هنا تحدث الثورة المسيحية.

5.1.2 أثر قوائم الواجبات المنزلية المسيحية

«يشير سكوت ماكنايت (Scot McKnight) إلى أن قوائم الواجبات المنزلية المسيحية كان لها هدف محدّد. فقد "صيغت بحيث تعزّز أنماط سلوك محترمة اجتماعيًا بوصفها منصّة للأمان الاجتماعي وللدفاع عن الإيمان وللتبشير" (1 بطرس 2: 13-3: 7، ولا سيّما 2: 12، 14؛ 3: 2).

فالمسيحيون ينبغي أن "يعيشوا كأحرار، لكن لا يستعملوا حرّيتهم لفعل الشرّ؛ عيشوا كعبيد لله" (1 بطرس 2: 16). كان المسيحيون موضع شبهة بأنهم يبشّرون برسالة هدّامة، ولذلك وُضعوا تحت الاختبار. وبما أن البيت كان يُفهم في الفلسفة الأخلاقية اليونانية الرومانية "بوصفه الوحدة الأساسية للحضارة"، كان تأثير الديانات المشبوهة في العائلة يُراقَب عن كثب.

وتحمل الرسائل في قوائم الواجبات المنزلية عناصر تقويض، إذ تبتعد عن فهم المراتب السائد آنذاك وتقلبه. فالتابعون يُخاطَبون في الرسائل مباشرة. وهذا ابتكار مسيحي صريح، ويبدو فريدًا في محيط قديم. فقوائم الواجبات المنزلية في العهد الجديد تخاطب النساء والعبيد والأولاد مباشرة إلى جانب أزواجهن وسادتهم وآبائهم، وهذا دليل على أن الكاتب يعترف بقدرتهم على الفعل وبكرامتهم معًا.

يكتب هورتادو (Hurtado): "لا ينبغي أن نتسرّع في إغفال ما كان يعنيه هذا، حتى هذا الاعتراف المتواضع بالكرامة، في هذا المحيط القديم، لأولئك الذين لم يكونوا قادرين بغير ذلك على تغيير وضعهم. والذي ليس واضحًا للقارئ الحديث هو أن قوائم الواجبات المنزلية المسيحية تعدّ الفئات التابعة فاعلين أخلاقيين، ‹قادرين ومسؤولين عن الاستجابة للنصائح الموجّهة إليهم›. تذكّروا أن بيوتًا بكاملها كانت تعبد الله معًا،

49. Peppiatt, Lucy، ص. 87-88، Rediscovering Scripture's Vision for Women: Fresh Perspectives on Disputed Texts، 2020، IVP Academic، Downers Grove، Illinois

وأن الرسائل كانت تُقرأ على الكنيسة المجتمعة. فكانت الطبقات الدنيا تسمع التوجيهات الموجّهة إلى رؤسائها، والعكس صحيح. وهذا حقًا هو المفتاح لفهم سبب كون قوائم الواجبات المنزلية المسيحية هدّامة؛ فهي تحمل في داخلها قلب المراتب الشائعة التي كانت تُعطى للرجال والنساء والعبيد والأولاد، وقلب التوقّعات التي كانت مطلوبة منهم.”»[50]

5.1.3 قائمة الواجبات المنزلية في أفسس 5

تحت عنوان نظام البيت القديم أو قائمة الواجبات المنزلية أقتبس من مفسّرَين معروفين للكتاب المقدس، يعبّران تعبيرًا جميلًا ودقيقًا عن قوّة الإنجيل الانقلابية والثورية في هذه البنى القديمة.

أجرى مايكل بيرد (Michael Bird) مقابلة مع لين كوهيك (Lynn Cohick) عن تفسيرها الجديد للرسالة إلى أفسس في سلسلة NICNT المعروفة، وطرح عليها في جملة ما طرح هذا السؤال:[51] ماذا نفعل اليوم بقوائم الواجبات المنزلية؟ هل ينبغي أن نسعى إلى اتّباعها حرفيًا، أم نجمّلها بوصفها محاولة لتنصير الأخلاق الاجتماعية الوثنية؟

«ينبغي أن نطيع الكتاب المقدس – بالطبع! والسؤال هو: ماذا يطلب بولس؟ في هذه النقطة يدخل مفهوم “الحرفية” في الصورة. فنحن لا نستطيع أن نطيع حرفيًا الكتاب المقدس الذي يتضمّن الأحكام الخاصة بالعبودية، لأن العبودية محظورة (مع أنني أدرك أن العبودية ما زالت تحدث، كما في الاتّجار بالنساء مثلًا). ونحن نعترف ضمنيًا بأن بولس لا يصرّ على أنه يجب أن تكون في المجتمعات عبودية؛ بل يعالج حاجةً: كيف ينبغي للكنيسة أن تعامل أعضاءها الذين هم عبيد ومالكو عبيد. علينا أن نكتشف ما يريده في ما يخصّ العلاقات الإنسانية والشخصية / الفضيلة، ثم نطبّق ذلك في سياقنا. ومن المقطع الخاص بالعبودية أستخلص أن قول بولس – الله لا يحابي أحدًا – يصيب صميم علاقات السيطرة والإساءة. فالعبودية قامت على السيطرة واستعمال العنف والترهيب. وكل ذلك غير مقبول عند الله، لأنه يرى الجميع متساوين في القيمة.

50. Peppiatt, Lucy، ص. 87-88، Rediscovering Scripture's Vision for Women: Fresh Perspectives on Disputed Texts، 2020، IVP Academic، Downers Grove، Illinois
51. www.patheos.com/blogs/euangelion/2020/07/lynn-cohick-on-ephesians/#disqus_thread

كانت الأخلاق الاجتماعية الوثنية هرمية، بنظام سيادة لصالح المتفوّقين اجتماعيًا والأغنياء والمسيطرين، ونقصٍ في المكانة / الاحترام الاجتماعي للفقراء. فالمرأة المالكة للعبيد كانت لها سلطة على عبدها الذكر. ففي هذه الحالة تتفوّق الملكية على الجنس. وبسبب التراتبية الاجتماعية المتعدّدة الطبقات والمعقّدة في العالم الروماني، كان على كل واحد أن يخضع لآخر، وكان المفتاح في ذلك أن يحرص المرء على أن يفعل ذلك على الوجه الصحيح. نحن اليوم نرى "الخضوع" كلمة سلبية، لكن الأمر لم يكن كذلك في العصور القديمة. وحين يطلب بولس أن يخضع جميع المؤمنين "بعضهم لبعض" (أفسس 5: 21)، فهو يرغب في أن يحترم بعضهم بعضًا بوصفهم مؤمنين معًا، لا على أساس القيمة الاجتماعية التي صادف أن منحها المجتمع للمؤمن. فالزوج الذي يحبّ امرأته محبّة باذلة لنفسه، كما فعل المسيح لكنيسته، كان أمرًا ثوريًا في العالم غير اليهودي. فبولس يُدخل في الزواج التبادلية والمشاركة والمعاملة بالمثل، إذ يرى الزوج امرأته كأنها جسده هو. وهنا يُفهم ضمنًا أن المرأة أيضًا ترى زوجها كأنه جسدها هي. ويكتب بولس ذلك في 1 كورنثوس 7: 1-4، حيث يقرّر أن الرجل ليس له سلطان على جسده، بل لامرأته. وحين ندرك أولًا أيّ نوع من المحبة المتبادلة الباذلة للنفس ينبغي أن يميّز الزواج، وندرك أن كل واحد في ذلك الزمن كان يخضع لأحد بوصف ذلك جزءًا من ثقافة العصر، إكرامًا للآخرين، يصير في وسعنا أن ننظر نظرة جديدة إلى ذلك الموضع المختلف فيه، الذي يقول حرفيًا: "النساء لرجالهن كما للرب" (5: 22). سيلاحظ القارئ اليقظ أنني نسيت الفعل، لكن بولس في الحقيقة هو الذي يحذف الفعل. أو بتعبير أدقّ، يأخذ الفعل من الآية السابقة، التي يُطلب فيها أن يخضع جميع المؤمنين بعضهم لبعض توقيرًا / مهابةً للمسيح.»

5.1.4 سبب الخضوع المتبادل

يكتب كريغ كينر (Craig Keener)، اللاهوتي والمفسّر المرموق، عن قائمة الواجبات المنزلية في أفسس 5، وفي البداية بشيء من السخرية[52]: «أحيانًا تلحق ببولس سمعة سيّئة. فروايات العبيد مليئة بمشاعر عبيد سابقين أحبّوا يسوع لكنهم كرهوا بولس، لأن مالكي العبيد كانوا يقتبسون بانتظام أفسس 6: 5: "أيها العبيد، أطيعوا سادتكم". أما ما لم يقتبسه مالكو العبيد فهو بقية المقطع، التي تقول: "وأنتم أيها السادة، افعلوا لهم

52. www.cbeinternational.org/resource/article/mutuality-blog-magazine/case-mutual-submission-ephesians-5. يقدّم موقع www.cbeinternational.org موارد جيدة في موضوع دور الرجل والمرأة فى الكنيسة. وشعار هذا الموقع هو: النساء والرجال يقودون معًا، ويخدمون متساوين.

الشيء نفسه" (6: 9). أي إنه إن كان على العبيد أن يطيعوا سادتهم، فعلى السادة أيضًا أن يطيعوا عبيدهم!

هل أخذ أحد في القرن الأول كلام بولس في هذه النقطة بحرفيته؟ على الأرجح لا. لكن ذلك لا يغيّر شيئًا في أن ما قاله فعلًا عبّر عن واحد من أكثر الآراء جذرية ضدّ العبودية في زمانه. لم يتكلّم عن إسقاط المؤسّسة بالعنف؛ بل إن ثورات العبيد الفاشلة في زمانه لم تحاول ذلك قطّ. لكنه تكلّم عن أخلاقيات تتجاوز مجرّد النظرية.

كان بعض الفلاسفة الرواقيين الأوائل قد دافعوا عن المساواة بين البشر، لكن الرواقيين تراجعوا عن ذلك، ومن كان منهم قادرًا على ذلك امتلك عبيدًا. وقد وافق بولس الرواقيين من حيث المبدأ: فأكّد أن للعبيد ومالكي العبيد الربّ نفسه في السماء (أفسس 6: 9). لكن توجيهه "افعلوا لهم الشيء نفسه" يتجاوز النظرية إلى الممارسة.

ليس هذا صدفة، ولا زلّة لسان من بولس أو من قلم كاتبه. فبولس يؤطّر مقطعه كله عن قائمة الواجبات المنزلية بالخضوع المتبادل. وما هي قوائم الواجبات المنزلية، تسألون؟

في عمله عن إدارة الدولة، كتب المفكّر اليوناني أرسطو (Aristoteles) قسمًا كبيرًا عن دور العائلة. وفيه أوصى ربّ البيت الذكر بأن يحكم امرأته وأولاده وعبيده. وتبنّى المفكّرون اللاحقون المخطّط نفسه، وكثيرًا ما كان ذلك بالترتيب نفسه. وبما أن روما كانت تشكّ في أن جماعات الأقلّيات الدينية تقوّض هذه القيم التقليدية، كانت مثل هذه الجماعات كثيرًا ما تحرص على تأكيد إيمانها بالقيم الرومانية.

يقدّم بولس سلسلة من قوائم الواجبات المنزلية بالترتيب نفسه الذي عند أرسطو: علاقة ربّ البيت الذكر بالزوجات والأولاد والعبيد. ومن الممكن أن بولس يفكّر كأحد أبناء أقلّية دينية – فهو في النهاية يكتب من الأسر الروماني، والأرجح أنه موجود في روما (أفسس 3: 1؛ 4: 1؛ 6: 20).

لكن بولس يغيّر الصيغة المألوفة. فبدلًا من أن يخاطب الرجال الذين يملكون العبيد وحدهم، يخاطب أيضًا النساء والأولاد والعبيد، الذين كانوا يشكّلون الجزء الأكبر من الكنيسة. (ففي كنائس بولس في المدن كان العبيد عبيدًا منزليين، لهم حرّية أكبر، وكانت فرصة العتق متاحة لهم أكثر من غيرهم من العبيد. ومع ذلك ظلّوا عبيدًا.)

وفوق ذلك لا يوصي ربّ البيت الذكر أبدًا بأن يحكم. بل عليه أن يحبّ امرأته ويخدمها، باذلًا حياته لأجلها (5: 25). وعليه ألّا يغيظ أولاده (6: 4)، وأن يعامل العبيد كرفقاء له في العبودية لله (6: 9).

والأهمّ من ذلك أن بولس يؤطّر قائمة توجيهاته كلها (5: 21-6: 9) بالدعوة إلى الخضوع المتبادل: أن يخضع بعضكم لبعض (5: 21)، حتى تجاه العبيد (6: 9). وهذا يضع الخضوع في سياق جديد: مثال ربّنا وتعليمه، هو الذي دعانا جميعًا إلى أن يخدم بعضنا بعضًا (مرقس 10: 42-45؛ قارن يوحنا 13: 14-17، 34-35؛ غلاطية 5: 13-14).

بعض الرجال اليوم يحبّون أن يقتبسوا أفسس 5: 22 ("أيتها النساء، اخضعن لرجالكن") خارج سياقه، كما كان مالكو العبيد يقتبسون أفسس 6: 5.

لكن لا يوجد في اليونانية فعل في 5: 22. فالنصّ يقول ببساطة: "أيتها النساء لرجالكن". وطبعًا لا يقول: "أيتها النساء، افعلن برجالكن ما تشأن." فالنحو اليوناني يفترض أن نأخذ الفعل من الآية السابقة، وهذا الفعل هو "يخضع". وبما أن الفعل مأخوذ من 5: 21، فلا يمكن أن يعني شيئًا غير ما يعنيه في 5: 21. فخضوع الزوجة ليس إلا مثالًا على الخضوع المتبادل؛ كما أن الزوج يبذل حياته لأجل امرأته.

يعترض بعضهم قائلين: "لكن الخضوع مطلوب صراحةً من الزوجة وحدها!" آه، لكن وصية المحبة موجّهة صراحةً إلى الزوج وحده (5: 25). ومع ذلك نفهم أن على جميع المسيحيين أن يحبّ بعضهم بعضًا (5: 2)، وأن على جميع المسيحيين أن يخضع بعضهم لبعض (5: 21). ومع أن بولس لا يحاول أن يغطّي كل الظروف، فإنه يعطينا مبدأ عامًا لكيفية عيشنا بعضنا مع بعض: أن نهتمّ بمصالح الآخر، وأن يصغي بعضنا إلى بعض، وأن نحبّ الآخرين أكثر من أنفسنا.»

5.1.5 توجيهات للحياة المسيحية – اليوم

إذن لا تستطيع ما تُسمّى قوائم الواجبات المنزلية أن تشمل كل حالة من حالات الحياة وأن تعطي لها توجيهات محدّدة. لكن هناك توجيهات تصحّ دائمًا وفي كل مكان. «نحن نتأمّل في قوائم الواجبات المنزلية هذه من جهة أن الكتاب المقدس يعطي إطارًا لحياة المسيحيين في المجتمع. لكن قد تكون ببساطة غير ذات صلة عند كثيرين، لأنها لا تشبه وضع حياتهم في شيء. فإن كان شخص يعيش وحده، أو كان أبًا أو أمًّا يربّي أولاده وحده، أو كان يعيش مع جماعة من الأصدقاء، كما هو الحال كثيرًا في الغرب،

فلن تُسهم قوائم الواجبات المنزلية بشيء في حياته المشتركة. وفوق ذلك نفترض أن المسيحيين لن يكون لهم عبيد. فلن يكون هناك عبيد، وربما لا زوج ولا زوجة ولا أولاد. وقد لا يكون في البيت إلا رجال أو إلا نساء، كما هو الحال منذ قرون في الجماعات الرهبانية. وفي هذه السياقات لن تتشكّل الحياة المسيحية بنظام البيت، بل بوفرة أنماط السلوك المعبَّر عنها بـ"بعضكم بعضًا". وفي العهد الجديد 59 آية من هذا النوع، يُدعى فيها جميع المسيحيين أولًا إلى أن "يحبّ بعضهم بعضًا"، وأن يغفروا، وأن يشجّعوا، وأن يعيشوا في سلام، وأن يحتمل بعضهم بعضًا، وأن يخضع بعضهم لبعض، وأن يصلّي بعضهم لأجل بعض، وأن يتشاركوا في كل ما لديهم، وألّا يبغض بعضهم بعضًا، ولا يفتري بعضهم على بعض، ولا يكذب بعضهم على بعض، ولا ينهش بعضهم بعضًا ولا يأكل بعضهم بعضًا. والمسيحي المتزوّج والوالد المسيحي أيضًا مرتبطان بآيات "بعضكم بعضًا" هذه، ويجب أن تشكّلهما أولًا وقبل كل شيء الوصية بـ"المحبة المتبادلة".»[53]

5.1.6 المرأة في البيت القديم

لكي يصير واقع الحياة في البيت القديم ملموسًا، فإن الوصف التالي للنساء، ولا سيّما للإماء، وصف يصدم القارئ ويوقظه: «من المهمّ أيضًا أن نشير إلى أننا، في دراستنا لحياة النساء في الكنائس البيتية، وجدنا أدلّة على الدور القيادي للنساء ومشاركتهن وإسهامهن في الحياة الجماعية على كل المستويات، وكذلك أدلّة على عجز النساء ومعاناتهن. فالنساء المسيحيات الأوائل لم ينجون من كثير من المصائر والأوضاع المروّعة التي واجهتها النساء في ذلك الزمن. وقد اتّجه انتباهنا بشكل خاص إلى محنة أكثر النساء عجزًا في النظام، يهوديات كنّ أو مسيحيات أو غير ذلك: الإماء. فالمجتمع قام على العبودية ولم يكن يستطيع أن يوجد من دونها. ومعظم البيوت، مهما كانت متواضعة، كانت تقوم جزئيًا على عمل العبيد. وكان توافر العبيد جنسيًا لمالكيهم ولكل من يتيحهم لهم مالكوهم أمرًا بديهيًا. ولا بدّ أن الإماء المسيحيات في سنّ الإنجاب كثيرًا ما وجدن أنفسهن في أوضاع شبه مستحيلة، إذ كنّ يُعلَّمن أن يعشن بحسب قانون أخلاقي مسيحي، وكثيرًا ما كان ذلك مستحيلًا عليهن. فلا نستطيع مثلًا أن نستبعد أن العفّة والأمانة لأولادهن ولأبي أولادهن كانتا مستحيلتين على بعضهن، وأن فعل ترك الرضيع وتعريضه للموت كان يبدو لبعض الإماء اليائسات اللواتي كنّ عضوات في جماعات كنسية، ولا سيّما إن كنّ مملوكات لغير مسيحيين، ضرورةً

53. Peppiatt، 88، المرجع نفسه

للبقاء. كنّا نرجو أن تكون الحياة مختلفة في بيت مؤمن، لكن لا توجد أدلّة متينة على ذلك، وتوجد أدلّة وافرة على أن بيوتًا بكاملها كثيرًا ما لم تعتنق الإيمان الجديد معًا. وكان هناك على الأرجح عبيد مسيحيون كثيرون في بيوت غالبيتها غير مسيحية، وكانت حياة إيمانهم قاسية فعلًا».[54]

إن الخضوع غير المفروض والإرادي ليسوع المسيح، ولكل من هو تلميذه، يُظهر كيف هو يسوع. فطبيعة الله نفسه تُعلَن حين يخضع مالك العبيد للعبد، والزوج للزوجة – والعكس. لكن سبب ذلك، في الخضوع المتبادل، لا يمكن عندئذ أن يكون فرقًا هرميًّا. فهذا هو المعيار والواجب المفروض في العالم (آنذاك). أما في ملكوت الله فليس الأمر كذلك. ولذلك لا علاقة لخضوع المرأة لزوجها بعلاقة هرمية. فما يميّز الخضوع هو أن يتّخذ المرء موقف الخضوع رغم المساواة، لا لأن تراتبيةً تقتضي ذلك على أي حال.

وأختم بملاحظة أن هذا الزمن القديم لا يبدو بعيدًا بُعدًا لا متناهيًا من الناحية التاريخية فحسب، بل إننا في الغرب، في ألمانيا، نعيش في زمن مختلف جدًا، أكثر حرّية وأبسط وأكثر أمانًا، بل مبارك من وجوه كثيرة. فكيف نقرأ قوائم الواجبات المنزلية لأنفسنا؟ هل يمكن تطبيقها اليوم حرفيًا؟ وكيف نطبّقها؟

5.2 الرأس والخضوع: أفسس 5

حين ذهب بولس إلى آسيا الصغرى واليونان وإيطاليا، احتكّ بثقافات كانت تنظر إلى النساء بطريقة مختلفة تمامًا عمّا هو مألوف لنا اليوم في الغرب. فعلينا إذن أن نجتهد في أن نرى أقوال بولس عن الزواج والعائلة ودور النساء في ضوء وضعهن آنذاك والمعاملة التي كنّ يلقينها.

النصّ الكلاسيكي لكون الرجل رأسًا هو أفسس 5. فبولس يقول بوضوح ومن غير لبس إن الزوج هو رأس امرأته وإن عليها أن تخضع له:

> [أفسس 5: 22-33، مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية] أيتها النساء، اخضعن لرجالكن أنفسهن، كما للرب. لأن الرجل هو رأس المرأة، كما أن المسيح أيضًا هو رأس الكنيسة؛ وهو مخلّص الجسد. ولكن كما أن الكنيسة خاضعة للمسيح، كذلك النساء أيضًا لرجالهن في كل شيء.

54. Osiek, Carolyn، 2006، A Woman's Place: House Churches in Earliest Christianity، 127.

أيها الرجال، أحبّوا نساءكم، كما أحبّ المسيح أيضًا الكنيسة وبذل نفسه لأجلها، لكي يقدّسها، مطهّرًا إياها بغسل الماء بالكلمة، لكي يُحضر الكنيسة لنفسه ممجَّدة، لا دنس فيها ولا غضن ولا شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدّسة وبلا عيب. كذلك يجب على الرجال أيضًا أن يحبّوا نساءهم كأجسادهم. من يحبّ امرأته يحبّ نفسه. فإنه لم يبغض أحد جسده قطّ، بل يقوته ويربّيه، كما المسيح أيضًا الكنيسة. لأننا أعضاء جسده، من لحمه ومن عظامه. «من أجل هذا يترك الإنسان أباه وأمّه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسدًا واحدًا.» هذا السرّ عظيم؛ ولكنني أقوله من نحو المسيح والكنيسة. وأمّا أنتم أيضًا، فليحبّ كل واحد منكم امرأته هكذا كنفسه؛ وأمّا المرأة فلتهَب رجلها.

ويكتب بولس إلى أهل كولوسي:

[كولوسي 3: 18-19] أيتها النساء، اخضعن لرجالكن كما يليق في الرب. أيها الرجال، أحبّوا نساءكم ولا تكونوا قساة عليهن.

5.2.1 الرأس

في أفسس 5 يكون رأس الإنسان (باليونانية: kephale) بالمعنى المجازي الاستعاري عضو القيادة. وفي هذا المقطع، كما في مواضع أخرى من الرسالة، يرمز الرأس إلى التفوّق في المرتبة، والسموّ، والسيادة.

واللافت للنظر أن وظيفة الرأس هذه، أي أن يحكم ويقود ويقرّر، لا تُذكر ولا تُطلب ولو بكلمة واحدة. فإن أبرزنا التوجيهات المحدّدة الموجّهة إلى الرجال، فهمنا أيّ الوظائف تحدّد كون الرجل رأسًا وأيّها لا:

1. وأمّا أنتم أيضًا، فليحبّ كل واحد منكم امرأته هكذا كنفسه.
2. هو مخلّص الجسد (منقذه)، كالمسيح.
3. أيها الرجال، أحبّوا نساءكم، كما أحبّ المسيح أيضًا الكنيسة وبذل نفسه لأجلها.
4. كذلك يجب على الرجال أيضًا أن يحبّوا نساءهم كأجسادهم.

في هذا المقطع تتناول معظم الآيات الرجال، وثلاث آيات فقط تتناول النساء. وأن بولس لا يصف سلطة الرأس ولا يطالب بها، فذلك مرتبط على الأرجح بقصد. فهو لم ينسه ببساطة. وسأقول المزيد عن ذلك لاحقًا.

5.2.2 العائلة في العصور القديمة

في هذا الأصحاح الخامس وفي بداية الأصحاح السادس يدور الكلام على الزوجين. ثم على الآباء والأولاد، وعلى العبيد والسادة. وهؤلاء الأشخاص، ويمكن أن نضيف إليهم الأجداد أو والدي الزوج أو الزوجة، والإخوة والأخوات غير المتزوّجين، والعمّات والخالات والأعمام والأخوال، يشكّلون البيت، أي العائلة الممتدّة (انظر الفصل 5.1). لم يكن المجتمع، كما هو اليوم، مطبوعًا بالأسر الصغيرة. فتحت سقف واحد كان يعيش البيت كله. بوصفه نظامًا أبويًا. وكان للأب، وهو رجل في كل الأحوال، المقام الأول في البيت. لا على زوجته وحدها.

وهذا النسيج الاجتماعي للعائلة (الممتدّة) ليس إعلانًا من بولس، بل هو المألوف في زمانه. فهو لا يرسم نموذجًا جديدًا أو أفضل للعائلة، بل «نموذجًا للسلوك» جديدًا.

والترتيب الهرمي للمراتب الموصوف هنا ليس النموذج المثالي – حتى وإن قارنه بالمسيح والكنيسة –، بل هو نتيجة السقوط. فالنظام الأبوي جزء من تحقّق كلمات العقوبة الموجّهة إلى المرأة، بأن الرجل سيسود على المرأة.

والمقارنة بين المسيح والكنيسة من جهة والزوج والزوجة من جهة أخرى صورة تعليمية، تشبيه. صورة تُلزم الرجل بواجباته حين يُقارَن بالرأس، بالمسيح. وصورة لا تضع التراتبية في المقام الأول، حين يدور الأمر على العلاقة بين المسيح والكنيسة وبين الزوجة والزوج. ففي هذه الصورة يدور الأمر على الوحدة والمشاركة والإعالة، وفوق كل شيء على المحبة.

ولعلّ لهذا التشبيه وجهين، كان أحدهما أهمّ أو أنسب لزمن كتابته منه اليوم. فمن جهة تتبنّى هذه الصورة توزيع الأدوار السائد آنذاك، لكي تعيد في الوقت نفسه تعريفه.

5.2.3 الأخذ بالحرف؟

هل نستطيع أن ننقل صورة هرمية للرأس والجسد إلى يومنا هذا بحرفيتها؟ هل يصف بولس هنا معيار الحياة الزوجية والعائلية؟ أقارن ذلك بالطريقة التي يصف بها الأولاد والعبيد في سياق جماعة البيت. فهو يقول:

[أفسس 6: 1-4، مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية] أيها الأولاد، أطيعوا والديكم في الرب، لأن هذا حقّ. «أكرم أباك وأمّك»، التي هي أوّل وصية بوعد، «لكي يكون لك خير وتكون طويل العمر على الأرض.»

وأنتم أيها الآباء، لا تغيظوا أولادكم، بل ربّوهم بتأديب الرب وإنذاره.

لهذه الكلمات ما تقوله لنا اليوم من أمور مهمّة. لكن من المشروع أن نسأل: إلى أيّ سنّ كان الأولاد آنذاك، وإلى أيّ سنّ يكونون اليوم، تحت سلطة الوالدين؟ كانت للأب سلطة على أولاده أكبر بكثير ممّا هي اليوم. فالأولاد اليوم يُربَّون على الاستقلال. واللافت للنظر أن الكلام لا يدور على المحبة في هذه العلاقة أيضًا. لا من جهة الوالدين ولا من جهة الأولاد.

وفي ما يخصّ العبيد أيضًا تغيّر الوضع تغيّرًا كاملًا، والحمد لله، لكن ذلك لا يظهر في هذا النصّ:

[أفسس 6: 5-9، مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية] أيها العبيد، أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة، في بساطة قلوبكم، كما للمسيح؛ لا بخدمة العين كمن يُرضي الناس، بل كعبيد المسيح، عاملين مشيئة الله من القلب، وخادمين بنيّة طيّبة كما للرب لا للناس، عالمين أن كل واحد مهما عمل من الخير فإنه سيناله من الرب، عبدًا كان أم حرًّا. وأنتم أيها السادة، افعلوا لهم الشيء نفسه، واتركوا التهديد، عالمين أن ربّكم أنتم أيضًا وربّهم هو في السماوات، وأنه ليس عنده محاباة.

من يستطيع أن يعيش هذه الكلمات بحرفيتها؟ إن نقلها بوصفها خالدة إلى علاقة صاحب العمل بالعامل اليوم سيفشل. لا يمكن ذلك! فالعبودية كما كانت في العصور القديمة لم تعد موجودة. وهنا أيضًا لا يتصدّى بولس لظلم العبودية، بل يتناول موقف المعنيّين الذين صاروا بالإنجيل أناسًا جددًا. والمسيحيون لا ينظّمون علاقات عملهم بحسب هذه التوجيهات وحدها. بل سيضيفون إليها كلمات أخرى ليسوع وكلمات أخرى لله مقياسًا لليوم.

والأمر نفسه يصحّ على سلوكنا تجاه حكوماتنا. فبولس وبطرس يطلبان الخضوع لهذه السلطات. حتى وإن كانت أشكال الحكم هذه والحكّام فيها أبعد ما تكون عن المثالية. فهي غير مثالية تمامًا كالنظام الأبوي، وكالعبودية، وكالطريقة التي كان الناس يعاملون بها الأولاد في العصور القديمة.

حين يعطي بولس توجيهات تصحّ في بنى اجتماعية كالعائلة والعمل، فلا يستطيع أن ينطلق إلا ممّا كان يعرفه وممّا كان مألوفًا في زمانه. فهو لم يكتب إلى مسيحيين في القرن الحادي والعشرين! ومع ذلك فهي كلمة الله، التي هي لنا معيار إلهي.

تسكت هذه النصوص عن أن الوضع ليس مثاليًا. فأمور مهمّة من منظور اليوم لا تُتناول. وعلينا أن نطبّقها على وضعنا الحالي. وجميع قرّاء الكتاب المقدس والأمناء له ينقلونها من غير وعي إلى زماننا، حتى أولئك الذين يظنّون أنهم يأخذون كل شيء بحرفيته.

لنعد إلى التوجيهات الموجّهة إلى الأزواج وإلى سلوك الزوجات. هنا أيضًا لا يمكن، كما لا يمكن في حالة السادة والعبيد، أن ننقل ذلك إلى اليوم بحرفيته.

فمن يريد أن يطبّق هذه التوجيهات، عليه أن يُحيي أوضاع العصور القديمة. إن فهمنا الحالي للزواج، حتى عند المسيحيين المحافظين الأمناء للكتاب المقدس، بعيد عن العصور القديمة إلى حدّ أنه من الخطر حقًا أن نزعم أن هذا يصحّ اليوم حرفًا بحرف. فأيّ امرأة «خاضعة» لزوجها «في كل شيء»؟ وأيّ امرأة تهاب زوجها؟ فالمقصود هنا أكثر من مجرّد الاحترام. لا نستطيع أن نتملّص بأن نخفّف بعض الكلمات أو نجمّلها ونجعلها بطريقة ما ملائمة للقرن الحادي والعشرين. فإن أراد المرء أن يطبّقها بحرفيتها، فليطبّقها كاملة، كما هي مكتوبة. لعلّ ذلك ممكن وضروري في ثقافات ذات طابع أبوي شديد، حتى وإن لم يكن يومًا مطابقًا لمثال الله. فهناك كثير من النساء أسيرات تقاليد عائلية موروثة. وكثيرًا ما لا يستطعن أن يمارسن حقوقهن الأساسية، وأولادهن تحت رحمة النظام الأبوي.

فمن هذا النصّ، إن فُسّر بحرفيته أو بحرفية كتابية، ينتج خضوع هرمي للزوجة تحت الزوج. وهذا لا ينصف الصورة الكتابية كلها، ولا تطبيقها على ظروف الحياة اليوم.

5.2.4 الوضع في السياق

يراقب المسيحيون المحافظون هذه الكلمة بريبة. لكنها لا تعني إلا وصف العمل الفكري: كيف نستطيع اليوم أن نعيش أفكار الله في زماننا المختلف تمامًا. ويمكن أن يُسمّى ذلك أمانةً للكتاب المقدس.

حين يدور الأمر على خضوع المرأة في كل شيء، فإن بولس لا يصف بالتفصيل ماذا يعني ذلك. فلا تُذكر حالة بعينها ولا مثال. فكيف ينبغي أن نفهم ذلك؟ هل على المرأة

أن تقبل العنف الأسري؟ هل عليها أن تكون مستعدّة للجنس في كل وقت؟ هل يقرّر الرجل كل شيء؟ سنتّفق على أن هناك حدودًا، وعلى أن «في كل شيء» لا يمكن أن تعني كل شيء، لا آنذاك ولا اليوم. والثابت أن المرأة التي لم تكن تخضع لزوجها في العصور القديمة (أيًّا كان ما يعنيه ذلك في التفاصيل) كانت شهادة سيّئة للإنجيل.

لبولس كلام واضح موجّه إلى الرجال. كلمات لم تُسمع قطّ على هذا النحو: إقبال بالمحبة على الزوجة بلا شروط، ورعايتها والعناية بها كالنفس. فإن أُطيع ذلك، أمكن أن ينشأ من النظام الأبوي «نظام أبوي قائم على المحبة». ففي ممارسة الحياة الزوجية تكون المحبة نهاية الخضوع. لأن المحبة لا تُكره على شيء، بل تعيش في توافق متبادل. والزوج المحبّ لن يتجاوز إرادة امرأته. وهكذا سيتصرّف في النهاية أيضًا الرجال الذين يؤمنون بخضوع هرمي للزوجة. المحبة والاحترام المتبادلان يفوقان الخضوع أو الإذعان! إن بولس يخطو في هذا النصّ خطوة أولى كبيرة إلى خارج النظام الأبوي. وكما أن إلغاء العبودية لم يكن ليحدث إلا بعد زمن طويل، كذلك الأمر في الزواج، الذي لم يُعَش بالمساواة في الحقوق إلا بعد زمن طويل.

الوضع في السياق مطلوب دائمًا. فالكتاب المقدس يعطي توجيهات لأوضاع لم تعد موجودة اليوم. ولا يعطي، ولا يستطيع أن يعطي، توجيهات لأوضاع لم توجد إلا في زماننا (ما بعد) الحديث. فلم تكن هناك آنذاك دور للمسنّين، ولا ديمقراطيات كديمقراطيات اليوم، ولا إنترنت، ولا طبّ متطوّر يطيل العمر، إلخ. فكيف نتصرّف في هذه المجالات؟ نحاول أن نهتدي بالكتاب المقدس، وبيسوع، وبوصية محبة القريب.

5.2.5 مرة أخرى: الرأس

الرأس استعارة، تشبيه يطبّقه بولس على العلاقة في شركة الزواج. ويمكن أن تعني كلمة الرأس المصدر أو الأصل أو مصبّ النهر. وفي الغالب الرأس الحرفي. لكنها تعني أيضًا الأسبقية والتفوّق في المرتبة.

في الرسالة إلى أفسس يصف بولس ما شأن الرأس. ففي 1: 22 يكون المسيح المُقام والمرفوع إلى العرش رأسًا فوق كل القوّات والكائنات في الكون:

[أفسس 1: 22-23] وأخضع الله كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل رأسًا فوق كل شيء للكنيسة، التي هي جسده، ملء الذي يملأ الكل في الكل.

فالمسيح بوصفه رأسًا فوق كل شيء له أسمى مكان كرامة يمكن أن يوجد. ولهذا الرأس وُهبت الكنيسة جسدًا. لا بمعنى أنه بوصفه رأسًا يسود على الكنيسة، لا، بل إن الكنيسة تشاركه مكانه فوق كل شيء. ففي وحدة الرأس والجسد يكون هو «المسيح (الكامل)». كما أن حواء أُخذت من آدم، وهو لم يصر كاملًا إلا معها، جسدًا واحدًا، لكي يتمّما معًا مهمّة الخليقة.

وفي 4: 15-16 ينمو الجسد نحو الرأس، ويتلقّى الإعالة الروحية والبنيان من الرأس (منه، من الرأس؛ انظر أيضًا كولوسي 2: 19):

[أفسس 4: 15-16] لننمُ في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس، المسيح، الذي منه كل الجسد، مركّبًا معًا ومقترنًا بمؤازرة كل مفصل، ... يُحدث لنفسه نموّ الجسد لبنيانه في المحبة.

هذه الاستعارة تشدّد على إعالة الرأس للجسد. فصورة الرأس لا تشدّد في العلاقة بين المسيح والكنيسة على الخضوع الهرمي، ولا في العلاقة بين الزوج والزوجة أيضًا. إنها مثال للرجل ليكون ما هو المسيح للكنيسة: مُعيلها، لا المتسلّط عليها.

وبالمناسبة، كان تطهير المرأة بالماء عملًا من أعمال العبيد. فبولس يذهب بعيدًا جدًا في قلب الأدوار: الآن يصير الرأس حتى كالعبد، إذ يقوم بالغسل في حمّام الماء (5: 26).

لنعد إلى واقع الحياة في القرن الأول: كانت النساء آنذاك أصغر سنًّا من الرجال بكثير. وكنّ يُزوَّجن أحيانًا في سنّ الثانية عشرة. فكان الرجل بحكم السنّ وبطبيعة الحال في الدور الأقوى. وإن كان الخضوع متوقَّعًا في هذا المحيط الثقافي والاجتماعي، فلم يكن ذلك أمرًا جديدًا على النساء عمومًا. ومع فارق كبير في السنّ صار الرجال تلقائيًا الرأس، بل كأنهم سيّدهن.

أما عندنا اليوم فالأمر مختلف. فحين يتدبّر الزوجان الحياة معًا في محبة وخضوع متبادلين، ويؤسّسان عائلة، فلا حاجة إلى خضوع المرأة من طرف واحد. طرحت هذا السؤال مرارًا على أزواج. فلم يستطيعوا أن يجيبوا عن سؤال ماذا يمكن أن يعني هذا الخضوع بالتحديد، كما يصفه بولس في أفسس 5، اليوم أو في زواجهم. وسيكون من التبسيط المفرط أن نحصر ذلك في القرارات البعيدة الأثر التي يتّخذها الرجل في النهاية ويتحمّل مسؤوليتها أيضًا. لا، فالأزواج الذين سألتهم يتّخذون القرارات، ولا

سيّما البعيدة الأثر منها، معًا أمام الرب. فمرة يتبع أحدهما الآخر، ومرة العكس. وهذا الموقف وهذا الأسلوب لا يمسّان صورة الرأس والجسد بسوء.

إن المحبة المتجرّدة الباذلة للنفس، كما أحبّ المسيح الكنيسة، هي المقياس الجديد للإنجيل. وهذا هو ما يصنع الفرق، الذي كان ينبغي أن يكسر، كالبذرة، ببطء لكن بلا توقّف، خرسانة النظام الأبوي في الزيجات المسيحية. هذا جديد. إنه اقتحام السماء لعالم ساقط. ومع ذلك يترك بولس في توجيهاته النظام الأبوي قائمًا، ولا ينتقده صراحةً. ولذلك فإن صورة الرأس بوصفه سلطة تلائم في ذلك الزمن وضع البيت العائلي والزواج. حتى وإن لم تكن المثال الأصلي بحسب الخليقة، كما يوصف في التكوين 1 و2.

إن الحياة بوصف المرء رأسًا، بوصفه زوجًا، تعني أن يقود، وأن يتحمّل المسؤولية، وأن يقف إلى جانب امرأته، وأن يكون حاضرًا لأجلها. وأن يشاركها في كل شيء. هذه ليست تراتبية! إنه شراكة بين اثنين، فريق. فكون المرء رأسًا من دون تراتبية ليس ممكنًا فحسب، بل هو الفكرة والطريق إلى التحقيق العملي.

إن «دور الرأس»، أي كون المرء رأسًا، أو «الرئاسة» على مثال المسيح، هو محبة وإعالة وحماية – وتقدُّم في الطريق. إنه قوّة يأتمنها المرء على نفسه، وشركة لا تقود إلى السلبية، بل إلى الفاعلية، وكذلك إلى البذل المتبادل.

ثم إن صورة جامدة أحادية الجانب للرأس والجسد لا يمكن أن تُطبَّق بالطريقة نفسها على كل زواج، لأن الناس مختلفون جدًا. فـاستعارة الرأس والجسد تتكلّم أولًا عن الوحدة، وعن الشركة، وليس آخرًا عن المحبة.

5.2.6 استنتاجات

من جهة يصوّر بولس صورة الزواج والعائلة الأبوية من غير نقد. ومن جهة أخرى يُحدث فيها ثورة. فالسلطة القائمة بالفعل في النظام الأبوي تتحوّل إلى وصية المحبة، فيُترك الطريق القديم. فإن أحبّ الزوج كما يقول بولس، فلن يكون الخضوع الأحادي الجانب للمرأة موضوعًا أصلًا. لأن محبة المسيح تطلب من الرجل أيضًا أن يخضع وأن يعيش الاحترام تجاه امرأته.

فهو يفتتح هذا المقطع، أو يربطه بما سبقه، بأن يقول للجميع: اخضعوا بعضكم لبعض (في جسد المسيح)! هذا لم يُسمع قطّ على هذا النحو. ولا يمكن أن نبالغ في إبراز هذه

الكلمات.

ثم إن بولس لا يصف دور الرأس بأنه حاكم أو قيادة أو سلطة. فهو لا يفسح مجالًا لهذه الصورة كما كثيرًا ما تُشرح للوهلة الأولى بمعنى التفوّق في المرتبة. الرأس لا يسود. إنه يحبّ بلا شروط وبذلًا للنفس.

لا يصف بولس هنا صورة مثالية للزواج والعائلة لكل الأزمنة. بل يُدخل شيئًا جديدًا تمامًا إلى ثقافة قائمة. الإنجيل بذار يصنع الجديد. تحرير من عواقب السقوط. والتغييرات المحرِّرة لا تحدث بسرعة. فقد تُقمع طويلًا أو تُهدم من جديد. إنها تسير خطوة خطوة. خطوة بعد خطوة ينمو، في أفضل الأحوال، شيء جديد وأفضل. والحرّية في أن نعيش بالمساواة في الحقوق يجب أن تُتعلَّم. فالبنى الاجتماعية التي عمرها آلاف السنين لا تُشفى في عقد واحد.

لذلك لا ينبغي أن نستغرب أن نسمع من بولس وبطرس أن على النساء أن يخضعن. فقد كان ذلك هو المألوف على أي حال في زمانهما. كان الزوج هو السيّد. صاحب القرار. مؤسّسة قائمة. ولو تخلّت النساء اللواتي صرن مؤمنات عن هذا الموقف كما كان مألوفًا، لكان ذلك عثرة. ولكان الإنجيل قد ساءت سمعته. وكان لا بدّ من منع ذلك.

نحن اليوم شاكرون لأننا نستطيع أن ننتخب حكومتنا انتخابًا ديمقراطيًا. وأيضًا لأن العبودية لم تعد موجودة. ولأن هناك حماية للعاملين. ولأن الرجل والمرأة متساويان في الحقوق. ولأن العقاب بالضرب محظور والأولاد محميّون. هذه كلها في النهاية ثمار الإنجيل، الثمر الذي زرع بذاره يسوع والاثنا عشر وبولس قبل 2000 سنة.

قبل مئة سنة كتبت كاثرين بوشنل (Katharine Bushnell)، وهي طبيبة ومرسلة في الصين، وكانت تتقن أيضًا اللغات الكتابية القديمة: «لنا أن نتشجّع. فحتى زمن قريب كان وجود طبقة من العبيد يُعدّ ضرورة، وكانت العبودية تُعدّ مشروعة. فبعض الرجال، كما كان يُقال، وُلدوا عبيدًا، وآخرون سادة لهم، ولم يكن العالم يستطيع أن يستمرّ من دون هاتين الطبقتين. وقد انفجر هذا الوهم كالفقاعة، والعالم يستمرّ استمرارًا عاديًا تمامًا. وما دامت العبودية قائمة، كان الناس يظنّون أنهم وجدوا لها تبريرًا في كلمة الله. لكن عدد الذين يظنّون ذلك صار يقلّ أكثر فأكثر. وعدد الذين يعتقدون أنهم يجدون في كلمة الله تبريرًا لسيادة الرجل على المرأة يتناقص أكثر فأكثر.»

ولم يعد صوتها يُسمع بعد وقت قصير. ولذلك يسعدنا أكثر أن كتابها صدر باللغة الألمانية في الوقت نفسه مع هذا الكتاب (Reformatorischer Verlag H. C.

Beese، هامبورغ، انظر في آخر الكتاب).

إن الخضوع الذي يُطالَب به وتنفّذه النساء يحملهن على التخلّي عن مسؤولية يستطعن أن يحملنها ويرغبن في حملها. ويمكن أن تصير النساء، تحت عقيدة الخضوع، أناسًا مستسلمين سلبيين، لا تبلغ قدراتهم ودعواتهم تحقّقها. لكن الدعوة إلى أن يكنّ قويّات و«رجالًا»، وأن يعشن بشجاعة ونشاط في الإيمان، موجّهة إليهن أيضًا: في العائلة، وفي العمل، وفي الكنيسة، وفي ملكوت الله (1 كورنثوس 16: 13).

ومن الآثار الجانبية المؤلمة لتعليم الخضوع، لا بدّ للأسف من أن نذكر على الأقل العنف الأسري والعنف الجنسي. فهذا التعليم يمكن فعلًا أن يصير ذريعة أو غطاءً لاستعمال العنف عند أولئك الأزواج الذين لم يفهموا ما ينبغي أن يكون عليه دورهم بوصفهم رأسًا للمرأة.

وحتى في الزيجات المسيحية المحافظة يوجد، ويا للأسف أمام الله، عنف أسري واغتصاب جنسي. وهنا يمكن للنظرة الكتابية إلى التساوي في القيمة والتساوي في المرتبة أن تُحدث أثرًا شافيًا. ويمكن أن تُخرج النساء من عذابهن الذي كثيرًا ما يبقى مكتومًا.

5.3 أن تكون خاضعًا

لأن الإشارة إلى الخضوع تتكرّر مرة بعد مرة، سأخصّص له فصلًا مستقلًّا مرة أخرى.

التوجيهات الموجّهة إلى النساء واضحة، وتتكرّر مرارًا: عليهن أن يخضعن لأزواجهن! والمصطلح hypotassō يعني: أن يُخضع المرء نفسه، أن ينتظم تحت آخر، أن يمتثل، أن يكون خاضعًا، أن يطيع.[55] ولأن هذا التوجيه يرد بالصيغة نفسها أكثر من مرة بالذات، أعود إليه مرة أخرى، حتى وإن كرّرت استنتاجاتي. فوضع المرأة ليس موضوعًا زوجيًا فحسب، بل يمتدّ أثره إلى اجتماع العبادة. فالصمت والخضوع مرتبطان على ما يبدو (1 كورنثوس 14: 34)، وكذلك منع التعليم مع التوجيه بأن تتعلّم في خضوع (1 تيموثاوس 2: 11). وسأقول المزيد عن ذلك لاحقًا.

إن دراسة لهذه الكلمة ستُظهر في أيّ سياقات ترد: بوصفها دعوة إلى موقف، وبوصفها نتيجة، وأيضًا بوصفها وضعًا مفروضًا بالقوّة. فالمسيح أُخضعت له كل القوّات. ونحن

55. «Bergmeier, R., في ὑποτάσσω». H. Balz – G. Schneider (edd.), Exegetisches Wörterbuch zum Neuen Testament, Verlag W. Kohlhammer, Stuttgart 2011, 976.

كنّا يومًا خاضعين لخوف الموت. وعلى المسيحيين أن يخضعوا للذين يعملون لأجل الآخرين ولأجلهم هم في ملكوت الله. وعلى المسيحيين أن يخضعوا للسلاطين. وعلى الإماء والعبيد المسيحيين أن يخضعوا لسادتهم (أو سيّداتهم)، وكذلك الأحداث للشيوخ، وأخيرًا كل واحد للأخت وللأخ. فنحن أمام نطاق واسع من الاستعمالات، لكن الفكرة الأساسية في العلاقات الإنسانية تبقى: أن يحسب المرء شخصًا آخر أفضل منه وأن يضع نفسه تحته.

وهذا يوضّح أن الخضوع ليس شيئًا غريبًا على المسيحيات والمسيحيين، بل هو فضيلة تُمارَس وتُحارَب في الوقت نفسه، ويمكن أن تُسمّى ثمرًا للروح (حتى وإن لم تُذكر صراحةً بهذه الصفة). ففي النهاية لا تنجح العلاقات الإنسانية إلا بالخضوع. وهذا غير ممكن من دون تواضع ومن دون معونة الروح القدس. فعلينا بتواضع أن نحسب الآخر أفضل من أنفسنا (فيلبي 2: 3). والمثال الأسمى هو يسوع. وفي الوقت نفسه لا أعترض على السلطة، التي لا يستطيع المجتمع كذلك أن يعمل من دونها. فالحكومات وأصحاب العمل والمعلّمون والوالدون لهم سلطة بحكم منصبهم أو دورهم. فهل يصحّ ذلك أيضًا على العلاقة بين الرجل والمرأة، عمومًا وفي الزواج؟ في ما يخصّ المسيحيات تقف هذه الكلمات أمامنا:

[1 كورنثوس 14: 34] لتصمت النساء في الاجتماعات، لأنه ليس مأذونًا لهن أن يتكلّمن، بل يخضعن كما يقول الناموس أيضًا.

[أفسس 5: 22] أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب.

[كولوسي 3: 18] أيتها النساء، اخضعن لرجالكن كما يليق في الرب.

[تيطس 2: 5] متعقّلات، عفيفات، ملازمات بيوتهن، صالحات، خاضعات لرجالهن، لكي لا يُجدَّف على كلمة الله.

[1 بطرس 3: 1] كذلكنّ أيتها النساء، كنّ خاضعات لرجالكنّ، حتى وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة، يُربَحون بسيرة النساء بدون كلمة،

[1 بطرس 3: 5] فإنه هكذا كانت قديمًا النساء القدّيسات أيضًا المتوكّلات على الله، يزيّنّ أنفسهنّ خاضعات لرجالهنّ:

اللافت للنظر أن هذا النوع من الوعظ لا يرد بهذه الصورة في العهد القديم. ولا عند يسوع أيضًا. فلا بدّ أنه كان أمرًا مهمًّا في المسيحية الأولى. هل كانت النساء آنذاك

متمرّدات أو مثيرات للفتنة أو ساعيات إلى السلطة إلى هذا الحدّ؟ هل كنّ يتربّصن بفرصتهن؟ لا، فالبحث التاريخي في العصور القديمة لا يستطيع أن يؤكّد ذلك. ويُضاف إلى ذلك أن النساء في العصور القديمة كنّ أصلًا في الدور الخاضع. فما القصد من إبراز شيء كان مألوفًا على أي حال، ولم يكن ليفاجئ النساء المسيحيات أو ليجبرهن على شيء غريب عنهن؟

ويبقى أن نسأل: فيمَ كان هذا الخضوع؟ أفي توجيهات الرجل في البيت؟ ففي البيت كانت النساء يعملن باستقلال نسبي؛ فالبيت كان فضاءهن، بينما كان الرجل في الحياة العامة. ولذلك الإشارة إلى العمل المنزلي في تيطس 2: 5. وفي 1 تيموثاوس 5: 14 يكتب بولس أن الأرامل الأصغر سنًّا ينبغي أن يدبّرن البيت، ويستعمل المصطلح «oikodespoteo»، الذي لا يعني إلا أن يكون المرء ربّ البيت. أم يعني ذلك الخضوع في الحياة الجنسية، بحيث تكون المرأة متاحة في كل وقت؟ وحين يُطالَب اليوم بأن تُتّبع هذه التوجيهات حرفيًا، أي بحسب معناها الأصلي، فإنني أطرح السؤال نفسه: فيمَ يقوم هذا الخضوع اليوم في الزواج؟ كيف يمكن أن يوصف نمط العلاقة هذا، وكيف يمكن أن يُعاش في القرن الحادي والعشرين في العالم الغربي؟ أكرّر: بالوضوح الذي يُطالَب به، من غير تخفيف ولا تكييف.

في كتابها ذي العنوان الغريب «Befreit durch Unterordnung» (أي «محرَّرة بالخضوع»)[56] تقدّم باني ويلسون (Bunny Wilson)، كما يوحي العنوان، مرافعة متحمّسة لخضوع المرأة لزوجها. فالخضوع للرجل عندها، حتى في القرارات الخاطئة بوضوح، هو الطريق الذي يرضي الله، والذي يمكن أن يُصحَّح بالإيمان والصلاة. وفي أمثلة كثيرة تصف كيف يبدو ذلك عمليًا. وهي نفسها تشارك خبراتها الزوجية، وكيف كلّمها الله وأراها ما هو صحيح وما هو غير صحيح في هذا الموقف الصعب والمتنازَع عليه. وكثيرًا ما يتداخل فهم الكتاب المقدس والخبرة. ونحن جميعًا نحمل معنا خبراتنا وتجاربنا حين نقرأ الكتاب المقدس. وكتابي كله أيضًا لم ينشأ من دون خبرتي في الحياة ومن دون «صورتي عن المرأة»، ولذلك فهو ليس محايدًا ولا تعليمًا خالصًا من الكتاب المقدس. فكل من يتكلّم في هذا الموضوع يحمل معه تلوينًا من نفسه. لكن السؤال الحاسم عندي هو: بماذا يُعلَّل الخضوع؟ أقتبس من ويلسون: «من حين إلى آخر، حين نختلف أنا وزوجتي في الرأي، تقول لي: "أظنّ أنه ينبغي أن تخضع لي، لأنني خضعت لك في المرة الأخيرة. فالكتاب المقدس يقول في أفسس 5: 21: ‹خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله›." فماذا أقول لها؟

56. Wilson, Bunny، الطبعة الثالثة 2020 («Befreit durch Unterordnung»)، CLV، Bielefeld

يريحني أنني لست المرأة الوحيدة التي حاولت أن تستعمل أفسس 5: 21 لتفرض رأيها. أتذكّر المرة الأولى التي استعملت فيها هذه الآية مع زوجي؛ فبحث عندئذ في الكتاب المقدس عن جواب. لننظر إلى الآية التي تستند إليها زوجتك، وإلى الآية التي تليها: "خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله. أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب" (أفسس 5: 21-22).

الخضوع في الزواج لا يعمل تمامًا كما يعمل الخضوع المتبادل في جسد المسيح. ففي جسد المسيح يخضع بعضنا لبعض بأن نمارس مبادئ الكتاب المقدس. أما في الزواج فنخضع لزوجنا بوصفه شخصًا ذا سلطة.

في أفسس 5: 21 الله هو السلطة الوحيدة. وفي أفسس 5: 22 المرأة خاضعة لزوجها. فالله يعطي الرجل سلطة على المرأة، وهو أيضًا يحاسبه.» (ص. 77)

غير أن هذا الفهم المتمايز لكلمة «يخضع» لا يمكن استخلاصه من النصّ. فهي تعدّ الرجل، بحكم الخليقة، سلطةً فوق المرأة. ويُضاف إلى ذلك أن كلمة العقوبة الموجّهة إلى حواء، إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك، هي عندها توزيع للأدوار يريده الله. فالمرأة بطبيعتها تريد أن تسود، لكن عليها أن تنحني لسيادة زوجها. والرجل قصّر في أن يسود في الجنّة لكي يوقف الخطيئة، ولأنه بطبيعته يميل إلى ألّا يسود، فإنه يتلقّى التكليف بأن يفعل ذلك.

وسؤالي الأول على هذا التفسير هو: هل يوجد هنا إذن خطأ في تصميم الخالق يجب أن يُصحَّح؟ أو، وهذا لا يقلّ خطورة: هل كانت هناك ميول خاطئة قبل السقوط؟

إن هذا الفهم لرواية الخلق، كما سبق أن بيّنت، يحدّد الاتجاه للفهم الأساسي للأدوار في الكتاب المقدس كله. فمن يرى آدم رأسًا وقائدًا، سيفسّر حتى كلمة العقوبة على أنها كلمة بركة، وسيُقحم فهم الأدوار هذا في كل مكان. ومن أراد أن يسلك هذا الطريق بثبات، فعليه أن ينظر بعينين مفتوحتين إلى واقع حياة الزيجات بين أنماط شديدة الاختلاف من الناس. فإن كانت المرأة قويّة والرجل ضعيفًا، فقد يقود الخضوع إلى كارثة. وأنا أدعو إلى أن نعيش الخضوع المتبادل، وأن نسمّي الميول الخاطئة لدى الطباع المختلفة في الزواج بأسمائها علنًا، وأن نحاربها معًا بروح الله.

في جنّة عدن وجدت زوجين من البشر يكمّل أحدهما الآخر، متساويين في القيمة والمرتبة، من غير تفاوت هرمي. ومن غير سلطة أكبر للرجل.

لكن ألا تؤسّس توجيهات الرسل هذه تراتبيةً بالذات؟

أنا مقتنع بأن التفاوت الهرمي نتيجة للسقوط. فلا شيء فيه يُجمَّل، ولا يمكن أيضًا تنصيره. لقد جعل الإنجيل جميع المؤمنين أبناء الله. والنساء أيضًا. وبذلك حرّرهم من ثقافة الخليقة الساقطة. وهذا ما ينبغي أن يدركه أولًا وقبل كل شيء الأزواج المؤمنون. ولذلك هم، لا النساء، مدعوّون إلى المحبة المتجرّدة، لا إلى السيادة. وبصرف النظر عن ذلك، ينبغي أن تُفهم السيادة هنا لا بمعنى سلبي بل بمعنى إيجابي، كما ينبغي أن تُفهم أيضًا في مهمّة الخليقة. فلا يوجد في الحقيقة حتى تفويض إيجابي للزوج بأن يسود أو يقود أو يتقدّم في الطريق.

في الثقافة القديمة كان من المهمّ ألّا يقود الإيمان الجديد بالمسيّا إلى سلوك لدى النساء اللواتي أدركن الآن حرّيتهن ومساواتهن، سلوكٍ يضع ثقافة الشرف والعار موضع تساؤل. فلم يكن على النساء أن يشكّلن ثقافة مضادّة للثقافة العادية لنظام الزواج والبيت والعائلة. فهذا النظام، بوصفه أساس المجتمع، كان مقدّسًا لا يُمسّ. فالإنجيل كان على المحكّ!

أقارن ذلك ببولس، الذي صار لليهود كيهودي ولليونانيين كيوناني، من أجل الإنجيل، ليربح الناس للمسيح. فقد احتمل الكلفة في سبيل ربح الناس وإقناعهم، إذ قيّد حرّيته في المسيح. وهكذا هنا أيضًا، حين يدور الأمر على خضوع النساء. وبالمناسبة، فهذا بالضبط ما يدور عليه الأمر عند بطرس: أن يُربح الزوج غير المؤمن بالخضوع.

في ثقافة الشرف والعار كان لا بدّ من تجنّب أيّ سلوك قد يجلب العار على الزوج في محيطه تجنّبًا تامًا. ففي ثقافات الشرف والعار يولي الناس أهمية كبيرة للعلاقات المتناغمة مع احترام كل التراتبيات. ولا بدّ أن من ذلك أن الزوجة التي كانت تعارض زوجها علنًا أو تصحّحه كانت تنتهك مبدأ الشرف هذا.

إن التوجيه للنساء بأن يخضعن لا يُعلَّل بفارق هرمي بين الرجل والمرأة، لأن هذا الفارق غير موجود في الخليقة. فالأمر يتعلّق بخضوع طوعي. وكان الأمر بالخضوع للمسيحيات في العصور القديمة مشاركةً في عمل الإنجيل. فالزوج الذي يحبّ يجعل الخضوع على أي حال غير ذي موضوع. لكن نحو الخارج، في المجتمع القديم، كانت هذه التوجيهات واتّباعها حمايةً من التمييز والاضطهاد. كان ذلك موقفًا يُراد به أن يُنهي منذ البداية كل شبهة بتدمير العائلة.

أما لنا في القرن الحادي والعشرين، نحن الذين لا نعيش في ثقافة الشرف والعار، فهذا التوجيه لا يمكن تطبيقه حرفيًا. ففي العالم الغربي يهتدي الناس بنظام للقانون والنظام

العام. وفي الزواج تسري وصية المحبة: أن يكون أحدنا لأجل الآخر، ومع الآخر، وأن يخضع بعضنا لبعض في الرب. والنقد يُقال بمحبة وفي اللحظة المناسبة بصراحة، مع بذل كل محاولة لكي لا يُجرح أحد.

كثيرًا ما أسمع، ردًّا على حججي للمساواة في الحقوق، أسئلة كهذه:

«تبدو الحجّة القائلة بأن للرجال الأسبقية على النساء في العهد الجديد بسيطة وواضحة جدًا. أما موقفكم [المعاكس] فيبدو معقّدًا جدًا، بإحالاته إلى اللغة اليونانية وإلى كل التفاسير وما إلى ذلك. أليست بساطة موقف السيادة دليلًا قويًا على أنه الموقف الصحيح؟»

الجواب: لا، على الإطلاق. فأبسط التفسيرات للكتاب المقدس صحيحة أحيانًا، لكنها أحيانًا خاطئة جدًا. ففي النهاية من السهل تمامًا أن نشير إلى أن العهد الجديد يوصينا كثيرًا، بوضوح ومن غير لبس، بأن يسلّم بعضنا على بعض بالقبلة المقدّسة.

سلّموا بعضكم على بعض بقبلة مقدّسة. (رومية 16: 16) سلّموا بعضكم على بعض بقبلة مقدّسة. (1 كورنثوس 16: 20) سلّموا بعضكم على بعض بقبلة مقدّسة. (2 كورنثوس 13: 12) سلّموا على الإخوة جميعًا بقبلة مقدّسة. (1 تسالونيكي 5: 26) سلّموا بعضكم على بعض بقبلة المحبة. (1 بطرس 5: 14)

هذه كلها وصايا مباشرة. والوصايا واضحة. ونحن لا نعظ بها ولا نعلّمها ولا نمارسها، مع أن الحجّة لقبول هذه الممارسة بسيطة. فما الذي لا يُفهم هنا؟

إن السبب الذي يجعلنا لا نهتمّ بالقبلة المقدّسة (ولا، بالمناسبة، بمنع الشعر المضفور وحليّ الذهب، أو بفرض لبس البرقع) هو أن مثل هذه الوصايا تخالف ثقافتنا اليوم، ولن تخدم اليوم غرضها الأصلي. أما مع دور المرأة فنحن نصارع، لأن ثقافتنا رفضت حتى وقت قريب أن تمنح النساء الفرص نفسها والتقدير نفسه اللذين للرجال. وقد نشأ إخوتنا وأخواتنا الأكبر سنًّا في هذه الثقافة، وكثيرون منهم (ومنهم النساء) استحسنوا الحقوق غير المتساوية للنساء وقبلوها. ولذلك يجدون الحجج التقليدية مريحة – ولذلك «بسيطة». [57]

ومثال آخر على أن قلّة قليلة جدًا، حتى من أشدّ الأمناء للكتاب المقدس، تفعل كل ما يقوله الكتاب المقدس للمسيحيين. ولا أقصد هنا السؤال عن مدى طاعتنا، فكلّنا نعثر كثيرًا. بل السؤال هو: هل ننتبه أصلًا إلى وصايا أو ممارسات معيّنة ونفكّر في أن

57. Guin, Jay، ص. 157، Buried Talents، In Search for a New Consensus, 2014, Alabama

نعملها؟ يصف بولس في 1 كورنثوس 7: 5 اتّفاقًا بين الزوجين على الامتناع عن الجنس للتفرّغ للصلاة. فمن يصرّ على اتّباع الكتاب المقدس حرفيًا، فليُسأل: متى وكم مرة عقد هذا الاتّفاق صراحةً مع شريك حياته؟

وأخيرًا إشارة إلى كلمات مباشرة ليسوع، الذي قال عند غسل أرجل تلاميذه: «فإن كنت وأنا السيّد والمعلّم قد غسلت أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض، لأني أعطيتكم مثالًا، حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضًا.» (يوحنا 13: 14-15)

في العالم والثقافة الغربيين هذه ممارسة يضعها في سياقها حتى المسيحيون الذين يأخذون الكتاب المقدس بجدّية وبحرفيته، فلا يمارسونها.

5.3.1 الخلاصة

تكتب مارغريت موفتشكو (Margaret Mowczko): بعد أن قضيت على مرّ السنين بعض الوقت في البحث عمّا يعنيه الفعل hypotassō («يخضع») في الوثائق المسيحية المبكرة وغير المسيحية على السواء، توصّلت إلى التعريف التالي.

الخضوع «المسيحي» (أي الخضوع بين المؤمنين بعضهم لبعض، ومنهم الأزواج والزوجات المؤمنون) هو «توقير متواضع ووفيّ ومُحبّ، وتعاون ودعم».

وكالتواضع والوداعة، ينبغي أن يكون الخضوع سمة عادية في الشخصية المسيحية. ومن الناحية المثالية ينبغي أن يكون متبادلًا.

تكتب كاثرين بوشنل (Katharine Bushnell) قبل 100 سنة في كتابها الذي صنع حقبة «God's Word to Women» (انظر الكتب الموصى بها في آخر هذا الكتاب):

«إن المعنى الحقيقي للكلمة يصف موهبة النعمة أو الفضيلة المسيحية، في الحالات التي لا يكون فيها مبدأ على المحكّ، أي أن يتقدّم المرء الآخرَ بدلًا من أن يتمسّك بحقوقه. فمعجم شلويسنر (Schleusner) اليوناني اللاتيني للترجمة السبعينية يوضّح أن هذا الفعل لا "ينقل دائمًا فكرة الخضوع العبودي". فيسوع حين كان صبيًا "كان خاضعًا لهما"، أي لوالديه، ومع ذلك نعلم أنه لم يسألهما حتى حين كان "فيما لأبي" (لوقا 2: 49، 51).

لا يستطيع شخصان أن يديرا عملًا تجاريًا في شراكة مدّة طويلة، إلا إذا كانا مستعدّين أن "يخضع" أحدهما للآخر. فعليهما أن يتنازلا عن ميولهما الخاصة؛ وعليهما أن يكونا "مقدّمين بعضهما بعضًا في الكرامة"؛ وعليهما أن يوفّقا بين آرائهما، وإلا فسيُضطرّان قريبًا إلى الانفصال. وحين تطرأ مسألة، فإن وضعهما لا يتحسّن بأن يكون لأحدهما الحقّ في أن يأمر الآخر. فاتّباع مثل هذه الأوامر ليس "خضوعًا"، بل خنوع عبودي، والإنسان يأبى أن يكون خانعًا خنوع العبيد، لأن ذلك يحطّ من شخصيته.

في أفسس 5: 21 يحثّ الرسول جميع المؤمنين، بغضّ النظر عن الجنس: "اخضعوا بعضكم لبعض في خوف المسيح". ويقول بطرس لجميع المؤمنين، بغضّ النظر عن الجنس: "وتسربلوا جميعًا بالتواضع في تعامل بعضكم مع بعض!" (1 بطرس 5: 5). هذه المواضع تفرض بوضوح على الرجال "الخضوع"، ومع ذلك يشعر الجميع بالفطرة أنها لا يمكن أن تعني أن الرجال يجوز أن يقعوا تحت سيادة بعضهم على بعض سيادةً اعتباطية حين يصيرون مسيحيين.

لكن حين نصل إلى المواضع الثلاثة التي يحثّ فيها الرسول الزوجات على أن يخضعن لأزواجهن، يكاد المرء يُعدّ مهرطقًا إن تساءل هل يعني هذا الحثّ الموجّه إلى "الزوجات" طاعة مطلقة. فكلمة "الخضوع"، كما بيّنت، لم تُفسَّر بمعنى الطاعة حيث تتعلّق بعلاقة رجل برجل، ولا حيث يمكن أن تعني "خضوع" رجال لامرأة، كما في 1 كورنثوس 16: 16. وفوق ذلك، في كل مرة توصف فيها علاقة الزوجات بأزواجهن، والأولاد بوالديهم، والخدم بسادتهم، يُراعى تمييز دقيق في استعمال المصطلحات. فكلمة "الطاعة" تُستعمل عمومًا للخدم ودائمًا للأولاد، أما كلمة "الخضوع" فتُستعمل دائمًا للزوجات. فإن كان المعنى واحدًا، فلماذا هذه العناية في اختيار كلمات مختلفة؟ عن واجب الزوجات انظر أفسس 5: 22؛ كولوسي 3: 18؛ تيطس 2: 5. وعن واجب الأولاد أفسس 6: 1؛ كولوسي 3: 20. وأما في ما يخصّ الخدم فانظر أفسس 6: 5؛ كولوسي 3: 22.

ومن الكاشف جدًا والمفيد أن نبحث في أيّ معنى يُستعمل أحيانًا مصطلح "يكون خاضعًا" في العهد القديم. فالمزمور 62: 1 يقول: "إنما لله تنتظر نفسي في سكون، من عنده خلاصي" (ترجمة Schlachter – ترجمة ألمانية للكتاب المقدس). وفي العدد 5 من المزمور نفسه نقرأ: "إنما لله تنتظر نفسي في سكون." وفي المزمور 37: 7 نجد الكلمات: "اهدأ أمام الرب وانتظره." فكلمتا "تنتظر" في الموضعين الأوّلين، وكلمة "اهدأ" في الأخير، تُترجم ثلاثتها في الترجمة اليونانية بالكلمة الواحدة hypotassō،

"يكون خاضعًا"، بينما المعنى الحرفي للكلمة العبرية الأصلية هو "اسكت نحو ...". قارن ذلك بـ 1 بطرس 3: 1، 2، حيث تُدعى النساء إلى أن يربحن الأزواج غير المؤمنين بـ"الخضوع". فمن المؤكّد أن بطرس لا يدعو هنا الزوجات إلى أن يطعن غير المؤمنين طاعة عمياء، لأن هؤلاء، إن كانوا وثنيين، كانوا سيرغمونهن فورًا على العودة إلى عبادة الأوثان، وإن كانوا يهودًا، فعلى العودة إلى اليهودية. بل على النساء المسيحيات أن يربحنهم بـ"سيرتهن"، "بدون كلمة"، بعيدًا عن الإيمان الباطل إلى الإيمان المسيحي – فالأفعال في النهاية أعلى صوتًا من الكلمات. "في خوف" – أي بمخافة لله تجعل هؤلاء النساء الوديعات الهادئات الصبورات في الحياة اليومية ثابتات كالصخر في أمانتهن لله؛ ومن أمانتهن الهادئة لمبادئهن، مع استعدادهن في الوقت نفسه للتنازل لأزواجهن حين لا يكون مبدأ في خطر، سيُغلب الأزواج غير المؤمنين إلى حدّ أنهم لن يجرؤوا على إرغام نسائهم على أن يعملن ضدّ ضمائرهن، وهكذا سيُقادون هم أنفسهم شيئًا فشيئًا إلى الإيمان المسيحي.»

«الخضوع ليس دورًا جنسيًا. بل ليس دورًا أصلًا. إنه موقف وسلوك لجميع الإخوة والأخوات في المسيح، والخضوع المتبادل هو المثال. لم يكن الخضوع المتبادل فكرة غريبة في كنيسة القرن الأول وبداية القرن الثاني، وينبغي أن يكون اليوم هو المعيار في الكنيسة.»

أرمين فوندرلي (Armin Wunderli)

لو عشنا ما هو مكتوب في الكتاب المقدس، لما احتجنا إلى حركة تحرّر، لأن الرجال والنساء عندئذ متساوون في الحقوق. داني سيلك (Danny Silk)

لن نحصل عليها إن لم نردها، المساواة في الحقوق بلا شروط.

فيرونيكا شميت (Veronika Schmidt)

6 الرجل والمرأة في الكنيسة

لا تترك الكنيسة في العالم كله أفضل انطباع. ولذلك صلة، إلى جانب التكريس والصلاة والطاعة، بقناعات خاطئة أيضًا لها آثار بعيدة المدى. فكثيرون يستخفّون بمقدار الضرر الذي يُحدثه فهم خاطئ لمسألة الجنسين. في حياة كثيرين من المعنيّين بالأمر، وفي الكنيسة عمومًا، وفي صورتها أمام الخارج، أي في قوّة شهادتها الإرسالية.



فإن اتّبع المرء عقيدة هرمية في الرجل والمرأة، فهي لا تسري على الزواج وحده. بل تسري عندئذ تلقائيًا على الأدوار في الكنيسة أيضًا. لا في اجتماعات العبادة فحسب، بل في الحياة الكنسية كلها. ففي بيت الله، الذي هو الكنيسة، نحن دائمًا!

في الفصل 6، حيث سيدور الكلام على مشاركة النساء من المشاركة المسموعة إلى المشاركة القيادية، تتداخل دائرتا الزواج والكنيسة. فإن كان الأمر هناك يتعلّق بنظام الخليقة، فإن هاتين الدائرتين أو هذين المجالين لا يُميَّز بينهما. فكلا المجالين يقع في الخليقة المنظورة.

في هذا الفصل يدور الكلام على النصوص المثيرة للجدل في 1 كورنثوس 11 و14 و1 تيموثاوس 2. أي على غطاء الرأس، وصمت النساء، وتعليمهن.

كان الدافع إلى هذا الكتاب تحديدًا دور النساء في الكنيسة. ولأن هذا الدور يُربط مرة بعد مرة بنظام الخليقة، كان العمل التمهيدي الواسع ضروريًا للوصول الآن إلى هذا المجال.

هذه النصوص وتفسيرها تحدّد أدوار الرجال والنساء في الكنائس كما لا تحدّدها نصوص أخرى. ومن يدرس هذه النصوص يلاحظ شيئًا واحدًا: إنها صعبة، وتبدو متناقضة. ومن يقرأ التفاسير التي تتعامل مع النصّ اليوناني وتحاول أن تستخرج معناه لذلك الزمن ولليوم، يتأكّد له أن المعنى ليس قاطعًا. أو بالأحرى، هناك إمكانات مختلفة للتفسير.

هذه النصوص توضّح أننا لا نستطيع أن نتحكّم في النصّ بأن نظنّ أننا نعرف، بمنطق الأبيض والأسود، ماذا يعني وماذا لا يعني. فهذا سيكون حرفية كتابية، وأحادية في النظر، بل وكبرياء. وأنا أيضًا لا أعرض إلا تفسيرات ممكنة، أكثر من تفسير واحد.

لكن أمرًا واحدًا مهمّ عندي: أرفض كل تفسير يناقض صورة المرأة كما وجدتها في التكوين 1 و2، وكما رأيت يسوع في تعامله مع النساء. فتفسير مثل هذه النصوص في غير مصلحة النساء، بمعنى ناموسي، وبخوف مليء من أن يُخطئ المرء، لا يوافق روح الكتاب المقدس والإنجيل. وما كان بولس ليقول أبدًا شيئًا غير ما يقوله الكتاب، أي الكتاب المقدس العبري، العهد القديم.

علينا أن نتعلّم أن الكتاب المقدس ليس واضحًا لنا في كل موضع. أما للمتلقّين المباشرين الأوّلين في القرن الأول فقد كان واضحًا بكل تأكيد. في ظروف حياتهم وفي محيطهم الثقافي.

نحن اليوم متعلّمون، نسير بقيادة الروح القدس، ويمكن أن نغيّر طوال حياتنا آراءنا وبصائرنا ووجهات نظرنا وقناعاتنا. فنحن نعرف بعض المعرفة. ونخطئ أحيانًا، وعلينا أن نصحّح أنفسنا.

إن تغيير وجهة النظر جزء من الحياة. فمن يظنّ أنه فهم معنى هذه النصوص مرة واحدة وإلى الأبد، أي من يظنّ أنه قائم، فلينظر أن لا يسقط.

يخيفني دائمًا بعض الشيء حين تُفسَّر هذه النصوص تفسيرًا رياضيًا تقريبًا، ويُعرض معناها بيقين كبير، كأن المرء أدرك الحقيقة الوحيدة الصحيحة، ثم يُطالَب به بوصفه قاعدة واضحة للحياة الكنسية.

في الفصول التالية سأعرض تفسيرات مختلفة. ولا علاقة لذلك بالاعتباطية. ولا أيضًا – كما هي التهمة المتواصلة، ولا سيّما من المسيحيين «الأمناء للكتاب المقدس» – بإعادة تفسير كلمة الله وتكييفها بحسب رغبات المرء الخاصة.

إن الأمانة للكتاب المقدس تعني لي أن نبحث عن معنى الكلمة بعقل صافٍ. فالأسئلة الموجّهة إلى النصّ مسموح بها وتساعد على التقدّم. وفي الوقت نفسه أن يضع المرء نفسه بتواضع تحت هذه الكلمة، بثقة أساسية بأن أمامه كلمة الله الجديرة بالثقة. وألّا يعلن تفسيره الخاص بوصفه الحقيقة، وأن يفسّر كلمات الكتاب المقدس لا معزولة، بل في سياق الرسالة والعهد الجديد والكتاب المقدس كله. وأنا أنطلق من أن التناقضات غير موجودة. وإن وُجدت أو بدا أنها موجودة، فلذلك تفسيرات (أو لا تفسير له أيضًا).

6.1 1 كورنثوس 11 – الرأس والشعر والبرقع

هذا (النصف من) الأصحاح، 1 كورنثوس 11: 1-16، من النصوص الأساسية التي يُستشهَد بها لتعليل نظام خليقة للرجل والمرأة. فهنا، كما يقال، يدور الكلام بوضوح عن الدور القيادي للرجل، وهو دور يظهر أيضًا في تغطية المرأة.

من المعسكر المحافظ الأمين للكتاب المقدس أسمع كم هو هذا النص واضح وجليّ. ويقولون إنه لا يكون صعبًا إلا على الذين يريدون أن يقاوموا التوجيهات الواضحة للكلمة. وذلك بأن يعدّوه مرتبطًا ثقافيًا بذلك الزمان وغير سارٍ اليوم.

ومن جهة أخرى هناك الأخوات اللواتي لا يلتزمن بما قد يُفرض من قواعد التغطية وقصّ الشعر، ثم يعانين من ضيق الضمير. وذلك بخلاف اللواتي يلتزمن بذلك حرفيًا، أو يعتقدن أنهن يفعلن ذلك.

مع كل الأمانة للكتاب المقدس، يدور الأمر في جوهره، كما في أحيان كثيرة، حول مسائل التفسير (علم التأويل، الهرمنيوطيقا). أحاول منذ أكثر من 40 سنة أن أفهم هذا

النص المعقّد. وقرأت في ذلك الكثير. وصادفت تفسيرات وأنماط سلوك، منها المفهوم ومنها ما يقشعرّ له البدن.

لا يمكن هنا تقديم تفسير مفصّل لهذا المقطع، مع أن هذا الفصل هو أطول فصول الكتاب. فهناك تفسيرات كثيرة له، يكمّل بعضها بعضًا، لكنها تتناقض أيضًا. وأفكاري أنا أيضًا ليست إلا إمكانية واحدة. ولعلّها تساعد القارئ على أن يستخلص من هذا النص الصعب أكثر مما استخلص حتى الآن. لا يستطيع أحد، ولا يحقّ لأحد، أن يكون مقتنعًا بأنه يملك التفسير الصحيح، ثم يستنتج منه قواعد سلوك ومظاهر خارجية.

كيف أتقدّم في الخطوات التالية؟

(1) أولًا أعدّد بعض الجوانب التي يمكن أن تكون مفيدة عند قراءة النص.

(2) ثم أحاول أن أحدّد نطاق سريان النص.

(3) بعد ذلك يدور الكلام بالتفصيل عن معنى كلمة الرأس.

(4) لا بد من تقديم خلفية أوسع لموضوع غطاء الرأس في كورنثوس.

(5) علامة السلطان على الرأس آية مفتاحية، لكن معناها يختلف عمّا يظنّه كثيرون.

(6) نقل تفسيري للنص، كما كنت سأشرحه باختصار.

(7) لا بد من توضيح الأهمية الراهنة للقرن الحادي والعشرين.

6.1.1 مبادئ وملاحظات لتفسير النصّ

كثيرون لا يقرؤون هذا النص البولسي للمرة الأولى. وفيما يلي بعض الجوانب التي يمكن أن تفتح مدخلًا جديدًا إليه. وهي ثمرة الانشغال بهذا النص وثمرة دراسات كثيرة. ويمكنها أن تساعد على عدم الوقوع في القراءة المعتادة التي تفهم النص من خلال نظّارة الخضوع الهرمي للمرأة (أو النساء).[58]

يركّز النص قبل كل شيء على أن يحدث كل شيء لمجد الله، لا لمجد الرجال ولا لمجد النساء.

الأمر يتعلّق بإبراز مجد الله في العبادة، بأن يتصرّف الرجال والنساء ويلبسوا بحيث لا يُوجَّه الانتباه إليهم.

58. توجد نسخة مفصّلة من هذه الدراسة على الصفحة الرئيسية: www.hans-joerg-ronsdorf.de

كان (بعض) الرجال هم سبب تعليم بولس، إذ طالبوا النساء بأن يتخلّين عن غطاء الرأس.

يتناول النص عادات وتقاليد ثقافية واجتماعية. لذلك لا يُفهم العار والإهانة فهمًا لاهوتيًا، أي بالنظر إلى الله، بل في الحسّ الاجتماعي.

إذن لا يتعلّق الأمر بوصايا صادرة عن بولس صالحة لكل زمان ومكان، حتى وإن أورد رواية الخليقة.

الحرية في المسيح في توتّر مع ألّا يكون المرء عثرة لمحيطه، بأن يتقبّل قيودًا.

الأمر يتعلّق بتغطية الشعر (لا الرأس ببساطة)، ولا يتعلّق أيضًا بتحجّب كامل.

لا يتعلّق الأمر بنظام خليقة هرمي يكون فيه الرجل فوق المرأة. ولا يتعلّق بخضوع المرأة للرجل. فكلاهما يصلّي ويتكلّم بالنبوة، متساويين في المرتبة والمكانة، وعلى كليهما أن يراعي قواعد سلوك خارجية خاصة بجنسه.

يتحدّث بولس في نهاية المطاف عن جميع النساء والرجال، لا عن المتزوجين فقط، مع أن استعارة الرأس والجسد لا تنطبق إلا عليهم. فالصلاة والكلام النبوي يمارسهما الجميع: المتزوجات والإماء والأرامل.

لا يفرض الإنجيل أبدًا مظاهر خارجية مثل اللباس أو تسريحة الشعر. فهي مفروضة في عبادة العهد القديم، لكنها ليست كذلك في العهد الجديد الذي كان أهل كورنثوس يحتفلون به في عشاء الرب.

في محيط وثني يبحث بولس عن طريق يمكّنهم من أن يعيشوا عيشة كرازية من دون أن يكونوا عثرة لأهل كل ثقافة.

لا يتعلّق الأمر بقواعد سلوك للرجال والنساء في القرن الحادي والعشرين.

قبل أن نتابع هنا، اقرأوا الآن النص مع مراعاة الافتراضات المذكورة هنا. وحتى إن كنتم ترون الأمر حتى الآن بطريقة أخرى، فاسمحوا به ببساطة مرة واحدة بوصفه احتمالًا فكريًا، لكي تتّخذوا منظورًا آخر، لا يلزم أن تقتنعوا به على الفور.

6.1.2 نطاق سريان النصّ

لأي مكان أو لأي بيئة يسري هذا النص؟ في الآيتين 4 و5 يكتب بولس عن رجال ونساء يصلّون ويتنبّأون. هل يسري هذا على الاجتماع، أي على اجتماع العبادة؟ هذا ما يرفضه المؤيّدون لـ«صمت النساء» في العبادة. ففي رأيهم يخطئ معظم المترجمين والمفسّرين الذين يربطونه بالاجتماع (وذلك منذ العناوين التي يضعونها لهذا المقطع). والغريب أنهم هم بالذات «يوصون» بتوجيهات غطاء الرأس في الاجتماع، مع أن هذا النص، بحسب رأيهم، لا يسري عليه.

هناك افتراضان لعدم ربط هذا النص بالاجتماع:

1. في النص التالي، ابتداءً من الآية 17، يتغيّر الموضوع، ويتعلّق منذ ذلك الحين صراحةً بـاجتماع الكنيسة. فالكلمة التي تعني الاجتماع تُذكر ابتداءً من الآية 17 مرات عدّة: في الآيات 18 و20 و33 و34، لكنها لا تُذكر قبل المقطع 11: 1-16 ولا فيه.
2. وفي موضع لاحق من الرسالة إلى أهل كورنثوس، في 14: 34-36، يُطلب من النساء أن يصمتن في الاجتماع. وهذه الوصية القاطعة بالصمت (انظر التفصيل في الفصل 6.2) تُحيل، كما يقولون، كلام بولس في 11: 5 إلى كل المناسبات الممكنة، لكنها كلها خارج الاجتماع.

كلتا الحجّتين ليست معقولة كما تبدو:

- هل تكون التغطية (إن كانت مطلوبة اليوم) عندئذ بلا أي أهمية للاجتماع؟
- ألا تسري عبارة «الرجل هو رأس المرأة» على الاجتماع؟ فوصية الصمت تُعلَّل بالخضوع بالذات (14: 34).
- فلأيّ مناسبات يسري الأصحاح 11 أصلًا؟ يُشار إلى الإمكانيات الكثيرة المتاحة للأخوات خارج الاجتماع. لا شك أنها موجودة، لكن لا يُذكر شيء منها في أي موضع من هذه الرسالة. فالصلاة (باستثناء واحد) والتنبّؤ يحدثان عند بولس في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (الأصحاح 14) في الاجتماع حصرًا.
- هل لا تسري مبادئ مائدة الرب (الأصحاح 10) على الاجتماع لكسر الخبز لأن فعل الاجتماع لا يُذكر قبل 11: 17؟

- الجمع في أول الأسبوع كان يجري في الاجتماع، حتى وإن لم يُذكر ذلك صراحةً (1 كورنثوس 16: 1-4).

إن التغطية أو عدم التغطية بوصفها علامة مرئية للحاضرين الآخرين تجعل الاجتماع شرطًا مسبقًا لمثل هذا التوجيه. وإلّا فالعلامات المرئية بلا جدوى. فتجمّع الناس أو المؤمنين هو دائمًا في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس الاجتماع.

6.1.3 ثلاثة أزواج لكلٍّ منها رأس

يبدأ بولس بثلاثة أزواج، لكلٍّ منها رأس. أولًا: رأس كل رجل هو المسيح. ثم: رأس المرأة هو الرجل. وأخيرًا: ورأس المسيح هو الله. لقد رأيت هنا زمنًا طويلًا درجات هرمية كونية، بهذا الترتيب:

الله

المسيح

الرجل

المرأة

إذا فهمت كلمة الرأس مباشرة بمعنى سلطة أعلى، فإن ذلك يؤدّي إلى هذا التسلسل التراتبي أو هذا السُّلَّم في الرتب. والسؤال هو: هل يقصد بولس هذا؟ هل تعني كلمة الرأس هنا السلطة؟

في هذا الترتيب تقف المرأة في أسفل الدرجات. وليس لها في هذا النموذج صلة بالمسيح. ويبدو زوجها (أو الرجل عمومًا) نوعًا من الوسيط. لكن كل قارئ سيؤكّد أن الرجل لا يمكن أن يقف بين المرأة والمسيح. والترتيب في هذا التدرّج لا يطابق ترتيب النص، ولذلك فهو غير مقصود هكذا وغير صالح للاستعمال.

إن كان ينبغي أن تكون للنساء علامة على السلطة التي فوقهن (الآية 10)، فبأي شيء تُعرف هذه العلامة عند الرجل الذي فوقه هو أيضًا سلطة؟ وبأي علامة خارجية يُعرف أن

المسيح خاضع لله؟ ربما كان شعره طويلًا مثل النذير، وهو ما يوصف في هذا النص بأنه عار.

كل زوج قائم بذاته. ويمكن أن يُرى فيه تشبيه شارح أو موضّح أو مصحّح. فالأزواج تقف بوصفها أمثلة شارحة جنبًا إلى جنب. لا بوصفها سلسلة أوامر. وقد يشير الترتيب، من بين أمور أخرى، إلى أن بولس يخاطب أولًا الرجال الذين طالبوا النساء بأن ينزعن غطاء الرأس.



هذا الرسم يتحرّر من سُلَّم الرتب. فالنظام الهرمي ليس المفتاح لهذا الأصحاح.

6.1.4 ماذا يعني الرأس؟

هذا السؤال ليس بالبساطة التي يُقال بها أحيانًا. بل هو موضع نقاش حادّ بين أهل الاختصاص.

كلمة الرأس (Haupt) بالمعنى المنقول، التصويري أو المجازي، تُربط في لغتنا (الألمانية) سريعًا بالسلطة. ففي استعمالنا اللغوي هناك كلمات مثل Hauptmann (النقيب، القائد)، وHauptzollamt (مصلحة الجمارك الرئيسية)، وHauptstraße (الشارع الرئيسي)، أو ما يشبهها. ونربط بها بالحدس، متأثّرين باللغة، السلطة والسيادة والقيادة وكون المرء في الموقع الأعلى، وشخصًا يحمل المسؤولية.

ماذا كان معنى الرأس في ذلك الزمان؟ لم يكن يعني السلطة عمومًا. ولا حتى حين كان له هذا المعنى في سياقات أخرى. وإن كان بولس يريد أن يعبّر عن السلطة، فبالأحرى على سبيل التوضيح. فالرجال يُبيَّن لهم أنهم، قبل أن يفكّروا في سلطتهم على المرأة، يجب أن ينتبهوا أولًا إلى خضوعهم للمسيح. وهذا ينبغي أن يحدّد علاقتهم بالنساء وموقفهم منهن. وأخيرًا، بل وبوصفها الصورة الكاملة، يجب أن تكون علاقة الله

بالمسيح مثالًا. وهذه العلاقة تحدّدها الوحدة والمساواة أكثر مما تحدّدها مسألة السلطة.

يكتب إكهارد ج. شنابل (Eckhard J. Schnabel): «ليس هدف بولس أن يعلّل ترتيب المرأة و‹سلطة› الرجل، بل أن يبيّن أن للجميع – كل رجل وكل امرأة، والمسيح أيضًا – ‹رأسًا›، أي أنهم منسوبون إلى شخص ذي مكانة متقدّمة، ويدينون لهذا الشخص بـالولاء.»[59] والولاء يعني الأمانة، وهي أمانة لا تتأسّس على تراتبية أو تبعيّة، بل قبل كل شيء على علاقة وارتباط.

الرأس (باليونانية: kephale) يعني أيضًا الأصل. وفيما يلي أربعة أسباب تبيّن أن هذه الكلمة في 1 كورنثوس 11 ليس لها (فقط) معنى السلطة أو القائد:[60]

في الترجمة اليونانية للعهد القديم (الترجمة السبعينية) تُرجمت كلمة الرأس بـkephale. وفي العبرية، كما في الألمانية، يمكن أن تعني (rosh) «رأسًا» أو «قائدًا» أو «حاكمًا». وفي الحالات التي كانت فيها rosh تعني شخصًا قائدًا، لم يستعمل المترجمون في معظم الحالات kephale. بل استعملوا في العادة الكلمة اليونانية archôn، التي تعني ما يقارب «قائدًا» أو «حاكمًا». والكلمة العبرية يمكن أن تعني أيضًا البداية أو الأصل.

وهناك قرينة أخرى تُظهر أن kephale في اليونانية القديمة لم تكن تعني في العادة «قائدًا». فمعجم Liddell-Scott-Jones Greek-English Lexicon لا يتضمّن أي تعريف لـkephale يقترب من «قائد» أو يعني ما يعادل «سلطة». ويقرّر ر. سيرفين (R. Cervin) أن معاجم أعمال مؤلّفين يونانيين قدماء وثنيين بعينهم، مثل كسينوفون وهيرودوت وأفلاطون وثوقيديدس وسوفوكليس وإسخيلوس وبوليبيوس وديودوروس الصقلّي وغيرهم، لا تتضمّن تعريفات لـkephale تعني ولو على وجه التقريب «قائدًا». فكلمة «الرأس» بمعنى «القائد» تكاد لا توجد في الأدب اليوناني الوثني حتى القرن الرابع الميلادي. أما القواميس المسيحية فتنقل هذه الكلمة بمعنى السلطة. ومع أن معاجم العهد الجديد تذكر تعريف «القائد» لـkephale، فمن المهمّ أن نلاحظ أنه لا يُذكر بهذه الكلمة إلا الله (1 كورنثوس 11: 3)، ويسوع المسيح (1 كورنثوس 11: 3؛ أفسس 1: 22-23؛ 4: 15-16؛ 5: 23؛ كولوسي 1: 18-19؛ 2: 9-10؛ 2: 18-19)، والرجال (1 كورنثوس 11: 3)، والأزواج (أفسس 5: 23). وذلك عند بولس وحده. فإن

59. Schnabel, E. J., Der erste Brief des Paulus an die Korinther, Witten; Gießen 2018, 597.
60. جمعتها مارغريت موفتشكو (Margaret Mowczko)، سيدني: www.margmowczko.com

كان يستعمل kephale بمعنى القائد أو الرئيس الأعلى، فلماذا لا يستعمل الكلمة في مواضع أخرى من رسائله للناس الذين في مواقع القيادة أو في الحكم؟

وقد فهم عدد من آباء الكنيسة الناطقين باليونانية في الكنيسة الأولى kephale في 1 كورنثوس 11: 3 بمعنى «الأصل» أو «البداية» أو «المصدر»، حتى وإن كتب بعضهم في زمن كانت فيه kephale أحيانًا تعني «القائد» أو «شخصًا ذا سلطة». وفوق ذلك كان هؤلاء الآباء يعتقدون على أي حال أن للرجال قدرًا من السلطة أعلى مما للنساء، وأن الرجال أسمى من النساء. لكنهم لم يستعملوا 1 كورنثوس 11: 3 لدعم وجهة النظر هذه. فقد خشي هؤلاء الرجال وغيرهم أنه إذا فُهمت kephale في 1 كورنثوس 11: 3 بمعنى «الحاكم» أو «السلطة»، فإن ذلك سيؤدّي إلى كريستولوجيا (تعليم عن المسيح) مشوّهة. بل فهموا kephale بمعنى «البداية» أو «المصدر».

كان المجتمع اليوناني الروماني أبويًا. ولدينا مؤلّفات كثيرة كتب فيها مؤلّفون يونانيون عن سيادة الرجال والأزواج. لكن لم يستعمل أي مؤلّف آخر غير بولس، والمؤلّفين المسيحيين الذين تبعوه، كلمة «الرأس» حين كتبوا عن علاقة الزوج بزوجته، أو حين كتب أحدهم عن الرجال والنساء عمومًا. وخارج الأدب المسيحي لا تُستعمل kephale في اليونانية القديمة أبدًا في سياق يتعلّق بالذكر والأنثى.

أقترح أن تُقرأ kephale في 1 كورنثوس 11: 3 بمعنى مثل «الأصل» أو «البداية»، أو، كما يقول بعضهم، «المصدر». وفي التفصيل يبدو الشرح هكذا:

«أصل كل إنسان هو المسيح»، أي أن المسيح هو ممثّل الله في الخليقة. ففي 1 كورنثوس 8: 6 يؤكّد بولس أن يسوع المسيح هو «الذي به جميع الأشياء».

«أصل المرأة هو الرجل» (أي التكوين 2: 21-23). فالمرأة [ishah] «من امرءٍ [ish] أُخذت».

«أصل المسيح هو الله» (أي أن المسيح هو «المسيّا»، وأصل المسيّا هو الله). وبلغة القرون اللاحقة يقال: «الابن يصدر من الآب». فالمسيح يأتي من الله.

في 1 كورنثوس 11: 2-16 توجد تلميحات عدّة إلى رواية الخليقة في التكوين 2، وإلى أصل الرجل والمرأة (11: 8-9، 11-12). لذلك من المعقول في السياق أن تلمّح 1 كورنثوس 11: 3 إلى الخليقة وإلى الأصل.

لا نستطيع أن نقول على وجه القطع ما هو المضمون الكامل لمعنى الرأس. هل هو متعدّد المعاني، أم يسري كل شيء بالتمام نفسه على كل «زوج»؟ وإلى أي حدّ يتساوى دور الرجل بوصفه رأس المرأة مع مكانة الله بوصفه رأس المسيح؟ لذلك يجب التحفّظ، ويجب أن نزن كيف يمكن لهذه الآية 3 أن تكون فكرة موجِّهة أو عنوانًا للفقرة التالية كلها.

إن كون الرجل رأسًا يعني أكثر من السلطة، إن أراد المرء بأي ثمن أن يفهم هذا المفهوم هكذا. فهو يعني بالقدر نفسه الأصل والمصدر. وأنا شخصيًا أستنتج من ذلك، كما سبق أن بيّنت في الفصل 5.2، أنه يؤكّد أيضًا الوحدة والارتباط. وكذلك وظيفة الرأس في الإعالة والحماية للجسد، وفي الحمل والمساندة.

ربما كانت هناك أيضًا تأثيرات يهودية يردّ عليها بولس. ففي ضوء رواية التكوين، لا العكس، يبدو أن بولس يصحّح هنا رواية الخليقة التي أسيء فهمها، أو التي فُسّرت تفسيرًا يهوديًا. فمنها علّل المتهوّدون عمومًا، وفي كورنثوس خصوصًا، خضوع المرأة، وربطوا بذلك مظاهر خارجية مثل التغطية والشعر الطويل.

يدحض بولس هذا بروح رواية الخليقة: المرأة ليست شيئًا من دون الرجل (الزوج). وكذلك الرجل ليس شيئًا من دون المرأة (الزوجة). فهما يكمّل أحدهما الآخر. وكيف حدث ذلك؟ المرأة جاءت من الرجل. وكيف استمرّ الأمر؟ كل رجل تلده امرأة. فكيف يمكن تلخيص رواية الخليقة بإيجاز أفضل من هذا؟ وكيف يمكن صياغة تساويهما في القيمة والمرتبة صياغة أكثر إقناعًا؟ كلاهما، الرجل والمرأة، يخرج مشكَّلًا من يد الله، بوصفه تكملة كاملة ونظيرًا مقابلًا. مع أدوار مختلفة من جهة، لكنها في واقع الحياة كثيرًا ما تكون قابلة للتبادل، ولا يحدّدها الجنس.

ومكمّلًا لهذا التساوي في المرتبة بين الرجل والمرأة، هناك أيضًا تعليم بولس السابق في الأصحاح 7: 3-5:

«ليوفِ الرجل المرأة الواجب الزوجي، وكذلك المرأة أيضًا الرجل. ليس للمرأة سلطان على جسدها، بل للرجل؛ وكذلك الرجل أيضًا ليس له سلطان على جسده، بل للمرأة. لا يمنع أحدكم نفسه عن الآخر، إلا أن يكون على موافقة إلى حين، لكي تتفرّغوا للصلاة، ثم تجتمعوا أيضًا معًا لكي لا يجرّبكم الشيطان لسبب عدم ضبطكم أنفسكم.»

بهذا القول يقلب بولس المواقف والتصوّرات القديمة عن الجنس رأسًا على عقب. فالمرأة ليست ملزمة أن تكون في خدمة الرجل من جهة واحدة، متى طلب الإشباع

الجنسي متى شاء. المرأة ليست مُلكًا للرجل. بل كلاهما مُلك للآخر. وفي العلاقة الجنسية يحترم أحدهما الآخر. فالجنس ليس طريقًا باتجاه واحد. إنه واجب، لأن للرجل والمرأة حاجات جنسية وضعها الله نفسه فيهما لكي تُشبَع. والجنس فعل يتّفق عليه الطرفان، ويخدم إشباع كليهما. وهنا أيضًا يبرز بولس بوضوح تكافؤ الجنسين. وإلّا لما قال إن للمرأة سلطانًا على جسد زوجها. وبما أن الجماع أمر جسدي، فإن الجسد هو الذي يُشدَّد عليه، لكنه يمثّل في نهاية المطاف الشخص كله. أما كون المرأة لها سلطان (سلطة، سيادة) على الرجل، فكثيرًا ما يُغفَل، لأن المرء ينطلق من أن المرأة لا ينبغي أن تتسلّط على الرجل، بل أن تخضع. وهذا درس مهمّ لحياة جنسية سليمة في الزواج. لم يكن هذا مألوفًا في ذلك الزمان. لكن هذا هو نظام الخليقة.

6.1.5 غطاء الرأس في كورنثوس

إن لم نبحث في عادة غطاء الرأس و/أو التحجّب، فهناك خطر أن ننقل هذا النص البولسي حرفيًا إلى يومنا هذا. وذلك وفق منهج تفسيري أحادي البعد يرى الأمور بالأبيض والأسود، ينتهي إلى تبرير ناموسية ضيّقة، كما عشتها بنفسي.

تلخّص م. أورباك (M. Auerback) الحجة المؤيّدة للتحجّب: «إن الرموز، أي البيانات، لا يكون لها معنى إلا في ثقافة تعرف ما تعنيه.» «لكن في الدراسات الكتابية التقليدية افترض معظمهم أن التحجّب في 1 كورنثوس 11: 3-16 يعني ‹الإخضاع›، من دون أن ينشغلوا بفهم المعاني التي كانت للتحجّب لدى النساء في الثقافة القديمة لشرق البحر المتوسط، أو في استعماله الذي لا يزال واسع الانتشار في عدد من الثقافات الحديثة.» [61]

ويقرّر بروس وينتر (Bruce Winter) أنه في زمن الإمبراطورية الرومانية «يمكن الافتراض بيقين أن الرأس المحجّب كان رمزًا للحشمة والعفّة المتوقّعتين من المرأة المتزوجة.» [62]

«أما الآن فقد صار لدينا وصول إلى روايات نساء من ثقافات تمارس تحجّب النساء، وهي تحكي قصة مختلفة. فنلاحظ أن في الإسلام وفي اليهودية تيارًا قويًا من النساء الأصوليات التقيّات اللواتي يتحجّبن لأسباب تبدو شبيهة جدًا بتعليل بولس في 1 كورنثوس 11: 3-16. غير أننا لسنا معتمدين كليًا على أوجه شبه أنثروبولوجية لاحقة قد

61. Westfall، ص. 26. Westfall, Cynthia Long. Paul and Gender: Reclaiming the Apostle's Vision for Men and Women in Christ. Baker Publishing Group, 2015
62. ص. 27

تقع في خطر المفارقة التاريخية. فتاريخ النساء اللواتي يرفضن نزع البرقع، وأسباب لبس البرقع، يمكن تتبّعهما رجوعًا حتى الثقافة الآشورية.» [63]

«يبدو أن اهتمام بولس يمتدّ إلى جميع النساء في الكنيسة اللواتي يتنبّأن ويصلّين – بمن فيهن الإماء والمُعتَقات وغير المتزوجات والأرامل. فقد كان لباس الماترونا (Matrona) الرومانية[64] يُظهر رتبتها، كما يُظهر ‹مكانتها ودورها بوصفها امرأة صالحة للعلاقة الجنسية في المجتمع الروماني.› ومن جهة أخرى كان الرأس غير المحجّب يعني الإتاحة الجنسية، حتى إن التحجّب كان محظورًا على الأَمَة أو المُعتَقة.» [65]

«كان تنظيم التحجّب من امتيازات الرجال؛ فهم الذين كانوا سيرون بكل بداهة ضرورة وضع قاعدة له. ففي الممارسة الرومانية كان الرجال والنساء على السواء يغطّون رؤوسهم للصلاة. ويبدو أن بولس علّم الرجال في الكنائس أن يصلّوا مكشوفي الرؤوس خلافًا للممارسة الرومانية (1 كورنثوس 11: 4)، فربما ظنّ الرجال أن ما يصلح لذكر الإوزّ يصلح لأنثاه أيضًا. لكن بينما كان رأس الرجل المكشوف علامة على تواضعه أمام الله، لم يكن رأس المرأة المكشوف علامة على تواضع المرأة أمام الله؛ بل كان يبعث إشارة عن إتاحتها الجنسية قد ترقى إلى حدّ الإغراء. غير أن المُثُل الثقافية لما هو لائق كان يمكن أن يتخلّى عنها أحدهم لصالح أولويات يُظنّ أنها لاهوتية.» [66]

«يُفترض عادةً، من دون سؤال، أن بولس كان يصحّح نساء كورنثوس. غير أن المقطع يصبح أكثر اتّساقًا إذا افترضنا أن نساء كورنثوس كنّ يرفضن نزع أغطية رؤوسهن أو براقعهن، لكنهن كنّ يتعرّضن للضغط أو التشجيع من أصحاب السلطة، أي من الرجال في الكنيسة البيتية، أو ربما حتى من أزواجهن، لكي ينزعن براقعهن. وهذا نوع من السيناريوهات يتكرّر مرارًا في الثقافات التي تمارس التحجّب.» [67]

«ولم يكن هذا يشير فقط إلى أن هؤلاء النساء متاحات جنسيًا، بل كان يحافظ أيضًا على النظام الاجتماعي وعلى التمييز بين الطبقات. ... إن تأييد بولس لتحجّب جميع النساء ساوى بين العلاقات الاجتماعية في الكنيسة؛ وبقدر ما كان هذا التحجّب في يده، فقد ضمن الاحترام والكرامة والطهارة الجنسية لنساء في الكنيسة كانت الثقافة

63. ص. 29
64. الماترونا (Matrona) هي التسمية التي كانت تُطلق في مجتمع الإمبراطورية الرومانية على المرأة المتزوجة من مواطن روماني. وكان مكانها في الغالب البيت، في رعاية الأسرة وتدبير المنزل. وكانت تحت حماية رب البيت ووصايته، سواء أكان أباها أم زوجها. ويكيبيديا
65. ص. 29
66. ص. 31
67. ص. 32

تحرمهن من هذه المكانة.» [68] كان التحجّب يُظهر الفوارق الاجتماعية بين الأعلى والأدنى، أي فارقًا طبقيًا يمكن ملاحظته طوال 1800 سنة حتى العصر الحديث.

«في ثقافة الشرق الأدنى كانت المرأة من الطبقة الراقية تغطّي رأسها لتعبّر عن إخلاصها وتواضعها. وكان رأسها المغطّى يدلّ أيضًا مباشرة على كرامتها هي وكرامة عائلتها – ولا سيما كرامة الـ paterfamilias (ربّ البيت في العالم القديم)، الذي هو مصدر هويتها. ويستند بولس إلى المعنى المركّب لهذا الرمز ليقدّم حجة لاهوتية للتحجّب مبنية على رواية الخليقة.» [69]

يكتب إ. شنابل (E. Schnabel): «إن لبس النساء غطاء الرأس (لا في السياقات الدينية فقط) كان أمرًا بديهيًا مقبولًا في المجال الثقافي الروماني الهلنستي. فالتماثيل الرومانية، وفي مقدّمتها صور نساء الأسرة الإمبراطورية، وكذلك النقوش على القبور، تصوّر النساء المتزوجات والـ stola مسحوبة فوق رؤوسهن (palla)، أو مع الـ vitta، أي عصابة الرأس أو الشعر الصوفية، وكانت تُعدّ رمزًا للحشمة والعفّة. ولم يكن مفروضًا على النساء أن يلبسن الـ stola في العلن. غير أن لبس الـ stola كان يرمز إلى عفّتهن. وقد نصّ تشريع أغسطس للزواج على أنه يُحظر على البغايا لبس stola الزوجة المحتشمة، أي الـ Matrona (الماترونا).» [70]

كان من الشائع أن يغطّي المرء رأسه. فبجهد قليل كانت النساء الروميات يستطعن أن يسحبن رداءهن الخارجي أو ثوبهن العلوي، أي الـ palla، من الخلف فوق الرأس، فيصير شعرهن بذلك مغطّى تقريبًا. وهذا ما يمكن رؤيته في عدد لا يحصى من الصور القديمة.

«تدحض هذه الدراسة الافتراض السائد في الدراسات الكتابية بأن البرقع كان يرمز إلى خضوع المرأة لزوجها. فلبس البرقع لم يكن رمزًا خاصًا، بل ممارسة علنية ينظّمها القانون والعرف، وكان يُتوقَّع من الرجال والنساء على السواء أن يخضعوا لهذه العادة. باختصار، كان البرقع يمثّل كرامة المرأة ومكانتها وحمايتها.» [71]

«كان من المألوف (ولا يزال) أن ترفض النساء نزع براقعهن، لأنه يرمز إلى الكرامة والحماية. والأرجح أن النساء اللواتي لم يكن يُسمح لهن بالتحجّب في العلن أردن أن يلبسن البرقع في الاجتماع، ليرمزن إلى أنهن قد بُرّرن بالمسيح. وكانت توجيهات بولس

68. ص. 33
69. ص. 37
70. Schnabel, E. J., 602–603.
71. ص. 42

لجميع النساء بأن يتحجّبن معاكسة للثقافة أو مضادّة لها، ومُحسنة إلى النساء. فممارسة لبس جميع النساء البرقع ساوت بين العلاقات الاجتماعية في الكنيسة المسيحية.» [72]

كان الهدف من هذا التفصيل أن أبيّن أن هذه العلامات الخارجية كانت متجذّرة بعمق في ثقافة ذلك الزمان ومجتمعه. ولكي لا تُعرَّض شهادة المسيح والإنجيل للخطر، كان من الضروري أن يُوجد طريق بين الحرية في المسيح والتكيّف مع الأعراف الاجتماعية. وهذا كان يعني من جهة التكيّف (النساء يتغطّين). لكنه كان يعني أيضًا، على نحو معاكس للثقافة، تغطية جميع النساء لإظهار المساواة في المسيح. وكذلك رفض التغطية للرجال، لأنها كان يمكن أن تعني التكيّف مع عبادات وثنية. وهذا المبدأ يجب أن نحافظ عليه اليوم أيضًا. فتبنّي الأعراف الاجتماعية القديمة لا يساعدنا في القرن الحادي والعشرين. بل إن مثل هذه المظاهر الخارجية ستثير الحيرة، كما هي الحال للأسف.

6.1.6 أن يكون على الرأس علامة سلطان؟

الآية 10: لذلك ينبغي أن يكون للمرأة سلطان فوق الرأس من أجل الملائكة.

لقد أضافت ترجمات كثيرة هنا «علامة سلطان أو سلطة»! لكن النص لا يرد فيه إلا: سلطان، أو تفويض، أو سلطة. وهذه الإضافة لا تفاجئ، لأن هذا النص البولسي، كما ذُكر في البداية، فُهم على أنه تأكيد لتراتبية الرجل فوق المرأة. وقد أثّر ذلك في المترجمين (وهم كلهم تقريبًا من الرجال). وبعبارة أخرى: هذه الإضافة تفسير.

بل ينبغي أن تُنقل هذه الآية هكذا:

لذلك ينبغي أن يكون للمرأة سلطان على رأسها من أجل الملائكة.

(هكذا شنابل، ووستفول، وبوشنل، وكينر، وشيرماخر وغيرهم)

يشير بولس إلى أن من حق المرأة في الجماعة المسيحية أن تتحجّب، وهذا يحوّل الرمز. فهو بذلك صراحةً ليس علامة إخضاع أو خضوع هرمي. وقد يعني هذا أن المرأة ينبغي أن تكون قادرة على ممارسة حكمها الخاص في مسائل لباس النساء، لأنها مُعَدّة لأن تدين العالم والملائكة، كما قال من قبل في 1 كورنثوس 6: 2-3. «فبلبس غطاء الرأس التقليدي تُظهر الزوجة تحكّمها في رأسها، إذ تقبل أمانتها لزوجها ومكانتها

72. ص. 44

الاجتماعية الشخصية. وهكذا تُتجنَّب الإشارات الإغرائية التي تبعثها النساء بكشف رؤوسهن في علنية اجتماع الكنيسة. ويبقى انتساب الرجل والمرأة أحدهما إلى الآخر محفوظًا، ويبقى تعبير المرأة عن حقيقة الله في الصلاة والكلام النبوي أصيلًا».[73]

«وعليه فإن الرجل والمرأة في لاهوت بولس عن الأصول يعتمد أحدهما على الآخر صراحةً. وفي سياق 1 كورنثوس 11: 3-16 يلطّف بولس بدبلوماسية أي استقلالية غير لائقة للنساء قد تنتج عن تأييده لرغبتهن في التحجّب.»[74]

6.1.7 الأهمية الراهنة

كلمة الله صالحة لكل زمان. ولن تزول كلمة منها. لكن هناك أمورًا تنتمي إلى حقبة زمنية معيّنة، وتُخاطَب في تلك الحقبة.

بالتغطية ما كان ينبغي للنساء أن يجذبن الانتباه إلى أنفسهن، وألّا يُظهرن مجد شعورهن، وألّا يشتّتن انتباه الرجال (وربما بعض النساء أيضًا). كان ينبغي أن يُعظَّم مجد الله ويُسبَّح. فمجد الله، أي حضوره، كان مركز الاجتماع. ولا ينبغي اليوم أن يرفع شيءٌ في العبادة الإنسانَ، ولا ينبغي لأحد أن يجذب إلى نفسه الانتباه أو الكرامة.

ما كان ينبغي للنساء أن ينتقصن بمظهرهن، أي بجمالهن البارز أو المتزيّن، شيئًا من مجد الله. هذا هو المبدأ الأخلاقي للنص، وهو سارٍ حتى اليوم. فلا ينبغي لمتكلّم، ولا لواعظ، ولا لمن يقدّم شهادة حياة أو تقريرًا عن الإرسالية، ولا لمرنّم، ولا لعازف، ولا لأي إنسان، أن يجذب الانتباه إلى نفسه بلباسه، تمامًا كما كان الأمر آنذاك.

«أما ممارسة غطاء الرأس، فلم يعد مألوفًا في المجتمعات الغربية منذ زمن طويل أن تعبّر النساء عن مكانتهن بوصفهن زوجات أمينات بغطاء الرأس. أما في البلدان الإسلامية، وبالتالي في الكنائس في المناطق الإسلامية، فالأمر مختلف! وإن كانت الزوجات المسيحيات في مثل هذا الوضع ينشطن في الكنيسة من دون غطاء رأس، فذلك بالذات لأنهن يتحرّكن أيضًا في الأماكن العامة في المدينة التي يعشن فيها من دون غطاء رأس. فغياب غطاء الرأس لا يبعث إشارات. وحين يطالب بعض المسيحيين بأن تلبس الزوجات حتى اليوم غطاء الرأس ‹طاعةً للكتاب›، فإن توجيهات الرسول بولس بالذات لا تُفهم ولا تُطبَّق ‹بطاعة›: فبولس لا يهمّه غطاء الرأس، بل

73. Schnabel, E. J., 610–611
74. ص. 73

الاستخفاف المتعمّد بالأعراف التقليدية والاستهزاء بها، وهي أعراف مهمّة وأساسية للمجتمع كله.

وحين تلبس النساء في كنائس أوروبا الغربية غطاء رأس، فليس هذا هو الامتثال الذي طلبه بولس لعُرف يرمز إلى عفّة الزوجة وتضامنها، بل هو سلوك لا يمتثل بالذات. ففي الغرب نادرًا ما يُرمز إلى التضامن الزوجي والحشمة بنوع معيّن من اللباس. بل يحدث ذلك بالأحرى بالكلام، أي بأقوال محدّدة عن قيمة الزواج وقيمة شريك الحياة.»[75] وطبعًا بخاتم الزواج، الذي يبيّن بوضوح لا يمكن تجاهله أن صاحبه في علاقة (زوجية) ثابتة، وأنه ليس حرًّا لعلاقة جديدة، ولا يسعى إلى مغامرات جنسية. وخاتم الزواج لا يحمي من ذلك إلا إلى حدّ ما؛ فالأمر يتعلّق بالعلامة.

ومن لا يزال يظنّ أن عليه اليوم أن يفرض على النساء غطاء الرأس (أو أن يفرضنه هن على أنفسهن)، فإنه لم يمسك بعد بحرية الإنجيل التي دُعينا إليها.

6.1.8 نقل تفسيري

فيما يلي إعادة صياغة للنص بكلماتي. هكذا كنت سأشرح هذا النص المعقّد شرحًا موجزًا ومركّزًا. إنها ليست ترجمة للنص اليوناني، بل صيغة بتصرّف، كما أفهمه وكما كنت سأشرحه، من وجهة نظر الكاتب بولس:

من المهمّ عندي أن تدركوا، يا أهل كورنثوس، أن الأصل، أي رأس كل رجل، هو المسيح، المسيّا. فبه خُلقتم أيها الرجال. وأنتم بوصفكم رجالًا منسوبون إليه. وهذا يظهر في الاجتماع. أذكركم أولًا، لأنكم تطالبون النساء بألّا يلبسن غطاء الرأس حين يصلّين ويتنبّأن.

ورأس المرأة هو الرجل. فمن جنبه خُلقت لتصير واحدًا معه. هو الرأس وهي الجسد. فالرجل أصلها، وهي أيضًا منسوبة إليه، وهذا ما يظهر في الاجتماع.

وهذه العلاقة نراها أيضًا عند المسيح. فرأسه هو الله. لقد ولده في الأزل، وبوصفه إنسانًا أيضًا، ابنه الذي هو مساوٍ له.

إذا صلّى رجل في كورنثوس بصوت مسموع في الاجتماع إلى المسيح أو إلى الله، أو تكلّم بالنبوة، وكان رأسه مغطّى، فذلك عار. فهو يعطي المجد لنفسه، لا للمسيح. لأن

75. Schnabel, E. J., 624

عبدة الأوثان يغطّون رؤوسهم حين يذبحون للأوثان. أما مكشوف الرأس، فيُظهر الرجل تواضعًا، ويعطي المجد للعليّ، للمسيح غير المنظور.

أما عند النساء فالأمر على العكس تمامًا. فالنساء اللواتي يصلّين ويتكلّمن بالنبوة في الاجتماع ولا يتغطّين، يجلبن العار على رؤوسهن. فهن يُهِنّ أنفسهن وأزواجهن، أي رؤوسهن. لأنهن يجذبن الانتباه إلى أنفسهن، بدلًا من أن يوجّهنه إلى الله وإلى المسيح.

إن كان أحد يطالب بأن النساء لا يحتجن إلى التغطية مثل الرجال، فإنه لا يفكّر في الأمر حتى نهايته. فأنتم تعلمون أن المرأة غير المغطّاة في كورنثوس تُعدّ محلوقة، وتشبه امرأة تمارس البغاء أو تسعى إلى لقاء جنسي. فإن لم تتحجّب أو تتغطَّ، فمن المنطقي أن تقصّ شعرها أيضًا أو تحلقه كله.

أعلم أنكم لا تقصدون هذا بمطالبتكم! لكن في المجتمع الذي تعيشون فيه، هذه هي العاقبة! لذلك لا تخاطروا بأن تصيروا عثرة لأناس يأتون إليكم ويرون كيف تُرفض العادة المألوفة بأن تكون النساء مغطّيات في العلن.

لا ينبغي للرجال أن يتحجّبوا في الاجتماع، في حضرة الله. لأن الرجل هو صورة الله وبهاء مجده.

والمرأة أيضًا هي صورة الله، لكنها فوق ذلك بهاء مجد الرجل. فجمالها هو جمال رجلها الذي هي واحد معه.

كيف استطاعت أن تصير مجده؟ بالتأكيد ليس لأنه خُلق منها، بل لأنها كُوّنت منه، من جنبه.

وهي ليست مجد الرجل لأنه خُلق من أجلها، بل العكس. فقد خُلقت من أجله، لأنه كان وحده ويحتاج إلى عون. وكانت بوصفها امرأة جميلة جمالًا يجعله يرغب فيها.

لذلك، لأن للمرأة قيمة كهذه، ولأنها ذات نفع عظيم كهذا للرجل، فلتقرّر هي بنفسها في شأن رأسها: هل تغطّيه أم لا. لا يحقّ لأحد أن يفرض عليها ذلك. لا يحقّ لزوجها ولا لقادة الكنيسة أن يفرضوا عليها ألّا تلبس غطاء الرأس (أو أن تلبسه).

لكن لتنتبه المرأة، في استقلاليتها وحرية قرارها، إلى أنها ليست منفصلة عن الرجل أو مستقلّة عنه. فهي لا توجد في الكنيسة من دون الرجل، والرجل أيضًا لا يوجد من دون المرأة. ففكرة الله كانت دائمًا معيّة الرجل والمرأة وكونهما معًا. ففي وحدة الرأس

والجسد يعملان معًا، متوافقين، متشاورين، في سلام، خاضعين أحدهما للآخر، متكاملين.

ماذا يعني أن الواحد لا يوجد من دون الآخر؟ تذكّروا مرة أخرى خلق الزوجين الأوّلين. فالمرأة جاءت في البدء من الرجل. من جنبه. منسوبة إليه، لتكون من جديد جسدًا واحدًا معه. لكن فكّروا أبعد من ذلك: كل رجل يأتي منذ ذلك الحين من امرأة. فلولا الرجل لما وُجدت المرأة، ولولا المرأة لما وُجد الرجل. كلاهما متساويان في الكرامة والقيمة والمكانة، وهما التكامل الكامل في اختلافهما. كل هذا كان فكرة الله. هو الرأس الذي صدر منه كل هذا.

وفي ضوء ذلك أسألكم: هل يليق أن تصلّي المرأة إلى الله علنًا، لكن من دون حجاب ومن دون غطاء؟ كلا، ستوافقونني، لا يليق ذلك في ضوء العادات في كورنثوس وفي الإمبراطورية الرومانية.

فهناك عادات وتقاليد هي عند الناس كقوانين الطبيعة. فإذا أرخى رجل شعره خلافًا للعادات والتقاليد، عُدّ ذلك عارًا. وهنا أيضًا الأمر عند النساء على العكس تمامًا. فشعر النساء الطويل هو مجدهن، وزينتهن الطبيعية التي يُشعَر بها بوصفها كذلك. فقد أُعطي الشعر الطويل للمرأة كبرقع أو رداء يزيّنها، لتكون مجد الرجل.

هذه الزينة التي تبدو للرجال مرغوبًا فيها إلى هذا الحدّ، عليها أن تغطّيها في الاجتماع. فهذا ليس المكان الذي تظهر فيه بهذا المجد، تمامًا كما ينبغي للرجل أن يُظهر تواضعه برأس مكشوف. لأن الأمر يتعلّق بكرامة الله والمسيح ومجدهما. فهو الذي يدعونا إلى المثول في حضرة ملك الملوك.

إن كان أحد في كورنثوس يريد أن يجادل في هذا ويشكّك في عادة غطاء الرأس هذه، فليدرك بنفسه أن هذا لا يحدث في أي مكان. كما تريدون أن تفرضوا على النساء ألّا يلبسن غطاء الرأس. فلا توجد كنيسة تمارس شيئًا كهذا، لذلك التزموا بما هو سارٍ عادةً في شأن غطاء الرأس، وبما هو لائق ولا يثير عثرة لأحد.

6.1.9 الختام والملخّص

إن لغة المقطع واستنتاج بولس يوحيان بأن أحدهم أراد إمّا أن يقيّد التحجّب في الكنائس البيتية في كورنثوس أو أن يمنعه، لكن جميع النساء، أو بعضهن، أو امرأة واحدة، أردن أن يتحجّبن. فأولًا يلخّص بولس رواية الخليقة باختصار، ويشرح أن خلق

المرأة من الرجل ولأجل الرجل هو السبب في أن المرأة هي مجد الرجل. فالرجل رأسها لأنها خُلقت منه، ورأسها بالتالي يعكس مجده أو يعبّر عنه بطريقة ما. وفي رواية سفر التكوين كانت هي أيضًا مجده، لأنها خُلقت خصيصًا لتجذبه، على خلاف جميع الحيوانات (التكوين 2: 18-23).[76]

تتضمّن النصوص البولسية لاهوتًا للجنسين (الجندر)، يتحقّق في الطريقة التي يشرح بها بولس رواية الخليقة بمفاهيم ورموز الثقافة اليونانية الرومانية وبتعابير اللغة اليونانية. فبتطبيقه استعارة «الرأس» على آدم، يبيّن بولس أن لحواء هويات عدّة. فالنساء هنّ صورة الله، وصورة آدم، وكذلك «مجد الرجل». ووصف بولس للمرأة بأنها «مجد الرجل» لا يشير إلى خضوع أو إلى مجد أقلّ، بل يشير إلى مجد إضافي: قوّة جمالها على الرجال. وكذلك لا نستطيع أن نُسقط أسبقية الرجل على وصف بولس الموجز في 1 تيموثاوس 2: 13-14، الذي يقول إن آدم جُبل أولًا (الآية 13). بل يعلّم بولس التبادل انطلاقًا من رواية الخليقة، لأن بولس يصوّر الرجل مستفيدًا يحتاج إلى عون المرأة. ويصف ذلك بمفاهيم كانت الثقافة ستفهمها. فقد شُكّلت المرأة من الرجل، بحيث يقوم الرجل في رواية الخليقة بدور رأس المرأة (أصل حياتها) في الاستعمال اللغوي اليوناني؛ لكن فيما بعد يأتي كل رجل من المرأة، بحيث تكون المرأة أيضًا أصل الحياة، وهذا ما يعنيه اسم «حواء» في التكوين 3: 20.

لذلك فإن المرأة والرجل، بحسب تصميم الله، ليسا مستقلّين أحدهما عن الآخر. ولا يوجد سبب ملزم لتفسير بولس على أنه يناقض سلطة المرأة في رواية الخليقة في التكوين 1: 27-28، أو في استعماله للتعبير الاصطلاحي اليوناني «الرأس»، أو يعيد تفسيرها، أو ينسّبها. فقد خُلق الرجل والمرأة كلاهما على صورة الله، وخُلق كلاهما للسيادة، وهي سيادة تُمارَس بحسب بولس بروح الشراكة والتبادل ضمن المعطيات الثقافية المناسبة.[77]

6.1.10 قراءة أخرى لـ 1 كورنثوس 11

قبل نحو 25 سنة سمعت أول مرة أن بولس في هذا النص لا يورد أفكاره هو، بل أفكار رجال في كورنثوس، فيذكرها أو يقتبسها ثم يدحضها. ويسمّى هذا نظرية الاقتباس أو فرضية الاقتباس. وقد صاغها باللغة الألمانية توماس شيرماخر (Thomas Schirrmacher). كنت متشكّكًا زمنًا طويلًا. لأن النتيجة هي ما يقوله عنوان كتابه هذا:

76. ص. 98
77. ص. 105

Paulus im Kampf gegen den Schleier («بولس في معركته ضد البرقع»).[78] أي ليس مرافعة من أجل التغطية، بل رفضًا لهذه المظاهر الخارجية. إنها انعطافة في المعنى بمقدار 180°. «مُغيِّر لقواعد اللعبة» (Gamechanger)، كما يُسمّى أيضًا. وهذه الفرضية منظور مختلف تمامًا إلى هذا النص.

ومن خلال لاهوتيين ناطقين بالإنجليزية يتبنّون الفرضية نفسها مستقلّين عن ت. شيرماخر، عدت إلى تفسيره. وأرى هذه الفرضية متماسكة فعلًا. وذلك مع معرفتي بالانتقادات المتنوّعة التي وُجّهت إليها. وشيرماخر نفسه يتناول الانتقادات في الطبعة الخامسة من كتابه. هذا التفسير غير مُثبَت، ولكن أيّ تفسير مُثبَت؟

إنه لا ينبع من المنهج التاريخي النقدي، لأنه كان موجودًا قبل ظهور هذا المنهج. فالأمر لا يتعلّق بنقد الكتاب المقدس، بل بفهم مسار الفكر. لا بالحطّ من قيمة النص، بل بوضعه في إطار تعليم يسوع والرسل والكتاب المقدس.

أمثلة على الاقتباسات

لكي نصل أصلًا إلى احتمال أن يكون بولس في 1 كورنثوس 11 يقتبس بالتفصيل مطالب مُربكة لبعض رجال كورنثوس، أورد أمثلة مشابهة من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس. فهو يشير مرات عدّة إلى أفكار وآراء وأحداث في كورنثوس. ففي الأصحاحات 1-4 يدور الكلام عن تكوّن الأحزاب، إذ يعلنه أحد الأحزاب في غيابه زعيمًا له، مما يقوده إلى السؤال: هل صُلب هو لأجلهم؟ وفي الأصحاحين 5-6 يدور الكلام عن التأديب الكنسي، وفي 6-7 عن المحبة الزوجية، وفي 8-10 عن لحم ذبائح الأوثان، وفي 12-14 عن المواهب الروحية، وفي 15 عن القيامة. فهو يعالج عددًا كبيرًا من الموضوعات المتنازع فيها، والآراء الخاطئة، والاستنتاجات الخاطئة. ويلاحظ المرء في ذلك عبارة ساخرة هنا وهناك.

يذكر بولس، أكثر مما في رسائل أخرى، أفكارًا خاطئة ليصحّحها. وربما عرف معظمها من رسالة جوابية كتبها أهل كورنثوس على رسالته الأولى إليهم (5: 9)، وهي رسالة لم

78. Paulus im Kampf gegen den Schleier («بولس في معركته ضد البرقع»)، توماس شيرماخر (Thomas Schirrmacher)، Eine alternative Auslegung von 1. Korinther 11,2-16 («تفسير بديل لـ 1 كورنثوس 11: 2-16»)، الطبعة الخامسة الموسَّعة، VTR، نورنبرغ، 2002 (الطبعة الأولى 1993)، مع تقديم بقلم هانس-غيورغ فونش (Hans-Georg Wünch)، مدير الدراسات ومحاضر العهد القديم في المعهد اللاهوتي في راينلاند (Theologisches Seminar Rheinland)، الذى يؤيّد قراءة الاقتباس هذه.

تعد بين أيدينا، وكذلك من وفد جاء من كورنثوس. ومن الأمور العادية تمامًا أن يقتبس المرء شيئًا أو ينقله بتصرّف، ثم يعلّق عليه أو يدحضه.

ومن الأمثلة على الاقتباس 1 كورنثوس 7: 1: حسنٌ للإنسان ألّا يمسّ امرأة. لقد عدّ كثيرون هذا رأي بولس. وهذا مشكوك فيه لثلاثة أسباب على الأقل: تبدأ الجملة صراحةً بما كتبه أهل كورنثوس إلى بولس. ثم يدور الكلام عن المسّ، والمقصود به العلاقة الجنسية، بحسب ما كان يُعبَّر عنه في اللغة اليونانية. وبولس ليس ضد الجماع، كما كان يعتقد أهل كورنثوس أو بعضهم. بل يعدّه واجبًا متبادلًا في زواج الرجل والمرأة.

وفي 10: 23 يقول: كل الأشياء تحلّ. لا يصف بولس هنا الحرية المسيحية، بل رأي أهل كورنثوس، وهو رأي خاطئ. فليست كل الأشياء تحلّ أبدًا. وهذا الاقتباس أيضًا، وإن كان أقصر بكثير، لا يُشار إليه بوصفه اقتباسًا. والسياق يوضّح ذلك.

من المسلَّم به عمومًا أن بولس في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس يقتبس إمّا بتصرّف أو من رسالة: 6: 12، 13؛ 7: 1؛ 8: 1، 4؛ 10: 23؛ 15: 12. وليس كل اقتباس يُعلَّم دائمًا بوصفه اقتباسًا، بل يُستنتج على نحو معقول من السياق. ففي النهاية كان أهل كورنثوس يعرفون بالضبط عمّا يدور الكلام – وهذا أصعب علينا نحن اليوم أن نكتشفه.

الحجّتان الرئيسيتان ضد نظرية الاقتباس هما أن بولس لا يعلّمها بما لا يقبل الشك بوصفها اقتباسًا، وأنها في الأصحاحين 11 و14 أطول مما ينبغي مقارنةً بالاقتباسات الأخرى. أما كون الاقتباس طويلًا – ولننتبه إلى المسارات الفكرية الطويلة في موضوع ذبائح الأوثان في الأصحاحات 8-10 – فيرجع إلى تعقيد المسألة. فما كان يمكن نقله بإيجاز أكبر من دون خطر سوء الفهم.

والاعتراض بأن الاقتباس الطويل لا يمكن أن يكون كلمة الله مغالطة. فالكتاب المقدس ينقل أمورًا كثيرة من دون أن تكون هي الحق، بل حتى كلمات إبليس، وهي خاطئة بلا شك. والجوهري دائمًا هو النقل الأمين.

كان المقصود من هذه الأفكار التمهيدية أن تبيّن أنه من الممكن مبدئيًا أن نقرأ 1 كورنثوس 11 بهذه الطريقة.

6.1.11 ترجمة بديلة لـ 1 كورنثوس 11: 2-16

اقرأوا النص أولًا في ترجمة معروفة تستعملونها أكثر من غيرها. ثم اقرأوا هذه الترجمة البديلة، كما يقترحها شيرماخر (Schirrmacher)، وقارنوها جملةً جملة.

(2) فأمدحكم على أنكم تذكرونني في كل شيء، وتحفظون التقاليد كما سلّمتها إليكم.

(3) ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح، ورأس المرأة هو الرجل، ورأس المسيح هو الله.

والآن تأتي من الآية 4 إلى 9، وربما إلى الآية 10 أيضًا، وجهة النظر الخاطئة للمتهوّدين، التي يقتبسها بولس أو ينقلها بتصرّف:

(4) كل رجل يصلّي أو يتنبّأ وشيءٌ متدلٍّ من رأسه، يشين رأسه.

(5) وأما كل امرأة تصلّي أو تتنبّأ ورأسها غير محجّب، فتشين رأسها؛ لأنها والمحلوقة شيء واحد بعينه.

(6) إذ المرأة إن كانت لا تتحجّب، فليُقصّ شعرها أيضًا.

وإن كان قبيحًا بالمرأة أن يُقصّ شعرها أو تُحلق، فلتتحجّب.

(7) فإن الرجل لا ينبغي أن يحجب رأسه، لكونه صورة الله ومجده؛ وأما المرأة فهي مجد الرجل.

(8) لأن الرجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرجل؛

(9) ولأن الرجل أيضًا لم يُخلق من أجل المرأة، بل المرأة من أجل الرجل.

والآن يدحض بولس هذه المطالب، ويعارضها بوضوح، ويبيّن سخفها إن جاز التعبير:

(10) لذلك ينبغي أن يكون للمرأة سلطان على رأسها، من أجل الملائكة.

(11) فإنه في النهاية، في الرب، لا المرأة من دون الرجل، ولا الرجل من دون المرأة.
(12) لأنه كما أن المرأة هي من الرجل، هكذا الرجل أيضًا هو بالمرأة؛ ولكن جميع الأشياء هي من الله.

(13) احكموا في أنفسكم! إنه لائق أن تصلّي المرأة إلى الله غير محجّبة!

(14) الطبيعة لا تعلّمكم أنه إذا كان للرجل شعر [طويل] فهو عار له، (15) وأما إذا كان للمرأة شعر [طويل] فهو كرامة لها! لأن الشعر أُعطي عوض برقع.

(16) ولكن إن كان أحد يستحسن أن يكون محبًّا للخصام، [فليتأمّل:] ليست لنا عادة مثل هذه، ولا لكنائس الله [أيضًا].

وبدلًا من ذلك يمكن ضمّ الآية 10 إلى النص المُزاح إلى الداخل، ثم ترجمتها بوصفها اقتباسًا:

(10) لذلك ينبغي أن يكون للمرأة سلطان فوق الرأس، من أجل الملائكة.

وترى لوسي بيبيات (Lucy Peppiatt) أن الآية 6 أيضًا كلمة من بولس، يفكّر فيها في مطلب التغطية حتى نهايته، ويلاحظ التناقضات الغريبة عند المتهوّدين، ثم يتابع الاقتباس.

هذه القراءة توضّح بعض صعوبات النص. وأعلم أن هذه القراءة، مقارنةً بـ2000 سنة من تاريخ الكنيسة، لا يتجاوز عمرها 200 سنة على الأكثر، أو أنها لم تُطرح للتفكير إلا منذ ذلك الحين. فهل هي لذلك خاطئة؟

بالنسبة إلى الذين يؤمنون مثلًا باختطاف الكنيسة قبل الضيقة، يسري الأمر نفسه تمامًا، لأن هذه الفرضية أيضًا ليست أقدم من ذلك. فإن كنا نحن ومسيحيون لا يُحصى عددهم ندرس الكتاب المقدس يوميًا، فلا ينبغي أن يفاجئنا أن تكون هناك معارف جديدة تساعدنا على التقدّم، أو تحلّ ألغازًا قديمة.

6.1.12 الخلاصة

بالنسبة إلى الذين لم يقرؤوا 1 كورنثوس 11: 1-16 هكذا من قبل، تمثّل هذه القراءة تخفيفًا للعبء. وتنتج عنها معارف محرِّرة: المرأة اليوم ليست ملزمة أن تتغطّى أو تتحجّب حين تصلّي وتتنبّأ علنًا. وتستطيع أن تقصّ شعرها كما تشاء، لأنها هي نفسها تستطيع أن تقرّر ذلك. والرجل يستطيع أن يُرخي شعره إن أراد. فبولس نفسه كان على الأرجح جدًا ذا شعر طويل في بعض الأوقات (أعمال الرسل 21: 24). والطبيعة، مهما كان معناها، ليست أبدًا المعلّم الذي يبيّن لنا كيف نُرضي الله.

وبعمق أكبر لا ينتج عن النص لا ترتيب في الرتب ولا سُلَّم رتب يضع الرجل فوق المرأة أو المرأة تحت الرجل. لا عمومًا لكل امرأة ولكل رجل، ولا يُصوَّر هنا زوجان مؤمنان بينهما فرق في السلطة.

وبذلك يمكن الإجابة بوضوح عن مسائل الضمير وعن مطالب قادة الكنائس أو «الإخوة القياديين»، ويمكن أن يُرفع عن الأخوات عبء المسؤولية أو عبء شريعة بشرية.

هناك تفسيرات تاريخية تصل إلى النتيجة الواضحة بأن التغطية لم يعد لها اليوم أي دور. ويمكن الوصول إلى ذلك من دون فرضية الاقتباس، كما بيّنت أعلاه. فبحسب العادات والتقاليد (في العصور القديمة، أو حتى القرن الثامن عشر، بل التاسع عشر) كانت النساء يُثرن العثرة حين يتكلّمن مثلًا من دون غطاء وعلنًا.

الأمر يتعلّق فعلًا بعدم إثارة العثرة. ولا يتعلّق ذلك بشيء يشكّل جوهر الإنجيل. فهناك تكيّفات بالمعنى الذي به يصير بولس للأمم كأمميّ ولليهود كيهودي (9: 19-23)، لكي يربحهم. وهو يدفع ثمنًا، إذ يتنازل عن حريته لكي يربح الناس ليسوع. ولذلك قد يحدث، لهذه الأسباب، تكيّف طوعي (لا لاهوتي!) أو احتفاظ بعادات يعيش فيها الناس المعنيون ويتجذّرون. وهذه العادات والمظاهر الخارجية، التي قد تقوم على فهم خاطئ للأدوار، تُتقبَّل وتُحتمَل إن جاز التعبير. ويجوز لها، بفضل حرية الإنجيل، أن تتغيّر وتزول. وفي ألمانيا ومعظم الدول الغربية الديمقراطية لا يوجد هذا الوضع. فهناك ليست «العادات التقيّة» وقواعد اللباس والمظاهر الخارجية جزءًا من الثقافة الدنيوية، بل جزءًا من ثقافة مسيحية انتقلت من ماضٍ بعيد إلى الحاضر، وتستمرّ في وسطها الخاص بتعليل ديني. من دون تأثير أو إكراه دنيوي. وهذا قد يثير حيرة لا لزوم لها عند لقاء مثل هؤلاء المسيحيين بغير المسيحيين.

ويؤكّد أخ من التيار المحافظ أن من الأفضل ألّا تُراعى المظاهر الخارجية مثلًا في الاجتماعات الكرازية، لكي لا يكون المرء «عائقًا بمظهر وسلوك غير مفهومين لهم».[79] وجوابي: كل ما يعيق الإنجيل يجب تجنّبه. فيا لها من معضلة متناقضة، إن كان الكتاب المقدس (كما يُزعم) يضع قواعد يمكن أن تكون في الوقت نفسه عائقًا أمام إنجيل الله.

هناك أمر واحد فقط يجوز أن يكون عائقًا أو حجر عثرة: صليب يسوع المسيح! فعنده تفترق العقول والقلوب. لا عند المظاهر الخارجية، ولا عند قواعد الكلام واللباس والجلوس.

79. Herbert Briem, Die Kopfbedeckung der Frau («غطاء رأس المرأة»)، 2018

ومن العوائق الكبيرة أن يُمنع على النساء أن يتكلّمن في العبادة وأن يشاركن فيها. وعن ذلك في الفصل التالي.

«إن كوننا استعملنا خطأً ما ظنناه كلمات بولس (وهي ليست كذلك) لكي نُسكت النساء في الكنيسة، يجب أن يُعدّ من أعظم المآسي في التاريخ.»

داني سيلك (Danny Silk)

نعم، إنهما فعلًا نصّان كتابيان يقرّران منذ أجيال مصير المرأة: أن تكون أو لا تكون.

فيرونيكا شميت (Veronika Schmidt)



6.2 لا الكلام، بل الصمت

بين المسيحيين في الكنائس الحرّة لا توجد إلا نسبة ضئيلة من الكنائس تصمت فيها النساء في العبادة. وبما أنني نشأت في عالم هذه الكنائس، فإن هذا يشغلني حتى اليوم، وكثيرًا ما يشغلني عاطفيًا.

لم أفهم قطّ ما يمكن أن تكون فكرة الله في أن تصمت النساء في اجتماعات العبادة، ما عدا الترنيم والنطق بـ«آمين» المشتركة. ومع ذلك يفعل المرء هكذا، لأن كلمة الله تقول هكذا. وبوصفي رجلًا فأنا معنيّ بذلك بطريقة غير مباشرة فقط. فلا أستطيع أن أتكلّم عن الشعور بأن لا يُسمح للمرء طوال حياته كلها بأن يقول شيئًا في العبادة.

انطباعي اليوم أنني بوصفي رجلًا لست معنيًا بذلك بطريقة غير مباشرة فقط. بل أنا معنيّ مرتين، وبطريقة مباشرة. فمن جهة أنا مسؤول مع غيري عن الجواب والتعليل اللذين أقدّمهما حين أفسّر الكتاب المقدس وأعلّمه وأكرز به. ولا بد أن يكون هناك سبب وجيه جدًا لكي يُترك نصف جسد المسيح صامتًا في أهمّ ما يجري في الكنيسة في العالم كله، أي في اجتماعها. وأنا معنيّ لأن نصف المواهب لا يمكن أن يكون لي نافعًا في الاجتماع. فتضيع البركة.

فإن كان هذا الفهم خطأ، وإن كان الله يريد أن يسمع صوت النساء هناك تمامًا كما يسمع صوت الرجال، فهذه مشكلة حقيقية وليست أمرًا تافهًا. وحمل المسؤولية عن ذلك أمام كرسي المسيح ينبغي أن يُفكَّر فيه جيدًا.

أنا نفسي قضيت عقودًا في مثل هذه الاجتماعات. لقد استبطنت ذلك، وعددته صحيحًا، ودافعت عنه، وطالبت به الآخرين. ومرة، في شبابي، صلّت أخت بصوت مسموع في مؤتمر، ولم تكن تعرف هذا التقليد. فصُدمت أنا وغيري صدمة عميقة. وفزعنا كما لو أن صاعقة من السماء ستصيبنا حالًا. وفيما بعد «نوّروا» هذه الأخت.

لقد أوضحت من قبل أن النساء الصامتات لسن أبدًا مشيئة الله. ولا يهمّني أن أتجاوز هذا القول المزعج بعناد وبراعة، بدلًا من أن أطيعه ببساطة وتواضع. فهذا للأسف هو الاتهام الدائم والرتيب الذي يوجّهه أنصار وصية الصمت. كلا، ليس الأمر بهذه البساطة. فهناك أسباب وجيهة وكافية لكي لا تصمت الأخوات في المسيح.

الأمر يتعلّق بهذا النص:

[1 كورنثوس 14: 34-36] لتصمت النساء في الاجتماعات، لأنه ليس مأذونًا لهن أن يتكلّمن، بل يخضعن كما يقول الناموس أيضًا. ولكن إن كنّ يردن أن يتعلّمن شيئًا، فليسألن رجالهن في البيت، لأنه قبيح بالمرأة أن تتكلّم في الاجتماع. أم منكم خرجت كلمة الله؟ أم إليكم وحدكم انتهت؟

6.2.1 أسئلة

ينبغي أن نفكّر من جديد مرة أخرى في هذا النص. فالأمر يتعلّق بالكثير. تابعوني من فضلكم ببساطة بأفكاركم، واحتملوا ذلك مرة واحدة، حتى وإن كنتم ترون الأمر بطريقة مختلفة تمامًا. لو لم توجد هذه الآيات الأخيرة من 1 كورنثوس 14، فهل كنتم ستقتربون يومًا في تفكيركم من وصية بالصمت؟ هل توجد في الكتاب المقدس كله في أي موضع وصية كهذه؟ ليس هذا «سؤالًا نسويًا إيحائيًا». ينبغي أن يدفعنا إلى التفكير أن وصية بهذا المدى البعيد لا تُذكر ولو مرة واحدة في أي موضع آخر، ولا يُلمَّح إليها حتى. الأمر لا يتعلّق بالتعليم وبمنع التعليم في 1 تيموثاوس 2: 12. فهذه الأقوال لا تنتمي إلى سياق سؤالي (مع أن هذا النص كثيرًا ما يُطرح فورًا حجةً). الأمر يتعلّق بمشاركة النساء المسموعة. بصلاة، أو بشهادة عن اختبار، أو بترنيمة، أو بكلمة نبوية، أو بقراءة من الكتاب المقدس، أو بعظة.

ففي السياق المباشر للرسالة توجد بالضبط أقوال معاكسة. وأبرزها، وقد تناولته في الفصل السابق، قول بولس إن النساء «يصلّين ويتنبّأن» (11: 5). لقد نبّهت إلى ذلك، وأكرّر، أن «الصلاة والتنبّؤ» سمتان مميّزتان للاجتماع، كما يوصف بالتفصيل في الأصحاح 14. والبرقع أو غطاء الرأس المطلوب في الأصحاح 11 لا يكون له معنى إلا في الاجتماع بحضور الرجال. فالأمر في هذا النص لا يتعلّق بصلاة المائدة، ولا بحلقات النساء أو اجتماعات الأطفال. وهذه الأخيرة لم تكن موجودة على الأرجح بعد.

بالنسبة إلى بولس من البديهي تمامًا أن تشارك النساء. وهكذا يعبّر عن ذلك مرات عدّة في الأصحاح 14. اقرأوا الأصحاح كله مع هذا السؤال في أذهانكم.

على الرجال والنساء، على الإخوة والأخوات، يسري ما يلي:

الآية 5: إني أريد أن جميعكم تتكلّمون بألسنة، ولكن بالأولى أن تتنبّأوا!

الآية 12: اطلبوا أن تزدادوا أنتم (جميعكم) لأجل بنيان الكنيسة.

الآية 23: فإن اجتمعت الكنيسة كلها في مكان واحد، وكان الجميع يتكلّمون بألسنة ...

الآية 26: فما هو إذًا أيها الإخوة؟ متى اجتمعتم فـكل واحد منكم له مزمور، له تعليم، له إعلان، له لسان، له ترجمة؛ فليكن كل شيء للبنيان.

الآية 31: لأنكم تقدرون جميعكم أن تتنبّأوا واحدًا واحدًا، ليتعلّم الجميع ويتعزّى الجميع.

المخاطبة بـ«الإخوة» تعني الجميع: الإخوة والأخوات. وكان من الأفضل، دفعًا لكل لبس، أن تُترجم بـالإخوة والأخوات. فالرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس تبدأ فقرات كثيرة بكلمة «الإخوة» (adelphoi)، وهي كلمة تتوجّه بلا شك إلى الإخوة والأخوات. لا إلى الرجال فقط. فقد كانت النساء في العادة مشمولات في صيغة الجمع المذكّر. وهكذا يُستعمل اليوم «المذكّر العام». فـ«أصحاب الحسابات» مثلًا هم رجال ونساء. وللأخوات بالجسد كانت هناك كلمة adelphai. ومن دون أن أستطرد هنا، أشير إلى كلمة يسوع التي يخاطب فيها جميع التلميذات والتلاميذ معًا، ويجمعهم بهذه الكلمة بالذات: «وأنتم جميعًا إخوة!» (متى 23: 8ب). ويضاف إلى ذلك أن جميع النساء هنّ الآن أيضًا «أبناء الله» (غلاطية 3: 26). فإن لم يكن السياق يقصد بما لا يقبل الشك الرجال وحدهم، فإن جميع الأخوات مشمولات. والمحبة الأخوية ستشمل الأخوات أيضًا على الأرجح.

ويضاف إلى هذه الأقوال الواضحة أن المواهب، أي مواهب الروح (انظر الأصحاح 12)، مواهب النعمة، تُوزَّع على جميع الأعضاء – لا بحسب الجنس. فلا يوجد في أي نص يتناول هذا الموضوع فرق يلمّح إلى أن هذا المعيار، أي كون المرء رجلًا أو امرأة، له أهمية في توزيع المواهب أو في الموهبة. ففي يوم الخمسين، بحسب وعد النبي يوئيل، انسكب الروح على كل بشر، على البنين والبنات بالقدر نفسه (أعمال الرسل 2: 17).

6.2.2 حيرة في نهاية الأصحاح

بعد أن تكلّم بولس في 11: 5 عن نساء يصلّين ويتنبّأن علنًا، وبعد أن لم يذكر النساء في الأصحاح 14 حتى هذا الموضع ذكرًا خاصًا ولم يستثنهن، بل شملهن، يأتي الآن قول مُربك. لتصمت النساء. ويتكرّر ذلك ثلاث مرات في الآيتين. فكل ما سبق لا

يعنيهن إذن. هل نسي بولس ذلك أثناء الكتابة، فأضافه في الأسفل؟ أم هو الذروة في ختام تعليمه؟ كلا، كان بولس كاتبًا عبقريًا وموهوبًا. فكل كلمة كانت في موضعها الصحيح ومدروسة.

هن، أي النساء، بحسب النص، يجب أن يصمتن ويخضعن، كما يقول الناموس أيضًا (14: 34). وعند ذكر الناموس، الذي يُفترض أن يتضمّن الوصيتين بالصمت والخضوع وأن يعلّلهما، ينتبه المرء. هل هذه طريقة بولس في الكلام؟

ناموس كهذا لا يوجد في التوراة الموسوية. لا في شأن الخضوع ولا في شأن الصمت. ثم كيف يمكن لناموس من العهد القديم أن يكون توجيهًا محدّدًا إلى هذا الحدّ لاجتماع العهد الجديد؟ وفي الآية 21 من هذا الأصحاح يرى المرء كيف يستند بولس إلى الناموس: باقتباس يستطيع كل واحد أن يقرأه في إشعياء 28: 11، 12. فلماذا لا يفعل ذلك هنا؟ لأنه ليس الناموس الموسوي.

يُحتجّ بأن الناموس الموسوي كله، أو العهد القديم كله، ينبغي أن يُفهم في هذا الاتجاه، وإن لم يكن ذلك على نحو محدّد أو حرفي. وهذا أيضًا لا يمكن تعليله. فهو ببساطة أضعف من أن يحمل تقييدًا بعيد المدى كهذا للنساء. فلا أحد ممن يحتجّون هكذا كان سيقبل حكمًا ضدّه معلَّلًا بهذه العمومية أو بهذا الضعف.

بل إن بعضهم يرى أن بولس يقصد هنا كلمة العقاب في التكوين 3: 16، حيث يقال إن الرجل سيسود على المرأة. ومع أن هذا بعيد عن الصواب، فلو كان الأمر فعلًا هكذا، لكانت وصية الصمت عقابًا مباشرًا على السقوط. أي عقابًا يتضمّن أن الأمر لم يكن هكذا من قبل. ففي كنيسة العهد الجديد (!) كان ينبغي أن يُرفع هذا العقاب، بل كان لا بد أن يُرفع.

6.2.3 قراءة الاقتباس

ربما يتعلّق الأمر هنا باقتباس. وعندئذ تُقرأ 1 كورنثوس 14: 33-36 هكذا:

«لأن الله ليس [إله] تشويش، بل [إله] سلام، كما [هو الحال] في جميع كنائس القدّيسين.

ثم يأتي ما يريد المتهوّدون أن يفرضوه ويُدخلوه. فبولس يقتبس، أو يصوغ بنفسه، ما يطالبون به:

لتصمت نساؤكم في الكنائس، لأنه ليس مأذونًا لهن [منكم] أن يتكلّمن، بل يخضعن كما يقول الناموس أيضًا. ولكن إن كنّ يردن أن يتعلّمن شيئًا، فليسألن رجالهن في البيت، لأنه قبيح بالمرأة أن تتكلّم في الكنيسة.

والآن يعارض بولس ذلك بوضوح وبسخرية:

أم منكم [أيها الرجال أو أيها الكورنثيون] خرجت كلمة الله، أم إليكم وحدكم انتهت؟»

ليست فكرة بولس أن على النساء أن يصمتن. فقد كان سيناقض نفسه. فهل يجوز لنا نحن الرجال أن نتغاضى عن تناقض كهذا عن علم، ثم نطبّقه على حساب النساء؟ وهل كنا سنحتمل شيئًا كهذا في حياتنا اليومية؟

والأرجح أن رجالًا يهودًا هم الذين أرادوا أن يُلزموا نساء كنيسة كورنثوس بالتحجّب، بل هنا أيضًا بالصمت.

ويقول شيرماخر (Schirrmacher) في ذلك: «وقد تناول روبرت و. أليسون (Robert W. Allison) فوق ذلك مسألة الاستناد إلى الناموس في 1 كورنثوس 14: 34. ويصل إلى نتيجة أن ناموس العهد القديم لا يتضمّن أمرًا للنساء بالصمت. غير أن استنتاج 1 كورنثوس 14: 34 يوافق تمامًا التفسير الرابّيني للتكوين 3: 16، الذي تعرّفنا إليه في البداية من خلال التلمود، والذي ترك أثره أيضًا في 1 كورنثوس 11: 2-16، لكنه يناقض التعليم الذي استخرجه يسوع وبولس من العهد القديم.

وتنطلق جويس هاربر (Joyce Harper) وجون أ. أندرسون (John A. Anderson) من أن الاستناد إلى الناموس يوافق منع المرأة من الكلام منعًا تامًّا في التلمود، وأن الذي يستند هنا إلى الناموس ليس بولس، بل معلّمون يهود يستندون ظلمًا إلى تفسيرهم للناموس.[80] وهما يقتبسان التلمود بهذه الكلمات: ‹عار على المرأة أن تُسمِع صوتها بين الرجال.›[81]

وقد أراد س. آلن (S. Aalen) أن يعلّل الرأي نفسه بالإشارة إلى أن صيغة ‹ليس مأذونًا› صيغة رابّينية[82]، كان الرابيّون يجيزون بها الأمور أو يمنعونها.»[83]

80. Joyce Harper. Women and the Gospel. C. B. R. F. Occasional Paper 5. Christian Brethren Research Fellowship: Pinner (GB), 1974. ص. 14-15؛ John A. Anderson. Women's Warfare and Ministry: What Saith the Scriptures? David Waldie: Stonehaven (GB), 1933. ص. 20-26.

81. Joyce Harper. Women and the Gospel. المرجع المذكور، ص. 14 (من «ميغيلا» (Megilla)، أحد كتب التلمود).

82. S. Aalen. «A Rabbinic Formula in I Cor 14,34». ص. 513-525 في: F. L. Cross (محرّر). Studia

وهناك قرائن أخرى على أن هذه الكلمات تأتي من الفكر اليهودي. ومن ذلك مثلًا المؤرّخ المعروف يوسيفوس (Josephus): «المرأة، يقول الناموس، أدنى من الرجل في كل شيء. فلتكن خاضعة تبعًا لذلك، لا لإذلالها، بل لكي تُقاد، لأن السلطة أُعطيت للرجل من الله.» (Apion 2.201)

«إذا نظرنا إلى الأمر إجمالًا، فإن أفضل ما يعبّر عن موقع النساء في التشريع الديني هو هذه الصيغة المتكرّرة باستمرار: ‹النساء، والعبيد (غير اليهود)، والأطفال (القاصرون)›. فالمرأة، مثل العبد غير اليهودي والطفل القاصر، لها رجل فوقها هو سيّدها؛ وهذا يحدّ أيضًا من مشاركتها في العبادة، لأنها من وجهة النظر الدينية أدنى قيمة من الرجل.

لذلك لدينا انطباع بأن اليهودية في زمن يسوع أيضًا كان لها رأي متدنٍّ جدًا في النساء، كما هو مألوف في الشرق، حيث تُقدَّر المرأة قبل كل شيء بسبب خصوبتها، لكنها، بقدر الإمكان، معزولة عن العالم الخارجي، وخاضعة لسلطة أبيها أو زوجها، وحيث تكون من وجهة النظر الدينية أدنى قيمة (أدنى مرتبة) مقارنةً بالرجال.»[84]

وإليكم بعض الأقوال الأخرى التي نجد روحها في الكلمات التي يقتبسها بولس:

صوت المرأة محرَّم، لأنه يثير جنسيًا. التلمود، براخوت 24أ (Berachot 24a)

صوت المرأة عورة قذرة. التلمود، براخوت (Berachot)

«المرأة لا تحتاج إلى أن تُعلَّم التوراة، وهي غير أهل لأداء الشهادة، وكلامها قليل الوثوق، وهي ميّالة إلى التجوال، وحسودة تجاه الضيوف.» (Strack-Billerbeck, Kommentar zum Neuen Testament aus Talmud und Midrasch. IV, 1226)

يمكن أن يورد المرء المزيد عن حال المرأة في اليهودية وفي الشرق في زمن يسوع والكنيسة الأولى. فحتى تقدير العهد القديم للمرأة لم يُحافَظ عليه. وهذا، من بين أمور أخرى، نتيجة للهلينة التي أدخلت أفكارًا يونانية عن طبيعة المرأة إلى الفكر اليهودي.

هل كان بولس يستطيع أن يترك هذه الأفكار المعادية للمرأة من دون ذكر؟ ربما كانت بعيدة عن الصواب إلى حدّ كبير في نظره، وربما لم تكن منتشرة في كورنثوس انتشارًا مؤثّرًا، بحيث لم يلتفت إليها إلا باختصار، لكنه كان لا بد أن يتناولها احتياطًا. فبوضوح، بل بسخرية، يواجه بولس هؤلاء المتهوّدين. أهم الذين تخرج منهم كلمة الله؟ أهم الذين

84. Jerusalem in the Time of Jesus (Jerusalem zur Zeit Jesu) («أورشليم في زمن يسوع») ليواخيم يريمياس (Joachim Jeremias)، ص. 375.

يحدّدون كيف تُرتَّب العبادة؟ وهذا طبعًا لا يمكن أن يكون مطلقًا. أليس لافتًا أن هذا القول موجّه بصيغته المذكّرة إلى الرجال، لا إلى النساء اللواتي كان ينبغي في الواقع أن يُخاطَبن؟ ويمكن أن يُترجم أيضًا:

أم إليكم أيها الرجال وحدكم انتهت؟

من يُلزم النساء اليوم بالصمت، فإن كلمات بولس نفسها تسري عليه: هل نلتم في ذلك إعلانًا إلهيًا؟ هل يمكن للمرء أن يقاوم ببساطة توجيهات الرسول؟

لم تكن النساء في المسيحية الأولى يصمتن في أي اجتماع. فالاجتماع لم يكن امتدادًا للمجمع اليهودي ولا صيغة جديدة له، حيث كانت النساء (باستثناءات قليلة) يصمتن ويجلسن في أماكن منفصلة. ولم يكن المجمع نموذجًا للاجتماع إلا بقدر محدود. ففيه كان يسود في الغالب نظام هرمي يهيمن عليه الرجال. وهذا، في ضوء غلاطية 3: 28 (في المسيح صارت كل الفوارق بلا أهمية)، ما كان يجوز أبدًا أن يدخل الكنيسة. ومن أجل ذلك يجاهد بولس.

6.2.4 قانون روماني؟

تستنتج المؤرّخة بيث أليسون بار (Beth Allison Barr) ظنّها بأن الأمر يتعلّق بنقل أفكار رومانية من اقتباس للقنصل كاتو (Cato).[85] «إذا قُرئت 1 كورنثوس 14: 34-35 بوصفها اقتباسًا يصوّر ممارسة كورنثية (وهو ما احتجّ له د. و. أوديل-سكوت (D. W. Odell-Scott) في 1983، وتشارلز تالبرت (Charles Talbert) في 1987، وتوماس شيرماخر (Thomas Schirrmacher) في 1991، وكاثرين بوشنل (Katharine Bushnell) قبل 100 سنة، وبيبيات (Peppiatt) من جديد في الآونة الأخيرة)، فإن قصد بولس يبدو واضحًا: أن يميّز ما كان أهل كورنثوس يفعلونه (‹النساء يصمتن›)، وأن يوضّح أن المسيحيين ينبغي ألّا يتبعوا الممارسة الكورنثية (‹ماذا!›). ومع أنني لا أستطيع أن أضمن أن هذا هو ما فعله بولس، فإنه منطقي (تاريخيًا) إلى حدّ بعيد.

85. «في البيت تُغلب حريتنا بهياج النساء، وهنا في الساحة العامة (الفوروم) تُداس بالأقدام، ولأننا لم نكبح الأفراد، نخشى العاقبة ... وفي الحقيقة احمرّ وجهي خجلًا حين مررت قبل وقتٍ قصير وسط جمع من النساء ... كان عليّ أن أقول: ‹ما هذا السلوك؟ أن تتجوّلن في العلن، وتسددن الطرقات، وتكلّمن أزواج نساء أخريات! ألم يكن بإمكانكن أن تطلبن الشيء نفسه من أزواجكن في البيت؟ أأنتن في العلن ألطف مع أزواج غيركن منكن في البيت مع أزواجكن؟ ومع ذلك لا يليق بكن حتى في البيت أن تهتممن بالقوانين التي تُقرّ هنا أو تُلغى،› لم يُرد أسلافنا أن تتولى النساء أي شأن – ولا حتى شأنًا خاصًا – من دون وصيّ؛ بل أرادوا أن يكنّ تحت سلطة الآباء أو الإخوة أو الأزواج؛ أما نحن (فلتعنّا الآلهة!) فنسمح لهن حتى الآن بأن يطمحن إلى الحكم، وأن يتدخّلن في الفوروم وفي جمعياتنا. ماذا يفعلن الآن في الشوارع ومفترقات الطرق، إن لم يكنّ يُقنعن نوّاب الشعب (التريبونات) بالتصويت للإلغاء؟ ... إن انتصرن الآن، فماذا لن يحاولن؟ فما إن يبدأن فى مساواتكم، حتى يكنّ قد صرن رؤساءكم.»

فالرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس تتضمّن أصلًا اقتباسات عدّة غير بولسية، وصياغة الآيتين 34-35 قريبة على نحو لافت من مصادر رومانية. وتلاحظ مارغ موفتشكو (Marg Mowczko): ‹إن الرأي القائل إن 14: 34-35 اقتباس غير بولسي هو من الآراء القليلة التي تقدّم تفسيرًا معقولًا للتغيّر المفاجئ في النبرة الذي تُدخله الآيتان 34-35 في النص، وكذلك للتغيّر المفاجئ اللاحق في الموضوع والنبرة والجنس في الآية 36›. فإن كان بولس فعلًا يقتبس النظرة الرومانية إلى العالم ليقابلها بالنظرة المسيحية، فإن معناه هو العكس تمامًا لما عُلّمته النساء الإنجيليات. فهل يمكن أن يكون بولس، بدلًا من أن يقول للنساء أن يصمتن كما كان العالم الروماني يفعل، أراد في الواقع أن يقول للرجال إن النساء في عالم يسوع يجوز لهن أن يتكلّمن؟ وهل يمكن أن نكون قد فاتتنا نقطة بولس (مرة أخرى)؟ وأننا، بدلًا من أن نأخذ توبيخه على محمل الجدّ ونسمح للنساء بالكلام، نواصل بالضبط الممارسات الأبوية التي أدانها بولس؟»[86]

6.2.5 حاشا!

أشير إلى خصوصية في الآية 36. فهي تقول: «أم منكم [أيها الرجال أو أيها الكورنثيون] خرجت كلمة الله؟ أم إليكم وحدكم انتهت؟»

هذان السؤالان اللذان يأتيان بعد القول عن الصمت والخضوع يبدأهما بولس بالأداة ἢ. فالأداة «ἢ تُستعمل كثيرًا لإدخال أسئلة بلاغية يُتوقَّع فيها النفي: متى 7: 9 ‹أم أيّ إنسان منكم ...؟›؛ 12: 5 ‹أوَما قرأتم ...؟›؛ قارن متى 20: 15؛ 26: 53؛ لوقا 13: 4؛ رومية 3: 29؛ 6: 5؛ 7: 1؛ 9: 21؛ 11: 2؛ 1 كورنثوس 6: 9، 16، 19؛ 9: 8؛ 10: 22؛ 2 كورنثوس 11: 7؛ 13: 5؛ يعقوب 4: 5؛ سؤال مزدوج 1 كورنثوس 14: 36.»[87]

«وكذلك في الأسئلة البلاغية ذات الطابع النافي ... ؛ هل يجتنون من الشوك عنبًا، أو من الحسك تينًا؟ متى 7: 16؛ قارن مرقس 4: 21؛ 1 كورنثوس 1: 13؛ يعقوب 3: 12. ... وعمومًا ترد ἢ كثيرًا في الجمل الاستفهامية — α. لإدخال أسئلة بلاغية وإلحاقها (Just., D. 2,4 وغيرها؛ Ath. 8,3 وغيرها) ...؛ أم تظنّ أنّ؟ متى 26: 53. ...؛ أم الله لليهود فقط؟ رومية 3: 29. ... أم تجهلون؟ 6: 3؛ 7: 1؛ 1 كورنثوس 6: 9، 16، 19؛ قارن 10: 22؛ 2 كورنثوس 11: 7.» [88]

86. Barr, Beth Allison. The Making of Biblical Womanhood (ص. 62). Baker Publishing Group.
87. PEPPERMÜLLER, R., «ἢ», in H. BALZ - G. SCHNEIDER (edd.), Exegetisches Wörterbuch zum Neuen Testament, Verlag W. Kohlhammer, Stuttgart 2011, 276.
88. BAUER, W., in K. ALAND - B. ALAND (edd.), Griechisch-Deutsches Wörterbuch zu den Schriften des Neuen Testaments und der frühchristlichen Literatur, Walter de Gruyter، الطبعة

إن ما يقابل ἢ باللغة الألمانية (وبالعربية أيضًا) هو: «ماذا؟» أو «هراء!» أو «حاشا!»: حاشا أن تصمت النساء في اجتماع العبادة. إنه اعتراض شديد من بولس.

6.2.6 تفسيرات أخرى

من يرفض قراءة الاقتباس، يجب عليه مع ذلك أن يشرح لماذا ينبغي أن تسري وصية الصمت عمومًا. فإن كانت هذه كلمات بولس، فلا بد من حلّ التناقضات المذكورة حلًّا مقنعًا.

ولا بد من توضيح موثوق لنوع «الكلام» المقصود عند النساء. هل هو الثرثرة المزعجة، أم تقييم النبوة، أم طرح الأسئلة (المستمرّ) (والمقاطع للكلام)، أم الكلام غير المنظّم والمزعج؟ أم التعليم؟ أم تصحيح الزوج علنًا (من دون احترام)؟ فأيًّا كانت التفاسير التي يدرسها المرء، فهناك في ذلك، تمامًا كما في 1 كورنثوس 11، تفسيرات تكاد تكون بعدد المفسّرين.

قيل لي وكُتب إليّ أكثر من مرة إن علينا أن نواصل الصلاة لكي يتّضح الأمر. واليوم أرفض هذا الموقف (التقيّ) في هذا الموضع. لأن ملايين الصلوات قد ارتفعت إلى السماء في هذه المسألة، لكنها على ما يبدو لم تُستجب. فالأسئلة باقية. والغموض أيضًا.

ومن التفسيرات الجديرة بالذكر تفسير أرمين باوم (Armin Baum)، الذي لا يتبنّى قراءة الاقتباس. فمنظوره «مراعٍ للثقافة» وتاريخي. فالنساء في العالم القديم لم يكن يُسمح لهن بأن يأخذن الكلمة علنًا. كان ذلك من شأن الرجال. وكان اللاهوتيون اليهود مقتنعين بأن المرأة لا ينبغي أن تتكلّم في موضع الرجل. ولذلك لم يتكلّم علنًا في سفر أعمال الرسل إلا رجال. أما النساء فلم يكنّ يستطعن أن ينشطن إلا في الإطار الخاص. وبسبب هذه العادة القديمة منع بولس النساء من أن يتكلّمن علنًا أو حتى أن يطرحن أسئلة. ولكن لماذا؟ لكي يتصرّف تصرّفًا «مراعيًا للثقافة». فتعليل بولس ليس لاهوتيًا (مثل نظام الخليقة مثلًا)، بل يراعي عادات ذلك الزمان. كان من العار على المرأة أن تتكلّم علنًا. فبذلك قد تسيء إلى سمعة الإنجيل والمسيحيين بلا داعٍ. وحتى قبل نحو 200 سنة (!) كان منع النساء من الكلام العلني هذا أمرًا عاديًا. واليوم، كما هو معروف، صار كل شيء مختلفًا.

ويشرح أرمين باوم شرحًا صائبًا: «لكن قد يسأل سائل: ألا ينزلق كل شيء مع هذا الأسلوب في التعامل مع المواضع الكتابية الصعبة؟ ألا يمكن بهذا ‹التخلّص بالسياق› من جميع توجيهات العهد الجديد؟ ليس الأمر كذلك. فمنهج وضع النص في سياقه (Kontextualisierung) مخصّص فقط للتوجيهات التي تُعلَّل ثقافيًا. أما التوجيهات التي تُعلَّل لاهوتيًا، فلا مكان له فيها.»

ويشرح مايكل بيرد (Michael Bird) توجيه بولس هذا هكذا: «التفسير الأرجح لـ 1 كورنثوس 14: 33ب-35 هو أن بولس يعالج كيف كانت الزوجات يرتبطن بأزواجهن ويتفاعلن معهم أثناء العبادة العلنية. لاحظوا كيف تركّز 14: 33أ و14: 40 على النظام واللياقة في الاجتماعات. فبولس لا يصدر منعًا عامًا للنساء من الكلام في الكنيسة أصلًا، لأن 11: 2-16 ونصوصًا أخرى تتحدّث بدلًا من ذلك عن نساء يتكلّمن في الكنيسة. فما يمنعه بولس هو نوع معيّن من الكلام، لا إمكانية أن تتكلّم الزوجات. والأرجح أن بولس يتصوّر أن الزوجات يفعلن شيئًا مثل مقاطعة متكلّم لكي يطرحن أسئلة على أزواجهن أثناء النبوات أو التكلّم بألسنة، أو أنهن يتكلّمن فوق صوت أحدهم لكي يُسمَعن. وربما كانت النساء حتى يسألن أزواجهن أمام الكنيسة في مسائل النبوة أو تفسير الكتاب المقدس، أو يعترضن عليهم. فإن كانت النساء مهتمّات حقًا بالتعلّم وبالمناقشات، فهذا أكثر من جميل، لكن البيت هو المكان المناسب لذلك، بدلًا من أن يكنّ مزعجات أو محبّات للخصام.»[89]

وكلمات بولس في هذا التفسير كانت ستُقرأ كما يُعبَّر عنها في هذا النقل:

> كما في جميع كنائس القدّيسين، ينبغي ألّا تتكلّم الزوجات في الكنائس بطريقة تُعدّ غير مهذّبة أو غير أخلاقية. فليس مأذونًا لهن أن يتكلّمن [هكذا]، بل يجب أن يخضعن كما يقول التكوين 2 [عن أن الزوجات تكملة مناسبة لأزواجهن، لا ناقدات علنيات لهم]. وإن كنّ يردن أن يتعلّمن شيئًا، فليسألن أزواجهن في البيت؛ لأنه عار أن تتكلّم المرأة في الاجتماع [بطريقة غير مهذّبة أو غير أخلاقية]. هل خرجت كلمة الله منكم [لا من اليهود]؟ أم هم الشعب الوحيد الذي بلغته [فقد بلغ الإنجيل أناسًا كثيرين يعدّون مساءلة النساء للرجال أمرًا غير أخلاقي إلى حدّ بعيد]؟

ومثال آخر من تاريخ اللاهوت على أن هذا الموضع البولسي يُفسَّر تفسيرات مختلفة: أراد فيليب ياكوب شبينر (Philipp Jacob Spener) أن يطبّق هذه المواضع في الممارسة بأقصى قدر ممكن من الدقّة. لذلك كان على النساء في اجتماعاته أن

89. Wunderli، المرجع نفسه.

يجلسن في غرفة منفصلة. وهناك كان يُسمح لهن بأن يسمعن، لكنهن لم يكنّ يستطعن أن يشاركن في المحادثات. أما جماعة الإخوة في هرنهوت (Herrnhuter Brüdergemeine)، الأحدث قليلًا، التي أسّسها الكونت نيكولاوس لودفيغ فون تسينتسندورف (Nikolaus Ludwig von Zinzendorf)، فسلكت الطريق المعاكس: كانت للنساء إمكانيات كثيرة جدًا للنشاط في الكنيسة. فقد فُسّر هذا الموضع البولسي في ضوء ظروف زمانه.

6.2.7 على الأرجح ليس من بولس

كما أُشير في المقدّمة، أُضيف هذا القسم 6.2.7، لأن هناك (على الأقل بالنسبة إليّ) معارف جديدة تتعلّق بمخطوطات قديمة. فقد عمل فيليب بارتون باين (Philip Barton Payne) بعمق على هذا الموضوع، وأدرك، مثل بعض الباحثين الآخرين في النص، أن هناك الظواهر اللافتة التالية:

في بعض المخطوطات تقف الآيتان 34 و35 حيث تقفان في كتبنا المقدسة، لكنهما تقفان في مخطوطات أخرى بعد الآية 40.

لقد نُقل نصّ طويل نسبيًا. وهذا غير مألوف جدًا، ويسمح بالتخمين التالي: هاتان الآيتان أُدرجتا لاحقًا. فقد كانتا مكتوبتين في الهامش، وفي العادة كان الناسخ التالي يُدرجهما، لأنهما ربما نُسيتا من قبل. وكان هو الذي يقرّر أين تُدرجان.

وتتعزّز هذه الفرضية باكتشاف في المخطوطة الفاتيكانية (Codex Vaticanus)، وهي إحدى أضخم المخطوطات وأهمّها من القرن الرابع. ففيها عُلّمت هاتان الآيتان فعلًا بوصفهما إدراجًا:

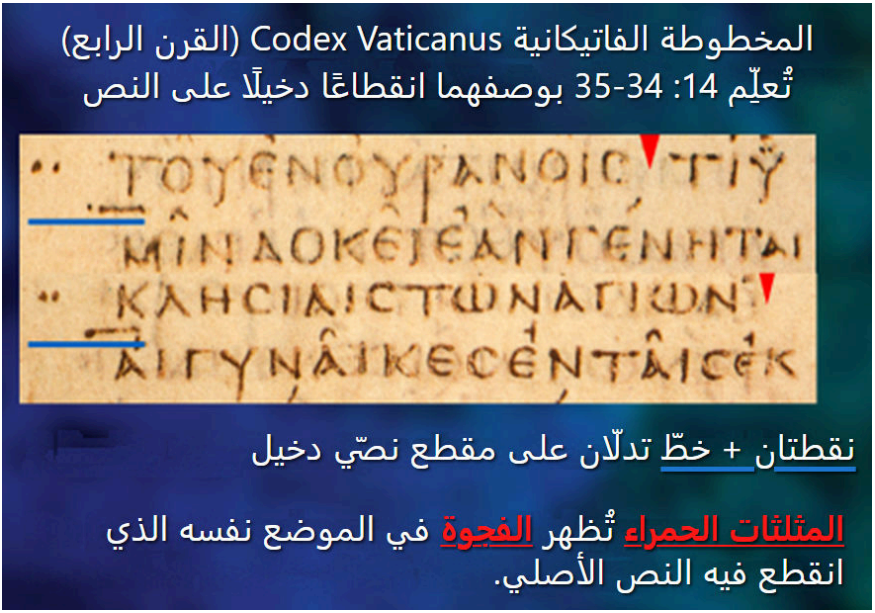

مصدر الصورة: Bibliothèque nationale de France

وأقتبس في ذلك فيليب ب. باين (Philip B. Payne)، الذي قام بأبحاث رائدة في هذا الموضوع: «سبعة أسباب مستمدّة من المخطوطات، وتسعة أسباب مستمدّة من الكلمات في هاتين الآيتين، تقنعني وتقنع كثيرين غيري بأنهما لم تكونا في رسالة بولس الأصلية، بل أُضيفتا لاحقًا. وسألخّص الآن ثلاثة منها فقط.

أولًا، المعنى الظاهر لهاتين الآيتين يتناقض مع الأقوال في هذا الأصحاح بأن «الجميع» يجوز لهم أن يعلّموا ويتنبّأوا، ومع ما يقرّره الأصحاح 11: 5 من أن النساء يتنبّأن.

ثانيًا، لا يوجد في مخطوطات رسائل بولس مقطع نصّي آخر بطول قريب من هذا، يقف (في مخطوطات مختلفة) في موضعين مختلفين متباعدين إلى هذا الحدّ، دون أن يكون لذلك سبب ظاهر.

ثالثًا، يَسِم أقدم كتاب مقدس هاتين الآيتين بأنهما إضافة لاحقة غير أصيلة.[90]

أولًا، تتناقض هاتان الآيتان مع أقوال أخرى كثيرة في هذا الأصحاح.

90. المخطوطة الفاتيكانية B (Codex Vaticanus B)، التي تُعَدّ على نطاق واسع أوثق مخطوطة يونانية للعهد الجديد.

ولتجنّب التناقضات يقول كثيرون إن بولس لا يُسكت إلا الثرثرة المزعجة، أو، كما اقتُرح أول مرة في عام 1962[91]، لا يمنع إلا تقييم النبوات. لكن هذه التفاسير لا تتّفق مع المطالبة غير المقيَّدة بالصمت، التي تتكرّر في هذا المقطع ثلاث مرات بتشديد. فإن كانت الآية 34 لا تمنع إلا تقييم النبوات، فإن الآية 34 تسمح أيضًا بكلام تمنعه الآية 35. وأخيرًا، فإن طرح الأسئلة رغبةً في تعلّم شيء أمر مختلف تمامًا عن تقييم النبوات، ونادرًا ما يكون مزعجًا. وهذه التفاسير تؤدّي إلى أن يناقض بولس ما كتبه للتوّ.

ثانيًا، تأتي هاتان الآيتان في جميع المخطوطات اليونانية «الغربية» بعد الآية 40، أما في معظم المخطوطات الأخرى فتأتيان بعد الآية 33.

وهنا المخطوطة «الغربية» الشهيرة D من القرن السادس. والفقرة الكاملة الأولى في هذه الصورة هي نهاية الأصحاح 14. والفقرة التالية هي الآيتان 34 إلى 35. ومع المقطع الأخير يبدأ الأصحاح 15.

والموضعان المختلفان اللذان تقف فيهما الآيتان 34 إلى 35 يوحيان بأن أحدهم كتبهما في الهامش، وأن نسّاخًا لاحقين أدرجوهما إمّا بعد الآية 33 وإمّا بعد الآية 40. دعوني أشرح ذلك:

المبدأ الأساسي في تحديد النص الأصلي للكتاب المقدس هو: «النص الذي يفسّر نشوء جميع النصوص الأخرى على أفضل وجه هو على الأرجح النص الأصلي.»

لا توجد مخطوطة لرسالة من رسائل بولس تنقل أيّ كتلة نصّية كبيرة إلى مسافة قريبة من هذه دون سبب ظاهر، ولم ينتقد أيّ قارئ من الساعة الأولى موضع هذا النص.[92] لكن كان من المألوف أن ينسخ النسّاخ النص الذي في الهامش إلى النص الأساسي.

فالمخطوطة الفاتيكانية من القرن الرابع مثلًا تتضمّن 20 موضعًا فيها نصّ قديم في هامش نص إنجيل متى. وكلها، ما عدا 3، موجودة في النص الأساسي لجميع المخطوطات اللاحقة عمليًا.

91. W. Klein, «The Church and the Prophets», ATR 44 (1962) 8.

92. Ulrich Schmid, «Conceptualizing “Scribal” Performances: Reader’s Notes», in The Textual History of the Greek New Testament: Changing Views in Contemporary Research, ed. Klaus Wachtel and Michael Holmes (Atlanta: SBL, 2011), 49-64, at 62, 50, 58: «Readers … react[ed] to what they read by adding comments in the margin. . . . ربما نسخ بعضَ هذه الملاحظات إلى النص نسّاخٌ كان عليهم أن ينسخوا [مخطوطة] ‹مُجمَّلة› كهذه. . . . ويبدو أن ميل النسّاخ، على الأقل من وجهة نظر القدماء، كان إدخال الملاحظات الهامشية في النص الأساسي.»

وكان اليونانيون يؤمنون إيمانًا راسخًا بأن النساء ينبغي أن يصمتن في الاجتماعات العامة.[93] فلا عجب إذن أن يكون قارئ قد أضاف في وقت ما قبل سنة 200 م في الهامش «الحكمة المعروفة أو الشائعة» التي تعبّر عنها هاتان الآيتان.

والتفسير الوحيد للموضعين اللذين تقف فيهما هاتان الآيتان، الذي يتّفق مع عادات النسّاخ المعروفة، هو أن أحدهم كتب هاتين الآيتين أولًا في هامش مخطوطة، وأن نسّاخًا لاحقين أدرجوهما إمّا بعد الآية 33 وإمّا بعد الآية 40.

والحسّ السليم يقتضي أن يكون أمر مألوف – إدراج نصّ الهامش في النص الأساسي – أكثر احتمالًا من أمر استثنائي إلى حدّ أنه لا تُعرف حالة أخرى منه – نقل هذا القدر من النص إلى مسافة بعيدة كهذه دون سبب ظاهر.[94]

ثالثًا، تَسِم أقدم كتبنا المقدسة، المخطوطة الفاتيكانية، التي تُمدح على نطاق واسع لدقّتها، هاتين الآيتين اللتين تُسكتان النساء في الكنيسة بأنهما مقاطعة غير أصيلة وخاطئة.

صحيح مع ذلك أن الآيتين 34-35 تردان في موضع ما (أي بعد الآية 33 أو 40) في جميع المخطوطات الباقية، وهذا يقتضي إدراجًا مبكرًا جدًا. لكن الفاتيكانية ليست وحدها التي تسمهما بأنهما غير أصيلتين. فقد أمر الأسقف فيكتور (Victor) بكتابة نصّ مصحَّح في الهامش السفلي للمخطوطة الفولدية (Codex Fuldensis) يُسقط هاتين الآيتين، والنص غير الغربي MS 88 يُسقطهما بعد الآية 33، لكنه يُدرجهما بعد الآية 40 مع رموز تشير إلى أنهما ينبغي أن تأتيا بعد الآية 33. وبما أن هاتين الآيتين لا تردان في شاهد فيكتور النصّي للرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، فإن ادّعاء دان والاس (Dan Wallace) «أن هاتين الآيتين تردان في جميع الشهود النصّية للرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس» غير صحيح (https://bible.org/article/textual-problem-1-corinthians-1434-35). فعلماء النص يخصّصون لنصوص مختلفة في المخطوطة الواحدة نفسها رموز مخطوطات مختلفة. والمقطع 14: 34-35 لا يرد في جميع النصوص التي تميّزها رموز المخطوطات المنفصلة هذه. وليس صحيحًا أن نصّ 14: 34-35 «مدعوم» من جميع المخطوطات.

93. مثلًا بلوتارخ، وأريستوفانيس، وأرسطو، وسوفوكليس، وديموقريطس، وأيليوس أريستيدس، وكثير من الرابيّين.
94. يُسمّى هذا «احتمال النسخ» (Transkriptions-Wahrscheinlichkeit). وهذه حالة فريدة. والسبب الرئيسي الذى يجعلنا نعترف به نصًّا هامشيًا لا يقوّض الثقة بنصّ آخر.

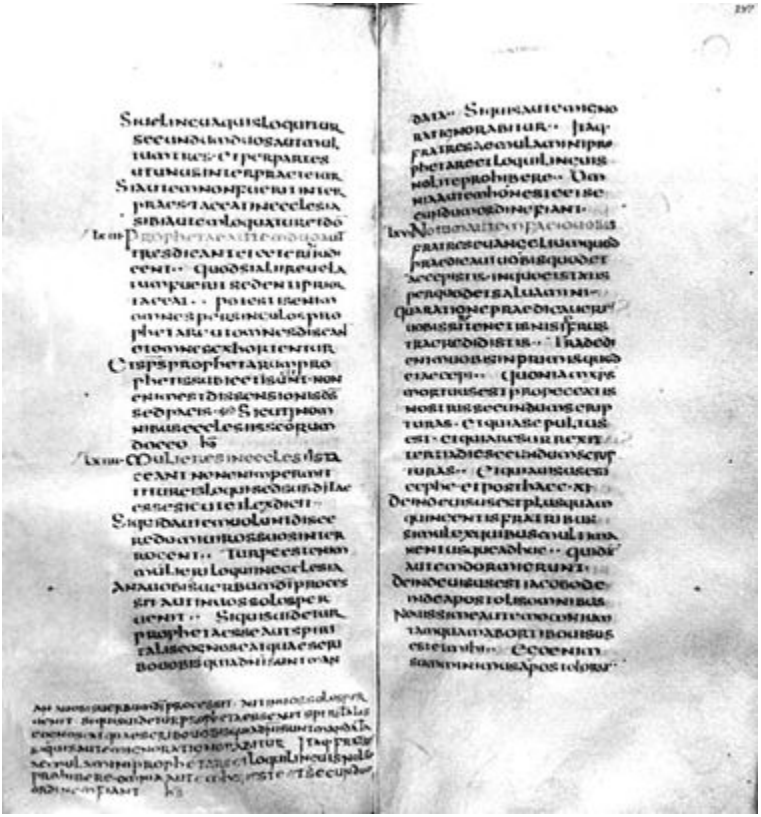

في المخطوطة الفولدية (Codex Fuldensis) (والأصل محفوظ في فولدا) كُتب في الأسفل النص من دون الآيتين 34 و35، بوصفه تصحيحًا أو حاشية. ومن الواضح أن الناسخ في منتصف القرن السادس كان أمامه نصّ لا توجد فيه هاتان الآيتان.

استطراد قصير: المخطوطة الفولدية

المخطوطة الفولدية (F) مخطوطة من الفولغاتا، تتضمّن نص أسفار العهد الجديد القانونية الثلاثة والعشرين، وكذلك الدياتسارون والرسالة إلى أهل لاودكية. وهي من أقدم مخطوطات العهد الجديد المؤرَّخة، والمخطوطة المبكرة الوحيدة للعهد الجديد المعروف أن عالمًا بارزًا، هو الأسقف فيكتور أسقف كابوا، قد أصدرها. وهي الشاهد المهمّ الثاني لنص الفولغاتا، والشاهد الأهمّ والأقدم للنص الكامل للدياتسارون.

والمخطوطة شهادة مهمّة، إن لم تكن الأهمّ، في النقاش حول أصالة نص 1 كورنثوس 14: 34-35.

وقد كُتبت في السنوات 541-546 في كابوا بتكليف من الأسقف فيكتور. وراجعها وصحّحها هو شخصيًا أيضًا. وفي نهاية سفر الرؤيا يقف التاريخ 2 مايو/أيار 546، الذي كتبه فيكتور نفسه. وراجع فيكتور نص المخطوطة مرة ثانية، ولذلك يوجد أيضًا تاريخ ثانٍ – 12 أبريل/نيسان 547.

Codex Fuldensis – ويكيبيديا، الموسوعة الحرّة (بالألمانية)

وبناءً على مقدّمته الخاطئة يعترض والاس بأنهما «لا بد أن تكونا قد تسلّلتا إلى النص في أبكر مراحل النقل ... إلى الوثيقة الأصلية.» أما أن شيئًا كهذا ممكن، فيمكن تتبّعه في سرعة دخول الفعل «يخضع» إلى أفسس 5: 22[95]، وهو ما يمكن أن يفسّر بسهولة وجود إضافة هاتين الآيتين 34-35، حتى وقت متأخّر من القرن الثاني، في جميع المخطوطات الباقية.»

«يلاحظ العالم الروماني الكاثوليكي الشهير جوزيف أ. فيتزماير (Joseph A. Fitzmyer)[96] أن ‹أغلبية المفسّرين اليوم› يصلون إلى الاستنتاج بأن هذا النص [14: 34-35] إضافة لاحقة. وتقرّر عالمة النص كيم هاينز-آيتزن (Kim Haines-Eitzen) ذلك بالنسبة إلى ‹جميع العلماء تقريبًا اليوم›.[97] ويحتجّ غوردون في (Gordon Fee)، وهو على الأرجح أشهر باحث إنجيلي في النص، بأن هاتين الآيتين لم تكونا في رسالة بولس، بل أُضيفتا في هامش مخطوطة، وأدرجهما نسّاخ لاحقون إمّا بعد الآية 33 وإمّا

95. كما تُظهر جميع الطبعات اليونانية عمليًا، لا يوجد في أقدم مخطوطات أفسس 5: 22 فعل «يخضع». ويقول تفسير هيرونيموس (جيروم) إن الفعل «يخضع» من الآية 21 لا يتكرّر أبدًا في الآية 22 في المخطوطات اليونانية. ويقول نص UBS إنه «شبه مؤكّد» أن «يخضع» أُضيف لاحقًا. وأول مخطوطة يرد فيها شكل من أشكال «يخضع» في أي موضع من الآية 22، وهي المخطوطة السينائية (Codex Sinaiticus)، كُتبت نحو سنة 360 م. لكن بعد ذلك تتضمّن كل مخطوطة باقية «يخضع». وبما أنه لا توجد مخطوطة لاحقة حذفت «يخضع»، فليس من المعقول أن يكون «يخضع» قد حُذف من جميع أقدم المخطوطات. فقد كتب بولس: «خاضعين بعضكم لبعض في خوف المسيح، أيتها النساء لرجالكن ...». وبالتالي فإن خضوع الزوجة يعتمد في فعله على «خاضعين بعضكم لبعض». والضمير التبادلي يقتضي خضوعًا متبادلًا. فلا يمكن إذن أن يشير إلى الخضوع لرئيس. بل يعني الخضوع هنا «الخضوع بمعنى التنازل الطوعي في المحبة»، BDAG 1042. وفي كولوسي 3: 18 يقال إن المرأة ينبغي أن تخضع «كما يليق في الرب». والسبب الذي يذكره الكتاب المقدس لخضوع المرأة ليس تراتبية بين الجنسين أقامها الله، بل «لكي لا يُجدَّف على كلمة الله» [تيطس 2: 5]، أي أن تتصرّف بحيث لا تخالف الأعراف الثقافية. قارن: «حتى وإن كان البعض من أزواجهن لا يطيعون الكلمة، يُربحون بسيرة النساء بدون كلمة ... والأزواج يخضعون بالطريقة نفسها [لنسائهم]، ساكنين بعضهم مع بعض بحسب الفطنة، معترفين بهن إناءً أنثويًا [gynaikeios، BDAG 208، ‹أنثوي›] أضعف وثمينًا، ومعطين إياهن الكرامة التي يستحققنها بوصفهن وارثات معكم نعمة الحياة، لكي لا تُعاق صلواتكم» [1 بطرس 3: 1، 7].

96. Joseph A. Fitzmyer, First Corinthians, AB (New Haven: Yale, 2008), 530

97. Kim Haines-Eitzen, The Gendered Palimpsest: Women, Writing, and Representation in Early Christianity (Oxford: Oxford University Press, 2012), 62

بعد الآية 40.[98] ويذكر كتابي Man and Woman, One in Christ، 226-227، خمسًا وخمسين دراسة تصل إلى الاستنتاج بأن 1 كورنثوس 14: 34-35 لم تكن في رسالة بولس الأصلية. وفي الصفحات 227-53 تُذكر سبعة أسباب خارجية، وفي الصفحات 253-65 تسعة أسباب داخلية، على أن النص ليس من بولس، وفي الصفحات 265-67 يُجاب عن الاعتراضات على كونه حاشية. وإجمالًا، فإن الأدلّة النصّية النقدية تشهد في رأيي بقوة لكونه حاشية، كتبها على الأرجح قارئ قبل سنة 197 م.»

6.2.8 تقييم ختامي

أقتبس مؤلّفًا آخر عالج هذا الموضوع معالجة مكثّفة جدًا، من كتابه Men and Women in Christ:

«ربما يشعر بعض القرّاء بأن حذف الآيتين 34-35 مريح أكثر من اللازم ببساطة. وهذا مفهوم. فنحن نتعلّم عن حقّ أن نكون متشكّكين إلى أقصى حدّ تجاه الاقتراحات بحذف نصوص صعبة من الكتاب المقدس.

ومن المهمّ أن نؤكّد أننا هنا لا نتعامل مع حجج على عدم الأصالة تقوم على أدلّة داخلية وحدها. فلو أن مشكلة هاتين الآيتين اقتصرت على كونهما لا تتّفقان مع سياقهما، وعلى أنهما تتضمّنان خطأً ظاهرًا فيما يخصّ مضمون العهد القديم، وعلى أنه لم يُعثر على حلّ تفسيري يعطيهما معنى مُرضيًا، لتركناهما في النص، واعترفنا بحدودنا، ورجونا نورًا جديدًا في المستقبل.

لكن هنا يجب أن تُفسَّر المؤشّرات الخارجية أيضًا. فكيف حدث أن هذه الكلمات توجد في مخطوطات مختلفة في مواضع مختلفة؟ لقد حدث خطأ ما، ولكن ما هو؟ وكما رأينا، فإن الحلّ الأرجح لهذه السمة من الأدلّة الخارجية هو أن الآيتين 34-35 ليستا من بولس، بل من تعليق هامشي مبكر أُدخل في النص الأساسي.

ويتأكّد ذلك فوق هذا بملاحظات الأسقف فيكتور في المخطوطة الفولدية، التي تشير إلى وجود نصّ تغيب عنه هاتان الآيتان كليًا. وإذا كان رأي باين في أدلّة المخطوطة الفاتيكانية صحيحًا، فهذا تأكيد آخر.

98. Gordon D. Fee, The First Epistle to the Corinthians, NICNT (Grand Rapids: Eerdmans, 1987), 699-708.

فإذا جمعنا الأدلّة الخارجية والداخلية، فإن الحجج على رفض هاتين الآيتين واضحة. فحذفهما ليس مناورة أيديولوجية؛ بل المسألة مسألة اتّباع الأدلّة. وهذا من حيث المبدأ لا يختلف عن رفض إضافات أخرى (مثل خاتمة إنجيل مرقس، أو يوحنا 5: 3-4، أو أعمال الرسل 24: 6-7)، ظهرت في النص، وأُدخلت مدّة من الزمن في كتبنا المقدسة، ثم أُزيلت حين قاد فحص الأدلّة المتاحة إلى الاستنتاج بأنها على الأرجح ليست أصيلة في نهاية المطاف.

وعلى الأقل ينبغي أن تتضمّن نسخ الكتاب المقدس لدينا حاشية على نحو: تشير أدلّة المخطوطات إلى أن الآيتين 34 و35 قد تكونان إضافة لاحقة ليست من بولس، ولذلك ينبغي حذفهما. والأفضل أن توضع الآيتان 34-35 بخطّ مائل، أو أن توضعا في حاشية، مع شرح بأن طبيعة التباينات في المخطوطات توحي بأن أصالتهما مشكوك فيها. ‹ناموس الرب كامل يردّ النفس› (مزمور 19: 7). ولا أقترح هذا هنا معيارًا للأصالة. ولكن إن كان بعض القرّاء قد شعروا بالذنب لأن نفوسهم لم تنل كثيرًا من الانتعاش من 1 كورنثوس 14: 34-35، فربما يستطيعون الآن أن يتصالحوا مع فكرة أن هاتين الآيتين قد لا تنتميان إلى الكتاب المقدس أصلًا.»

دعوني أختم هذا الفصل على النحو التالي: كنت أعرف هذه الصيغة حين كتبت هذا الكتاب، لكنني لم أجرؤ على التشكيك في هذا النص. أما الآن، فإن الوقائع صارت بحيث لم يعد ممكنًا تقريبًا أن تُفهم هاتان الآيتان على أنهما كلمة الله الموحى بها.

وهذا يُحدث فرقًا صارخًا. لماذا؟ لأن جميع محاولات التفسير (ما عدا فرضية الاقتباس) تفشل أمام كون الأمر وصية صمت مطلق. ففي جميع التفاسير تصطدم محاولات الشرح بوضوح هذه المطالبة. لكن هذه المطالبة ليست من بولس، بل توافق التفكير الدنيوي. فيا لها من مأساة! فالذين يدافعون عن النساء يُتّهمون بالنسوية وبالتكيّف مع العالم.

هل يمكن أن يكون العدوّ، الخصم والمشوِّش، قد نجح في أن يهرّب إلى الكتاب المقدس شيئًا كانت له عواقب وخيمة على نساء الكنيسة وعلى الكنيسة كلها في جميع القرون؟

كيف يمكننا أن نخرج من وضع مأساوي كهذا؟ وما مدى خطورة هذا الافتراض الخاطئ حتى اليوم؟ هنا يجب أن نتّخذ موقفًا واضحًا نهائيًا، وأن نواجه الوقائع.

اقرأوا في ختام هذا الفصل نص الرسالة إلى أهل كورنثوس من دون الآيتين 34 و35، ولاحظوا كم يبدو هكذا متماسكًا وذا معنى:

«لأنكم تقدرون جميعكم أن تتنبّأوا واحدًا بعد الآخر، ليتعلّم الجميع ويتعزّى الجميع. وأرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء. لأن الله ليس إله تشويش، بل إله سلام، كما في جميع اجتماعات القدّيسين. إن كان أحد يظنّ أنه نبيّ أو روحيّ، فليعلم أن ما أكتبه إليكم هو وصية الرب. ولكن إن كان أحد جاهلًا، فليكن جاهلًا. إذن يا إخوتي، اسعوا بغيرة إلى التنبّؤ، ولا تمنعوا التكلّم بألسنة. وليكن كل شيء بلياقة وبترتيب.» [1 كورنثوس 14: 31-40، مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية]

لم تكن هناك، وليست هناك، وصية صمت للنساء في اجتماعات كنيسة يسوع! ويمكن للمرء أن يصل إلى ذلك من دون معرفة باليونانية ومن دون فرضية الاقتباس. فهل يمكن حقًا أن يكون الرسول، الذي كانت له عاملات كثيرات معه، يذكرهن بأسمائهن، ويعتمد عليهن، وجاهدن معه في الإنجيل، قد كمّم أفواه هؤلاء النساء أنفسهن؟

وختامًا أسأل: من له المصلحة الكبرى في أن تصمت الأخوات؟ وفي أن يصمت نصف جسد المسيح؟ وفي ألّا تكمّل النساء الرجال في الاجتماع؟ إنه الحيّة القديمة، الخصم والمُهلك، أبو الكذب، والقتّال منذ البدء. فعداوته للمرأة وحدها يمكن أن تكون سبب مثل هذا العمى، وهو أمر سيتحمّل الرجال الذين في القيادة والتعليم المسؤولية عنه.

الكنيسة التي تُسكت النساء ستُسكت الروح القدس. كاثرين ك. بوشنل (Katharine C. Bushnell)

	أرى في كلمة الله أن يسوع، الذي حُبل به من امرأة من دون تدخّل رجل، لم يُسكت النساء، بل على العكس دعاهن إلى الكلام. وأنه استحسن أن تجلس امرأة عند قدمي المعلّم وتتعلّم، كما جلس بولس عند قدمي غمالائيل. وأنه سمح لامرأة بأن تؤدّي له خدمة كهنوتية مهمّة، وتلقّى منها مسحته لدفنه. كانت النساء آخر من بقي عند الصليب وأول من جاء إلى القبر. فخمس من «كلمات الصليب» السبع لم يشهد بها وينقلها إلا النساء (ما عدا الجنود الرومان)، وأهمّ المحطّات في تاريخ الخلاص لم يشهد بها إلا النساء. وقد قصد يسوع أن يلتقي النساء بعد قيامته، وكلّفهن أن يقلن لإخوته إنه قام. فماذا كان يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك ليوضّح مرة واحدة وإلى الأبد أن المساواة الكاملة للمرأة في كنيسة الله المفديّة هي القصد الأصلي الذي لا يتغيّر؟
	كريستيان بيزه (Christian Beese)

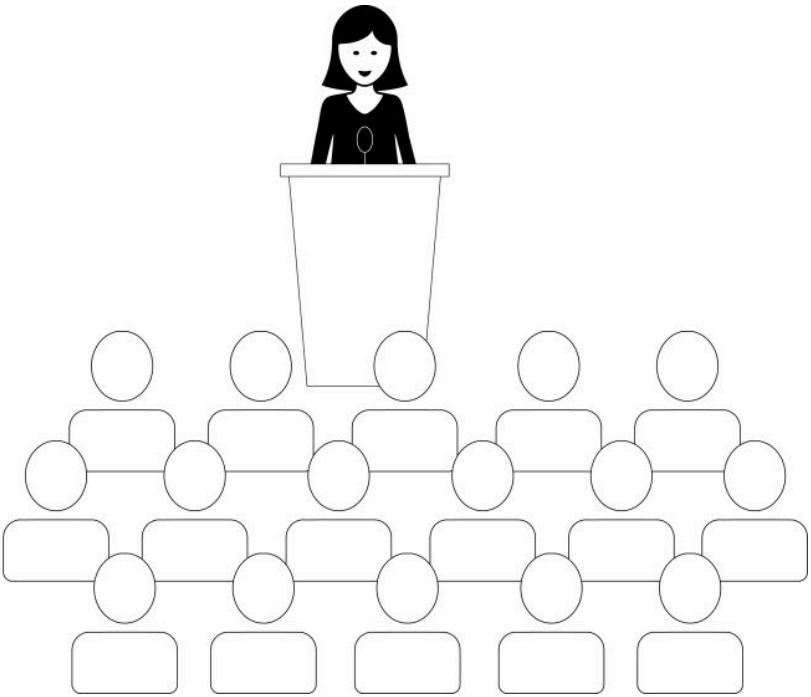

6.3 هل يجوز للنساء أن يعلّمن؟

إذا قرأ المرء سفر أعمال الرسل، يصل بعد 18 أصحاحًا إلى هذا الموضع: «وابتدأ هذا (أبلّوس) يجاهر في المجمع. فلما سمعه (الزوجان) بريسكلا وأكيلا، أخذاه إليهما وشرحا له طريق الله بأكثر تدقيق» (18: 26). طريق الله هو تاريخ الخلاص ومركزه، المسيّا. ويمكن فهم «الشرح» بمعنى «التعليم» أو «الإرشاد».

يدعو بولس جميع الحاضرين في اجتماع مسيحي: «فما هو إذًا أيها الإخوة؟ متى اجتمعتم فكل واحد منكم له مزمور، له تعليم، له إعلان، له لسان، له ترجمة؛ فليكن كل شيء للبنيان.» (1 كورنثوس 14: 26). وهذا يصحّ في الإخوة والأخوات (فلم تكن في اليونانية كلمة للأخوات بهذا المعنى).

على الناس (إخوةً وأخوات) أن يعلّموا آخرين، لكي يستطيع هؤلاء بدورهم أن يعلّموا آخرين أيضًا (2 تيموثاوس 2: 2). وبهذا المعنى ينبغي أن تكون العجائز «معلّمات

الصلاح» (تيطس 2: 3). ومكان هذا التعليم وإطاره غير محدّدين ولا مقيّدين.

يسوع يريد أن يعلّم التلاميذ والتلميذات: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به!» (متى 28: 19-20)

اليوم توجد في كل مدرسة، حتى في المدارس المسيحية، معلّمات. وفي كل جامعة، ولكل اختصاص، حتى اللاهوت، توجد أستاذات. وكتب لا تُحصى كتبتها نساء، فيها مضامين تعليمية علمانية كما فيها مضامين مسيحية، يقرأها رجال. وأخيرًا وليس آخرًا: كانت امرأة مستشارةً لألمانيا الاتحادية مدة 16 سنة. وهناك اليوم نساء كثيرات في شتّى وظائف القيادة. وهذا في نظر كثيرين ما زال قليلًا، لكن هذا موضوع آخر.

والسبب في ذلك، من منظور اليوم، بديهي: النساء قادرات ذهنيًا مثل الرجال تمامًا. أو يتفوّقن عليهم. وهذا ليس مفاجأة. فهنّ يستطعن أن يعلّمن ويُرشدن مثلهم تمامًا، بل كثيرًا ما يفعلن ذلك أفضل من الرجال.

قبل مئة سنة لم يكن الأمر كذلك. كانت النساء آنذاك موهوبات وذكيّات بالقدر نفسه، لكنهن كنّ يُقصَين، في عالم يسيطر عليه الرجال، عن الدراسة الجامعية، وبالأحرى عن التعليم. ويمكن للمرء أن يلتفت إلى هذا الموضوع التاريخي؛ أمّا أنا فأنظر إلى الكنيسة، إلى عالم الكنائس الإنجيلية والمحافظة.

وفي بداية هذا الفصل أيضًا أبدأ بسؤال: هل تصلون، بعد قراءة الكتاب المقدس، ولا سيّما العهد الجديد، إلى نتيجة أن النساء لا يجوز لهن أن يعلّمن؟

على الأرجح لا. غير أنه يجب عندئذ إسقاط مقطع قصير، وهو 1 تيموثاوس 2: 11-15. فهذا النصّ الواحد بالذات، ولا نصّ آخر غيره، يتضمّن توجيهًا كهذا لا يمكن تجاوزه، إن كان الكتاب المقدس هو معيار إيماننا وحياتنا. وقد طرحت السؤال نفسه حين كان الكلام عن صمت النساء في العبادة. ووجدت في 1 كورنثوس 14 أن هذه الفقرة القصيرة، وهي الإشارة الوحيدة، لا يمكن أن تُسكت نصف جسد المسيح في الاجتماع.

ولذلك من الغريب أيضًا أن رجالًا كثيرين، وقادة كنائس وشيوخًا، يمنعون النساء من التعليم. وهذا يسري على العبادة، لكن أيضًا خارج الاجتماعات. وإن سُمح بشيء، فبتعليم النساء أو الأولاد فقط. ونطاق التطبيقات واسع، وقد ذكرت هنا صورة نشأت أنا فيها.

سأسلّط الضوء على النصّ الكتابي الوحيد لمنع التعليم. وأنبّه مسبقًا إلى أن هذا النصّ معقّد في لغته الأصلية، وليس قاطع الدلالة أبدًا، كما يقرّر كثير من المفسّرين والعارفين باللغات الأصلية. فهل يمكن أن تكون له عواقب وقيود بهذا المدى على النساء المسيحيات، ومن ثَمّ على جسد المسيح؟

6.3.1 النصّ 1 تيموثاوس 2: 8-15

فأريد أن يصلّي الرجال في كل مكان، رافعين أيادي طاهرة، بدون غضب ولا تفكير مرتاب.

وكذلك أيضًا أن تتزيّن النساء بمظهر محتشم، بحياء ورزانة، لا بضفائر وذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن، بل – كما يليق بنساء يعترفن بتقوى الله – بأعمال صالحة. لتتعلّم المرأة بسكوت في كل خضوع. ولكن لست آذن للمرأة أن تعلّم ولا أن تتسلّط على الرجل، بل أن تكون في سكوت، لأن آدم جُبل أولًا ثم حواء؛ وآدم لم يُغوَ، لكن المرأة أُغويت فحصلت في التعدّي. ولكنها ستخلص بولادة الأولاد، إن ثبتوا في الإيمان والمحبة والقداسة مع الرزانة. [1 تيموثاوس 2: 8-15، مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية]

قبل أن أتناول النصّ بالتفصيل، تفيد بعض الملاحظات العامّة والتاريخية.

6.3.2 الوضع التاريخي في أفسس

الرسالة الأولى إلى تيموثاوس موجّهة شخصيًا إلى أقرب معاوني بولس، الذي كان في ذلك الوقت في أفسس يخدم هناك الكنائس البيتية. ولا نعرف لماذا لم يكتب مباشرة إلى الكنيسة، كما في الرسالة إلى أهل أفسس المعروفة لدينا. فتلك لم تُكتب قبلها فحسب، بل هي مختلفة تمامًا أيضًا. ويخاطب بولس تيموثاوس بملاحظات وتحذيرات كثيرة. فيكتب عن خرافات، وأنساب لا حدّ لها، ومعلّمي ناموس، وأناس بلا ضمير، وأرواح مضلّة، وتعاليم شياطين، ونسّاك، وأرامل، ومقاومين للكلمات الصحيحة التي لربنا يسوع المسيح، وغير ذلك كثير. فهذه الرسالة تتناول مشكلات محدّدة كانت في أفسس خطرًا جدّيًا على الكنيسة. ويُضاف إليها ما ورد في النصّ أعلاه: كان لا بدّ من ردع الرجال عن الخصام وحثّهم على الصلاة، ودعوة النساء إلى التحفّظ.

كانت أفسس بوتقة انصهرت فيها ديانات مختلفة، وعبادات، وسحر وشعوذة. ويروي لوقا ذلك في أعمال الرسل 19. وكانت أرطاميس (Artemis) الأفسسية في المركز، معروفة ومعبودة إلى ما وراء الحدود بكثير، وهي الإلهة (اليونانية)، ابنة زيوس، والأخت التوأم البكر لأبولّو. وكانت هذه الإلهة تُخدم بحماسة عظيمة وبذل كبير. وقد بُني لها هيكل كان في زمانه أكبر بناء، وأحد عجائب الدنيا السبع في العالم القديم. وكانت تُقدَّم لها الذبائح. وتُقام الأعياد والمواكب تكريمًا لها. وكان يُعتقد أن أرطاميس الأفسسية لها القدرة على خلق حياة جديدة. وعلى أخذها. وكانت تستطيع أن تساعد في الولادة وتخفّف الألم. وكانت حامية العذارى، ذكورًا وإناثًا.[99] وكان الرومان يسمّونها أيضًا ديانا.

في هذه الحاضرة من حواضر العالم القديم كانت عبادة أرطاميس حاضرة في كل مجالات الحياة الخاصة والعامّة تقريبًا، وكان لها تأثير بطريقة لا نكاد نتصوّرها اليوم.

ومع ذلك استطاع بولس أن يعمل هناك ثلاث سنوات، وأن يبشّر إقليم أسيا الروماني كلّه. ونشأ عدد كبير من الكنائس البيتية. لكنها في هذه البيئة كانت تواجه أيضًا هذه العبادة وغيرها. فالذين صاروا مؤمنين لم يكن في وسعهم أن ينفضوا ماضيهم بضغطة زر. وربما كانت الخرافات والأساطير التي تكلّم عليها بولس تتعلّق أيضًا بعبادة أرطاميس، وبما يرافقها من عالم فكري وتعاليم، وإن لم يذكر ذلك بالاسم. ولم يكن التوفيق الديني، أي الجمع بين الإيمان المسيحي وعبادات الأوثان وممارساتها وتعاليمها والخلط بينها، أمرًا غير مألوف، وكانت مظاهره تظهر أحيانًا أكثر وأحيانًا أقلّ. وهكذا رُبطت الإلهة أرطاميس أيضًا بحواء. وربط إيريناوس التعاليم الباطلة في أفسس بالغنوصية (Gnosis)، أو على الأقل بطلائعها. وفهم ترتليان الخرافات والأنساب التي لا حدّ لها في هذا الاتجاه. فهذه قد تكون لها، إلى جانب صلاتها اليهودية، علاقة أيضًا بالغنوصية وبدهورها (الأيونات) التي لا تُحصى، وبتعاقبها أو نشوئها. وكانت الغنوصية «المسيحية» المبكرة تمزج التوراة وجوانب من اليهودية بعبادات يونانية ورومانية مختلفة، كانت هي نفسها تستمدّ من أديان الشرق الأدنى. ويكتب إيريناوس أن الغنوصيين كانوا يفسّرون قصة الخلق والسقوط أيضًا على طريقتهم ويعيدون سردها. فكانت حواء هي القوّة الأنثوية الروحية التي نفخت الحياة في نفس آدم. وفي روايات أخرى للخلق كان لحواء الأفضلية والأسبقية على آدم. وكانت النساء يهيمنّ على عبادة أرطاميس في أفسس. وكان لحواء مقام خاص لأنها طلبت المعرفة التي بها يخلص

99. انظر في ذلك: Paulus an die Epheser, Nacherzählt, Erklärt, für heute («رسالة بولس إلى أهل أفسس – إعادة سرد، شرح، لأيامنا»)، Hans-Jörg Ronsdorf

الإنسان (الغنوص). ويختم بولس رسالته بتحذير من «العلم الكاذب الاسم» (الغنوص)، الذي تظاهر به قوم فزاغوا من جهة الإيمان (6: 20-21).

والأبحاث التاريخية عن أفسس مستمرّة. وهو، كما اكتشفت بنفسي، موضوع معقّد. لكن بغضّ النظر عن قبول المرء لإعادة البناء هذه أو رفضها، من الصعب أن يُحاجّ بأن خلفية أرطاميس لا تُحدث فرقًا في تفسير 1 تيموثاوس 2: 8-15، كما يريد أن يُقنعنا كثيرون من أنصار التراتبية الذين يتبنّون منعًا عامًّا للنساء من التعليم. فبطريقة أو بأخرى يجب أخذ هذه الخلفية في الحسبان لفهم هذا المقطع.

6.3.3 الإطار

تحمل ترجمات الكتاب المقدس عناوين مثل «السلوك الصحيح في العبادة». فهل يسري منع التعليم في هذه الحالة في العبادة وحدها، لا في المناسبات الأخرى؟ لكن يبدو أن بولس بالذات لا يشير إلى العبادة، بل يخاطب الرجال والنساء بوجه عامّ، حيثما وُجدوا والتقوا. ويبدو أن الأمر يتعلّق أيضًا بوضع الزوجين في البيت. «لا شيء في 1 تيموثاوس 2: 1-8 يحصر السياق في ‹عبادة علنية›، من غير أن يُؤخذ في الحسبان أن العبادات كانت تُقام في المحيط البيتي، لا في مكان عامّ. وبذلك ليس من الواضح أن بقية الأصحاح تعطي توجيهات للسلوك في اجتماعات العبادة أو في إطار علني، كما أن مضمون بقية المقطع لا يكاد يناسب سياق ‹عبادة علنية›، ولا سيّما الإشارة إلى ولادة طفل.»[100]

«قد يتكلّم بولس عن امرأة تعلّم مجموعة من الرجال، أو عن نساء يعلّمن مجموعات من الرجال، لكن ليس من المعتاد أن يُتكلَّم عن امرأة تعلّم ‹رجلًا› في اجتماع. بل إن استعمال صيغة المفرد يدلّ على تفاعل خاص بين امرأة ورجل. وفي الثقافة اليونانية الرومانية كانت التفاعلات الخاصة بين امرأة ورجل تحدث على الأرجح بين أفراد العائلة، وفي المقطع الكثير مما يشير إلى سياق بيتي.»

ويُضاف إلى ذلك: إنها ليست رسالة إلى كنيسة، بل كتابة شخصية تقوم على معرفة لا نستطيع أن نعيد بناءها بنسبة 100%. وهذا الواقع يجب على الأقل أن يؤخذ في الاعتبار.

100. Cynthia Westfall, Paul and Gender: Reclaiming the Apostle's Vision for Men and Women in Christ, 2015، 291

ومن حيث المبدأ يمكن أن يُستنتج من ذلك فعلًا أنها ليست توجيهات لاجتماع الكنيسة، وإن كانت الدروس الأخلاقية تنطبق بالتأكيد على كل المناسبات.

6.3.4 الصلاة في كل مكان، الغضب والزينة

فأريد أن يصلّي الرجال في كل مكان، رافعين أيادي طاهرة، بدون غضب ولا تفكير مرتاب.

وكذلك أيضًا أن تتزيّن النساء بمظهر محتشم، بحياء ورزانة، لا بضفائر وذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن، بل – كما يليق بنساء يعترفن بتقوى الله – بأعمال صالحة.

النصّ السابق، أي الآيات 1-7، هو الخلفية التي تظهر فيها هذه الكلمات في ضوئها الصحيح: يجعل بولس الصلاة لأجل جميع الناس من أهمّ مضامين الحياة المسيحية. وهذا بالنسبة إلى المسيحيين هو التأثير المهمّ، غير المباشر والمُبارَك، في العالم. فهو يساند ويعزّز أعظم حلم لله: أن جميع الناس يخلصون.

وهكذا يضع هذا النصّ الصلاة في بؤرة الاهتمام، وهي جزء من رسالة الله لخلاص العالم. ومن أجل ذلك يتّقد بولس، ويريد أن يُضرم هذه النار (من جديد) عند أهل أفسس، بأن يصلّوا! على الرجال أن يتركوا الغضب والتردّد وراءهم. وألّا يدعوا شيئًا يصرفهم عن الصلاة. ويتوجّه بولس هنا إلى الرجال (والنساء)، ويشدّد لكليهما على سلوك يدفع الإنجيل إلى الأمام ولا يعوقه. على الرجال والنساء أن يتركوا نمط حياتهم القديم المكرَّر. فالرجال الممتلئون بالتستوستيرون يريدون أن يتبارَوا ويتجادلوا ويكونوا على حقّ. والنساء يردن أن يتزيّنّ وأن يولين المظهر أهمية كبيرة. لكن هذا يجب ألّا يعود يحدّد حياتهم.

حين يُتكلَّم هنا عن الصلاة علنًا، يُطرح السؤال: هل يريد بولس أن

1. يصلّي الرجال بطريقة معيّنة (الآية 8)، و2. أن تلبس النساء «كذلك» (الآية 9) بطريقة معيّنة،

أم أن

1. يصلّي الرجال بطريقة معيّنة، و2. أن تصلّي النساء «كذلك»، وذلك بطريقة معيّنة تتعلّق باللباس.

كلا التفسيرين والترجمتين ممكن نحويًا بحسب أهل الاختصاص. فهل تشجيع بولس على الصلاة (2: 1) موجَّه إلى الرجال وحدهم؟ لا. فصلاتهم ليست أقرب إلى الاستجابة، وليس لهم إيمان أكثر من النساء. إن بولس يريد ببساطة أن تصلّي الكنيسة كلّها. على الرجال والنساء أن يصلّوا حيثما سنحت الفرصة، في كل مكان، لكي يتحقّق حلم الله الأزلي. الرجال بلا غضب، والنساء بلياقة وحشمة.

إن عبارة «وكذلك أيضًا النساء» كعلامة المساواة، وهي تشير إلى الصلاة. وبذلك فالصلاة العلنية أمام الرجال أو في حضورهم مسموح بها، بل الأصحّ: مأمور بها.

مظهر النساء له علاقة بالوضع الخاص في أفسس. ففي محيط عبادة أرطاميس كانت النساء، ولا سيّما الغنيّات القادرات على ذلك، يتزيّنّ بتكلّف ولفت للأنظار. وكان يجب ألّا يبقى الأمر كذلك في بيت الله. فهنا يلفت المرء الأنظار بالأعمال الصالحة. وكان من المهمّ الابتعاد بثبات عن عبادة الأوثان هذه، وذلك من كل ناحية. طبعًا يجوز للمرأة أن تتزيّن، لكن لا ينبغي أن يعكس شيء هذه العبادة الوثنية.

إن نقل منع الحليّ وتسريحات الشعر حرفيًا وبصرامة إلى زماننا لا يطبّقه على الأرجح حتى الذين ينطلقون من منع النساء من التعليم. وكذلك الرجال الذين يصلّون بصوت مسموع لن يرفعوا جميعًا أيديهم. فرفع اليدين المفتوحتين بانتظار وتقبّل هيئة واضحة للتشفّع في ترقّب لله. لكن لا يمكن أن يُصنع من ذلك أيضًا قاعدة. وضمّ اليدين، وهو عندنا هيئة صلاة منتشرة، ليس خطأ، ويُفهم عندنا أيضًا على أنه صلاة.

6.3.5 التعلّم بسكوت وخضوع

لتتعلّم المرأة بسكوت في كل خضوع.

هذه هي الجملة الوحيدة في المقطع كلّه بصيغة الأمر. قليلات من النساء نلن قسطًا من التعليم. وأن يعترف بولس هنا بجميع النساء تقريبًا تلميذاتٍ يتعلّمن، فهذا أمر ثوري حقًّا. كان التعليم غير متاح لمعظم النساء، لا مرغوبًا فيه ولا مدعومًا. كان شأنًا رجاليًا. وفي ظلّ هذه المعطيات تكتسب كلمة بولس نبرة أخرى. بل أكثر من ذلك: قد تكون المفتاح لفهم منع التعليم فهمًا صحيحًا.

لا يُستبعد أن بولس يقصد هنا امرأة معيّنة فقط كانت تثير المشكلات في الكنيسة في أفسس، لأن كلمة «امرأة» وردت بصيغة المفرد. أحيانًا يذكر بولس أسماء الأشخاص

الذين يثيرون المشكلات. وأحيانًا لا يذكرهم بالاسم. فإن كان الأمر يتعلّق بامرأة محدّدة، فإن توجيهًا كهذا لا يمكن أن يُطبَّق اليوم أيضًا إلا على نساء يتصرّفن مثل تلك المرأة.

الخضوع يُعلَّل غالبًا بنظام الخليقة. لكن الأمر لا يدور حول ذلك، كما سأبيّن أدناه. فالكلام هنا عن موقف خضوع في مقابل التمرّد. فلا يستطيع المرء أن يتعلّم إلا إذا كان مستعدًّا للتلقّي، يتقبّل حقّ الإنجيل برغبة في التعلّم، ويخلع طرق التفكير القديمة وتعاليم الخرافات. وهذا لا يحدث إلا في هدوء. فالمقصود ليس الصمت، بل موقف تعلّم يُسمح فيه بالأسئلة وتكون نافعة. لكن ليس على سبيل المقاومة أو التفنيد أو المعارضة. كانت هذه مشكلة محدّدة في أفسس – لا مشكلة نسائية عامّة، كأن جميع النساء جُبلن هكذا بلا استثناء ويحتجن إلى اتّباع توجيه بولس هذا. ولأقلها بوضوح: الكلام في هذا السياق عن الخضوع لتعليم الرسل والإنجيل، لا عن الخضوع لرجل.

6.3.6 لا تعلّم ولا تتسلّط على الرجل

ولكن لست آذن للمرأة أن تعلّم ولا أن تتسلّط على الرجل، بل أن تكون في سكوت.

هذه الآية نقطة محورية ينقسم عندها المسيحيون إلى معسكرين. فالأول يرى هنا منعًا عامًّا للنساء من التعليم، والآخر ينطلق من وضع خاص مُشكِل في أفسس. فهل نأخذ الكلمة ببساطة كما تقف في الألمانية أو في لغة حديثة، ونلتزم بها؟

بوصفه أقرب معاوني بولس، كان تيموثاوس سيعرف منعًا عامًّا للنساء من التعليم لو وُجد. وأن يُنبَّه إليه هنا، بعد سنوات كثيرة من العمل المشترك، فهذا أمر غريب. وهذا يرجّح بالأحرى وجود وضع خاص في أفسس.

الكلمات التالية عن حواء وآدم تُعتبر تعليلًا لمنع التعليم. فيكون السبب عندئذ تراتبية في الخليقة. فإن علّمت امرأةٌ رجلًا، كان ذلك تسلّطًا عليه. ومهما علّمت المرأة بتواضع، وربما حتى بغطاء على رأسها، فسيكون ذلك ممنوعًا، لأنه تسلّط. فهل هذا هو المقصود حقًّا؟

6.3.7 هل التعليم هو التسلّط؟

كان سؤالي الأساسي دائمًا: لماذا يُربط التعليم بـالتسلّط أو بالسلطة؟ هل تعرفون في العهد الجديد موضعًا ما فيه هذا الارتباط؟ هل تعرفون حادثة يُسمّى فيها التعليم في

الوقت نفسه تسلّطًا؟ بوصفه فعلًا ضارًّا؟ أو حتى بوصفه مزيجًا إيجابيًا؟ أليس التعليم خدمة للآخرين، يضع فيها المرء نفسه تحت المتعلّمين والسامعين؟

التعليم وفعل التعليم موضوع من مواضيع هذه الرسالة: ترد كلمتا «التعليم» و«يعلّم» 15 مرة، أي ضعف ما ترد في أيّ رسالة أخرى. ويبدو أن التعليم ليس مجرّد وعظ، بل له طابع قويّ وأكثر إلزامًا. وتعليم التعليم الصحيح دفاع وحماية، وهو شفاء للكنيسة وبناء لها. لكن هل هذا تسلّط؟ أو ممارسة للسلطة؟

«يستعمل بولس في 1 تيموثاوس 4: 11 – أي في الرسالة نفسها – العبارة ‹أوصِ بهذا وعلِّم.› ولكلمة ‹أوصِ› تقف في اليونانية كلمة parangello، التي ترد أيضًا في 1 تيموثاوس 5: 7 و6: 17. ومعناها ‹يأمر، يحثّ، يوصي›. وفي 1 تيموثاوس 4: 11 تُستعمل مقترنةً بـ‹يعلّم›. وهذا الاقتران موجود أيضًا في 1 تيموثاوس 2: 12، لكن بكلمة أخرى لـ‹يتسلّط›. فالمعنى إذًا لا يطابق بالضرورة ما في 1 تيموثاوس 4: 11.»[101]

مفهوم «سلطة التعليم»[102] موجود في المحيط الكنسي. والسؤال هو: مَن له السلطة أن يصدر قولًا تعليميًا ملزمًا للآخرين، لا يجوز الاعتراض عليه؟ ففي مسائل الإيمان لا مجال للاعتباط. لكن هل يمكن أن يكون بولس قصد هذا هنا؟ إن صحّة تعليمٍ ما لا تتوقّف أبدًا على جنس المعلِّم. هل للرجل سلطة تعليم لمجرّد أنه رجل؟ إن الأمر في التعليم يتعلّق بالمضمون، بالحقّ، لا بمسألة الجنس.

كان أبلّوس مقتدرًا في الكتب (أعمال الرسل 18: 24)، لأنه كان واضحًا أن له موهبة تعليم بارزة.

أن يعلّم المرء تعليمًا ملزمًا لا يعني أن يتسلّط. فلو كان المقصود ذلك لوجدنا كلمة أخرى.

101. Wunderli، 37

102. السلطة التعليمية الكنسية (magisterium ecclesiae) تعني في الكنائس سلطة التعليم التي يمارسها بعض أصحاب المناصب وبعض الهيئات الكنسية. وقد تطوّرت السلطة التعليمية الكنسية في تاريخ الكنيسة مرتبطةً بمنصب الأسقف، ولا سيّما بنشوء الأسقفية الملكية. وكانت نتيجة هذا التطوّر أوّلية البابا في المسيحية الغربية، التي ظهرت أولًا بمعنى ius appellationis، ثم ازدادت حدّة من خلال عقيدة العصمة في المجمع الفاتيكاني الأول. ويُعتبر الكتاب المقدس والتقليد أساس التعليم الكنسي. وفي مقابل ذلك صاغ مارتن لوثر سنة 1523 «أن لجماعة مسيحية أو كنيسة الحقّ والسلطان أن تحكم على كل تعليم، وأن تدعو المعلّمين، وتعيّنهم وتعزلهم». والمعيار في ذلك هو الكتاب المقدس وحده. ومع توطّد الإصلاح رُفع الحكم على التعليم إلى مستوى الكنائس الإقليمية، وأُضيفت إلى الكتاب المقدس، بوصفها معايير ثانوية، كتب الاعتراف. (Wikipedia)

6.3.8 ماذا يعني «يتسلّط»؟

الكلمة المترجمة «يتسلّط» ليست الكلمة المعتادة لـ«ممارسة السلطة»: فهي لا ترد إلا مرة واحدة، في هذا الموضع. ولذلك أنا أشدّ حذرًا من أن أوافق على هذه الآية سببًا وحيدًا لمنع النساء من التعليم.

«الكلمة المترجمة ‹يتسلّط› (‹authentein›) لا تُستعمل في العهد الجديد إلا في هذا الموضع.[103] والاسم المرتبط بها ‹المتسلّط› كان يعني في الأصل ‹القاتل›[104]، وبدقّة أكثر ‹قاتل نفسه› أو ‹قاتل أفراد عائلته›[105]. ثم اكتسب لاحقًا في اللغة الدارجة معنى ‹السيّد›، ‹المتحكّم›، ‹المستبدّ›[106].»[107]

إن نوع التسلّط المذكور هنا ليس أمرًا إيجابيًا ولا مرغوبًا فيه. أمّا إن نُظر إليه نظرة إيجابية، فعلى الرجال أن يتسلّطوا بالتعليم، لا النساء. هذه ستكون النتيجة المنطقية لهذه العقيدة التي يكون فيها الرجل في سلطة فوق المرأة. فحين يعلّم الرجل، يتسلّط على المرأة وعلى جميع السامعين والمتعلّمين.

إن خدمة المرشدين أو القادة أو الشيوخ في الكنيسة، ومنها التعليم أيضًا، لا تُسمّى أبدًا «تسلّطًا».

وعلى نحو مشابه تحكم مارلين سميث (Marilyn Smith) وإنغريد كيرن (Ingrid Kern): «نقطة أخرى في هذا المقطع من رسالة تيموثاوس هي استعمال كلمة authentein، التي تُرجمت بـ‹ممارسة السلطة›. لا يوجد اتّفاق على مضمون معنى

103. لأن الكلمة hapax legomenon، لا تُناقش حتى في القاموس اللاهوتي لكيتل (Kittel). لكنها ترد عند كثير من كبار الكتّاب الكلاسيكيين الناطقين باليونانية، قارن N. J. Hommes. «Let Women be Silent in Church». Calvin Theological Journal 4 (1969) 5-22، وهنا ص. 18 والمراجع المذكورة هناك؛ وملخّص جيد لمقالة Hommes في New Testament Abstracts 13 (1969) 365.

104. C. D. Osburn. «Authenteo (1Timothy 2: 12)». Restoration Quarterly 25 (1982) 1-12.

105. N. J. Hommes. «Let Women be Silent in Church». المرجع المذكور، ص. 18.

106. المرجع نفسه. Walter Lock. A Critical and Exegetical Commentary on The Pastoral Epistles (I & II Timothy and Titus). International Critical Commentary. T. & T. Clark: Edinburgh, 1936. ص. 32 يذكر معنى ‹authentein› في اليونانية الدارجة: ‹despotes› (= ‹مستبدّ›)، ويذكر ترجمةً إنجليزية: “a self-actor”، “to lord it over”، وغيرهما. Sir Robert Falconer. «1 Timothy 2 14,15: Interpretative Notes». Journal of Biblical Literature 60 (1941) 375-379، وهنا ص. 375 يترجم على نحو مشابه: “an autocrat”. Joseph H. Thayer. Greek-English Lexicon of the New Testament. Baker Book House: Grand Rapids (MI), 1977. ص. 84 (رقم 830) يعطي معنى ‹authenteo›: “one who with his own hand kills either others or himself”، “one who does a thing himself, the author”، “one who acts on his own authority, autocratic”، بمعنى ‹an absolute master autokrator›.

107. Schirrmacher، 122.

authentein، لكن أمرًا واحدًا مؤكّد: لو قصد بولس أن يمنع النساء من كل ممارسة للسلطة بالمعنى المألوف لهذه الكلمة، لاستعمل على الأرجح الكلمة المعتادة لذلك، exousia. وبدلًا من ذلك يستعمل بولس كلمة مختلفة تمامًا، لا ترد في أيّ موضع آخر من العهد الجديد، ليشير إلى أنه يقصد هنا نوعًا مختلفًا تمامًا من السلطة. ويستعمل المؤرّخ يوسيفوس authentein ليصف أنتيباتر، ابن هيرودس، الذي اتُّهم بقتل أخويه وبمحاولة قتل أبيه (...) وعلى هذا تعني authentein ما يقارب ‹التسلّط› أو ‹ممارسة سلطة مطلقة› على أشخاص بقصد تدميرهم.»[108]

لا يتعلّق الأمر في هذا السياق بأمرين منفصلين أحدهما عن الآخر – فهما هنا متلازمان، يشترط أحدهما الآخر ويتراكمان على نحو سلبي: التعليم والتسلّط. والكلام، في ضوء الوضع التاريخي والديني في أفسس، هو عن تعليم بطريقة متسلّطة. بطريقة سلبية مهيمنة، تصل إلى حدّ التعدّي على الآخرين، كما كان يحدث من نساء من محيط أرطاميس. بل قد يتعلّق الأمر، على وجه الدقّة، بوضع كما في عبادة أرطاميس التي كانت تدور حول الخصوبة ومنح الحياة. أي هيمنة على الرجال في المجال الجنسي. ومهما بدا هذا غريبًا، فتلك كانت البيئة التي كتب فيها بولس رسالة تيموثاوس الأولى. فتكون هذه الجملة عندئذ: لست آذن لامرأة أن تعلّم (تعليمًا باطلًا) وأن تتسلّط على الرجل جنسيًا.

فليس الأمر إذًا منعًا للتعليم علنًا أمام الرجال. وليس أيضًا منعًا للزوجة من أن تعلّم زوجها في وقت ما. كانت النساء آنذاك متأخّرات في التعليم، لأنهن كنّ مُقصَيات عن الدراسة والتعلّم تقريبًا. لكن إن كانت امرأة تلميذة ليسوع منذ زمن طويل، فإنها ستعلّم حتمًا زوجها الذي آمن بعدها.

ربما كان الأمر في أفسس يتعلّق بنساء كنّ يعلّمن بتعجرف وتسلّط على النمط الغنوصي. كنّ يدّعين لأنفسهن السلطة، بل يستولين عليها، ليعلّمن. والأسوأ أنهن كنّ يعلّمن تعاليم باطلة. ولم يكن ممكنًا احتمال هؤلاء النساء ولا تعاليمهن. ففي بيت الله لا مكان لسلوك كهذا ولا لتعاليم باطلة. والأمر كذلك تمامًا لو فعل ذلك رجال. لكن امرأة معيّنة بعينها أو مجموعة من النساء كانت هي المشكلة في أفسس. ولا يوجد سبب لوضع جميع النساء المسيحيات في هذه المرتبة! والإشارة إلى المرأة إيزابل (رؤيا 2: 20)، التي كانت تعلّم في ثياتيرا، تطابق هذا النمط: لم تكن المشكلة هناك أنها كانت تعلّم بوصفها امرأة، بل أنها كانت تعلّم الباطل.

108. عند Wunderli: Smith/Kern 2005، 98؛ Bauer 1988، 1240

لا يمكن أن يُفسَّر التسلّط في هذا السياق بأنه «قيادة» روحية أو «سلطة» روحية. أي بوظيفة القيادة أو الرعاية في كنيسة. فما كان يسوع وبولس ليفهما ذلك تسلّطًا. إن الطريقة المسيحية في السيادة هي الخدمة. وأن يكون المرء لا الأول بل الآخِر (مرقس 10: 42-45). وهذا موقف ممكن حين يتقدّم المرء الآخرين قائدًا. ويلفت بطرس نظر الرعاة إلى أن التسلّط لا يشترك في شيء مع خدمة الرعاية:

«ارعوا رعية الله التي بينكم نُظّارًا، لا عن اضطرار بل بالاختيار، ولا لربح قبيح بل بنشاط، ولا كمن يسود على الأنصبة، بل صائرين أمثلة للرعية.» 1 بطرس 5: 2-3

أن تكون في سكوت لا يعني أن تُمسك لسانها لأنها مُلزمة بالصمت، بل يعني سلوكًا معيّنًا، أي: «البقاء في سلام»، «البقاء في هدوء» أو «حفظ النظام».[109] وفي عملية التعلّم والإصغاء المتبادل، هذا السلوك هو المطلوب من النساء المعنيّات، لكنه سيكون مطلوبًا كذلك تمامًا من الرجال لو أحدثوا المشكلات نفسها.

أن تجلس المرأة ساكنة ومنتبهة كمريم عند قدمي يسوع، هذا هو موقف التعلّم المثالي للإصغاء إلى معلّم كل المعلّمين.

6.3.9 آدم وحواء في أفسس

... لأن آدم جُبل أولًا ثم حواء؛ وآدم لم يُغوَ، لكن المرأة أُغويت فحصلت في التعدّي.

بهذه الكلمات يبدو أن بولس يعلّل لماذا لا يجوز للمرأة أن تعلّم علنًا. لأن «التعليم» ليس خضوعًا بل تسلّط. هكذا سمعت ذلك مرارًا. وهكذا فهمته أنا نفسي دائمًا. لكن، بصراحة، مع بعض الشكوك في مؤخّرة رأسي. أيمكن أن يكون لترتيب زمني بفارق بضع ساعات (إن آمن المرء بأيام خلق من 24 ساعة) هذا المدى كلّه؟ آدم وحواء كتوأمين جُبلا الواحد بعد الآخر بوقت قصير. أينبغي لهذا الوقت القصير أن يقرّر منعًا كهذا للتعليم على جميع النساء؟ وهل هو عقاب من الله ألّا يجوز للنساء أن يعلّمن لأن حواء أُغويت؟ أفلا يجوز لأيّة امرأة، منذ عدن، أن تعلّم بسبب ذلك؟ حتى لو كانت موهوبة لذلك؟

لقد كانت لدى المسيحيين من أصل يهودي على الأقل الترجمة السبعينية و/أو التوراة. فهذا كان الكتاب المقدس للمسيحيين قبل أن يوجد قانون العهد الجديد. ويكرّر بولس

109. قارن ExWNT، المجلد الثانى، ص. 311

الآن أمرًا كان في وسع كل واحد أن يقرأه. لماذا يذكر بولس شيئًا كان معروفًا وواضحًا إلى هذا الحدّ؟ أن آدم خُلق أولًا وأن حواء جُرّبت.

ويُضاف إلى ذلك أن بولس، إن فُهم هذا النصّ كما ذُكر للتوّ، سيناقض نفسه بطريقة ما. ففي رومية 5 ابتداءً من الآية 12 يصف آدم الذي أدخل الخطية إلى العالم، فصار بذلك الأول ورأسًا لعائلته، أي للجماعة العالمية لكل البشر الذين يولدون في الخطية. آدم هو المسؤول. وجواب الله وخلاصه رأس جديد «يتبنّانا» في جماعته: يسوع المسيح.

وهنا في 1 تيموثاوس قد يظنّ المرء أن بولس يجعل حواء الرأس المسؤول. لا بدّ من سبب خاص لذكره ذلك هنا على هذا النحو. وكما لوحظ أعلاه، كانت روايات للخلق ذات طابع غنوصي مبكر متداولة، تدّعي العكس. أن حواء خُلقت أولًا وأن آدم جُرّب أولًا. وفي محيط أرطاميس كانت النساء في هذه العبادة النافذة أهمّ من الرجال. وقد يكون هذا هو التعليل لامرأة أو لبعض النساء ليعلّمن بهيمنة، ويتمرّدن على تعليم المسيح ويعارضنه.

ربما كانت الإشارة إلى آدم وحواء إشارة إيجابية أيضًا. لا إلى ضعف حواء أو تفوّق آدم، بل إلى ضرورة التعليم والدراسة والخضوع لله. فقد خُدعت حواء ربما لأنها لم تكن قد تعلّمت بما يكفي. أمّا آدم فأخطأ عن وعي، إذ لم يطع أمر الله المباشر. «لا نترك مزيدًا من القذائف غير المنفجرة والألغام ملقاةً هنا وهناك، تُربك الناس. لنقرأ هذا النصّ كما كان مقصودًا في رأيي، وسيلةً لبنيان كنيسة الله، رجالًا ونساءً على السواء. وكما كان يهمّ بولس أن يطبّق ذلك في وضع معيّن، كذلك علينا أن نفكّر بعناية ونصلّي: إلى أين تقودنا ثقافتنا وأحكامنا المسبقة واستياؤنا؟ علينا أن نبذل قصارى جهدنا لكي لا نتكيّف مع أيّ من القوالب النمطية المختلفة التي يقدّمها العالم، بل مع رسالة إنجيل يسوع الشافية والمحرِّرة والمحبّة للإنسان.»[110]

6.3.10 لست آذن الآن

«لست آذن الآن» ليس منعًا دائمًا أو شاملًا للنساء اللواتي يقدن ويعلّمن (الآية 12). فقد احتجّ فيليب باين (Philip Payne) وآخرون بأن «لست آذن للمرأة أن تعلّم» ليست أفضل ترجمة للنصّ اليوناني. «لست آذن الآن» ترجمة أفضل. «لست آذن الآن» تشير إلى توجيه حاضر ومحدّد لمشكلة معيّنة ومحدودة زمنيًا في أفسس (لا إلى

110. Wright, N. T.، Paul for Everyone: The Pastoral Letters، London، 2003، ص. 27.

منع دائم أو شامل للنساء من التعليم). وقد بيّن علماء مختلفون أن استعمال بولس للفعل الإخباري المعلوم epitrepō مع النفي ouk («لست آذن ...») يشير بقوّة إلى توجيه محدّد لوضع معيّن. ففي الغالبية العظمى من الحالات التي تُستعمل فيها epitrepō في العهد الجديد، وفي كل مرة في العهد القديم اليوناني، تشير الإحالة إلى «وقت معيّن أو لمدة قصيرة أو محدودة فقط.»[111] فإذا فهمت المرأة المعيّنة أو مجموعة النساء التعليمَ وتقبّلنه وتعلّمنه، فإن منع التعليم هذا سيُرفع منطقيًا.

لا يمكن أن يُكرَّر هذا بما يكفي: إنه ليس منعًا شاملًا للنساء من التعليم بسبب نظام الخليقة للإنسانين الأولين. هذا ليس القول التعليمي لبولس. إنه ليس توجيهًا لكل كنائس العالم في كل الأزمنة، بل هو موجّه إلى وضع خاص في أفسس. إنه ليس منعًا للنساء من التعليم، بل وصية تتعلّق بالموقف. فهؤلاء النساء ينبغي ألّا يعلّمن بهيمنة، بل أن يتعلّمن بتواضع.

6.3.11 الخلاص بولادة الأولاد؟

ولكنها ستخلص بولادة الأولاد، إن ثبتوا في الإيمان والمحبة والقداسة مع الرزانة.

إنها صلات غريبة، إن لم يعرف المرء الخلفيات التاريخية. ما علاقة التعليم والتعلّم بالولادة؟ قيل لي أكثر من مرة إن مسيحيين كثيرين يقرأون الكتاب المقدس، لكنهم ببساطة لا يمكنهم أن يعرفوا هذه الخلفيات القديمة. أفلم يحتط الله لكي يُفهم هذا النصّ من دون كل معارف الخلفية هذه؟

لقد نلنا ذهنًا مستنيرًا. والروح القدس هو معلّمنا. ولدينا اليوم إمكانيات أن نجد نتائج أبحاث كثيرة على الشاشة في ثوانٍ. ولدينا دراسات لا تُحصى عن هذه النصوص. وأبحاث في اللغات الأصلية حول كل احتمال ممكن. وهي في مجموعها كثيرة جدًّا من جديد تقريبًا، بحيث يصعب الإحاطة بها. وكل معلّم عليه أن يتتبّع مثل هذه الأسئلة.

على أيّة حال، ينبغي لكل قارئ للكتاب المقدس أن يتعامل مع خلفية النصّ. بالوسائل والإمكانيات التي يجدها. ففي المدرسة يُتعلَّم ويُمارَس التعامل مع النصوص والأسئلة التي تُطرح عليها. ولذلك لا أستطيع أن أتكلّم إلا عن زماننا، حين نقرأ الكتاب المقدس، ولا نعفي أحدًا من واجب أن يفكّر في النصّ قليلًا أكثر، أبعد من الفهم الحرفي. وأن

111. Hill, Graham Joseph، ص. 63-64، Holding Up Half the Sky: A Biblical Case for Women Leading and Teaching in the Church

يطلب من الله بإلحاح أن يهب الوضوح وقوّة الطاعة. ولا ينبغي أن يكون العائق فينا: في سطحيّتي، أو خوفي من اكتشافات جديدة، أو تكاسلي، أو قلّة تفكيري في النصّ.

في أفسس كانت النساء الحوامل يستودعن أنفسهن عند الولادة للإلهة أرطاميس. فقد كانت قادرة على إنجاح الولادة. لكن ذلك كان خطأً، تمامًا كخرافة أن حواء خُلقت أولًا وأن آدم أُغوي أولًا. إن الخلاص الوحيد عند الولادة، التي كثيرًا ما تكون مهدّدة للحياة ومؤلمة، يستطيع الله وحده أن يهبه. هو وحده مخلّصنا ومعيننا. وهكذا يريد بولس أن يقول إن على المرء أن ينفض أخيرًا كل هذه الخرافات والأساطير والتوقّعات المخيفة، ويلقيها من السفينة، ويستودع نفسه في كل شيء لله المخلّص الوحيد.

لهذه الآية الصعبة أقتبس تفسيرًا ممكنًا آخر: «تنشأ مشكلة ظاهرية أخرى مع ‹الخلاص بولادة الأولاد›. هل يُعقل أن بولس علّم أن النساء يخلصن إذا ولدن أولادًا؟! هذا التعليم لا يمكن تصوّره! فهو يناقض تعليمه كلّه، ولذلك لا يمكن ببساطة أن يكون هذا هو المقصود هنا. بل الأرجح أن بولس يشير هنا إلى تكوين 3: 15، أي أن نسل المرأة يأتي بالخلاص. ولأن المعلّمات الضالّات اللواتي يوبّخهن بولس هنا كنّ يظنّ أن الخلاص يأتي مباشرة عن طريق النساء، يوضّح بولس أن الخلاص يأتي فعلًا عن طريق النساء، لكنه في الحقيقة يأتي عن طريق النسل المولود من امرأة، المسيح (في حين كان الغنوصيون يعتبرون الجسدانية – ومعها ولادة الأولاد أيضًا – بدائية وعتيقة).»[112]

6.3.12 1 تيموثاوس اليوم

«ليس السؤال لنا نحن المؤمنين اليوم كيف نحشر رجال القرن الحادي والعشرين ونساءه في المُثُل اليونانية الرومانية للرجولة والأنوثة. بل السؤال لنا هو كيف نكون أناس صلاة في موقف قداسة. كيف ينبغي أن نبرهن على ذلك بوصفنا أناس اليوم؟ أقترح أن تجنّب الغضب والشقاق أمر شامل، فلعلّنا نبدأ بذلك. وسؤال آخر هو كيف نُظهر ذلك في أعمال صالحة، بوصفنا أناسًا ‹يعترفون بتقوى الله›. أيّ نوع من الأعمال الصالحة سيكون ذلك في سياقنا اليوم؟

ولاحظوا الضمير ‹هم› في نهاية الأصحاح 2 في الآية 15. فالضمير ‹هم› يعود إلى الرجال والنساء الذين يتوجّه إليهم هذا المقطع. والأصحاح 2 كلّه يشكّل تباينًا مع السلوك التجديفي لهيمينايس والإسكندر (1 تيموثاوس 1: 20). فكيف نتقدّم إذًا في

112. Michael Trenkel، 2017 (انظر قائمة المراجع)

خلاصنا، بفضل رحمة يسوع المسيح ونعمته العظيمتين، في الإيمان والمحبة والقداسة مع ضبط النفس؟ كيف يبدو ذلك؟

ولأكرّر مرة أخرى، أودّ أن أقول إن بولس في رأيي لا يستنتج أن النساء يختلفن عن الرجال إلى حدّ أنهن يُستبعدن عمومًا من أدوار معيّنة في الكنيسة أو في البيت. بل الحقيقة عكس ذلك. فالرجال والنساء متساوون أمام الرب. وهو لا يريد أن يقول إن النساء لا يمكن أن يُعيَّنّ في أدوار معيّنة بسبب جنسهن. فقد كانت النساء في العالم القديم يتولّين بانتظام رئاسة البيت أو تدبير الأسرة. إن آدم وحواء لا يشكّلان أساس الوصية في الآية 12، بل يُستعملان مثالين على ما لا ينبغي فعله. ففي 2 كورنثوس 11: 3 يستعمل بولس خداع الحيّة لحواء توضيحًا للكنيسة كلّها. وهنا في 1 تيموثاوس يُطبَّق على النساء وحدهن.

أنا شخصيًا لا أتوقّع من زوجي أن يتصرّف كأنه ربّ بيت يوناني روماني. سيكون من الغريب أن يتصرّف بهذه الطريقة. نحن أناس القرن الحادي والعشرين، نعيش حياة القرن الحادي والعشرين. فإن توقّعت منه أن يمارس السلطة كأنه زوج من القرن الأول، لجعلت غير المؤمنين ينظرون إلى الإيمان المسيحي نظرة انتقادية. وكما يحذّر 1 تيموثاوس 5: 14، علينا ألّا نعطي المقاوم علّة للشتم.»[113]

6.3.13 استنتاجات

بنظرة إلى الوضع التاريخي في أفسس تتّضح بعض الأمور. لكن تبقى أسئلة مفتوحة حتى عندئذ. ومع ذلك صار قصد النصّ واضحًا. وقد تبيّن: ليس هذا منعًا عامًّا للتعليم أو للوعظ، ولا منعًا للقيادة، بل منع لتعليم لاهوت معيّن بعينه، أي لاهوت باطل. ومنع للتعليم بطريقة مهيمنة تطالب بالطاعة، أو حتى متعدّية على الآخرين. أو لادّعاء سلطة التعليم بغير حقّ. فهذا لا مكان له في الحياة المسيحية ولا في جماعة الله. لقد كانت هذه مشكلة محدّدة في أفسس. وبوجه عامّ يصحّ هذا بالتأكيد على الرجال أيضًا. لكنهم في هذه المسألة لم يكونوا هذه المرّة سبب التوبيخ. فبولس إذًا لا يحدّد دور النساء في الكنيسة الجامعة، بل يصحّح بالأحرى إساءات في أفسس.

كم من النساء بيننا نلن موهبة التعليم، لكنهن لا يستطعن ممارستها، لأن الرجال يسدّون عليهن الطريق؟

113. Kidson, Persuading Shipwrecked Men: The Rhetorical Strategies of 1 Timothy 1, 2020, Mohr Siebeck Tübingen

لقد جُعل من المستحيل، بهذه الآية الواحدة، على نساء موهوبات لا يُحصين في المسيح أن يعلّمن كما يعلّم الرجال. والمسؤولون عن ذلك هم الرجال! وعليهم أن يُنهوا هذا الوضع المعيب.

6.3.14 نقل تفسيري لنصّ تيموثاوس

يلي ذلك نقل تفسيري لهذا المقطع بإعادة الصياغة. هكذا كنت سأورد النصّ لو طُلب منّي أن أفسّره باختصار. هذا نصّي أنا، كلماتي أنا، لا النصّ الكتابي.

عزيزي تيموثاوس، لكي تُضبط المشكلات في أفسس مع بعض الرجال وبعض النساء، ينبغي أن يحدث ما يلي: على الرجال أن يبدأوا بالصلاة. في كل مكان يلتقون فيه. وعلنًا أيضًا. بدلًا من أن يتخاصموا حول الأساطير والتعاليم الباطلة. فالغضب والخصام يعوقان الصلاة. والصلاة المشتركة تقود إلى حياة هادئة مسالمة. وبأيدٍ مرفوعة مفتوحة متقبّلة، طاهرة من الخصام والعنف، عليهم أن يعبدوا معًا إلهنا المخلّص، ويتشفّعوا أمام عرش الله لأجل جميع الناس.

طبعًا على النساء أيضًا أن يصلّين، مثل الرجال تمامًا. ومن المهمّ في ذلك أن تُظهر النساء، وأعني قبل كل شيء النساء الغنيّات، تواضعًا حيثما ظهرن ورآهنّ الناس. فزينتهن التي تلفت الأنظار إليهن، بل لكي يتفوّقن بها على نساء أخريات أيضًا، يجب ألّا تكون في تسريحات شعر متكلّفة لافتة، أو في حليّ الذهب واللآلئ، والملابس الغالية الغريبة. فالنساء اللواتي يتبعن المسيّا لا يحتجن إلى أن يُبرزن أنفسهن هكذا، أو أن يمارسن بهذه الطريقة نفوذًا وهيمنة. فهناك زينة ونفوذ أثمن، يحترمه حتى جميع الناس: الأعمال الصالحة.

على المرأة أن تتعلّم ما هو حقّ الإنجيل. برغبة في التعلّم، بانتباه وتعطّش إلى المعرفة. في بيتها. ولا سيّما واحدة من هؤلاء النساء لا آذن لها أن تواصل نشر كل هذه الأساطير والتعاليم الباطلة. ينبغي ألّا تتعالى على زوجها أو على الرجال عمومًا، وألّا تدّعي سلطة تعليم لا تحقّ لها، لأنها لا تعرف التعليم الصحيح ولا تفهمه. عليها أن تُصغي حين يُشرح لها التعليم الصحيح. فهي تحتاج إلى ذلك، لأنها تفتقر إلى المعرفة، وهذا الجهل يُحدث ضررًا كبيرًا حين تنشر الأساطير في البيوت. وخلق آدم وحواء هو المثال المناسب لهذا الوضع. فقد خُلق آدم أولًا، وكان هو من يُفترض أن يعلّم حواء. ولم يُخدع. أمّا حواء فخُدعت وضُلّلت. فإن لم تتعلّم النساء عن طيب خاطر، فسيُخدعن

مثل حواء ويصرن فخًّا للآخرين. وإن لم تتعلّم بعض النساء في أفسس من أزواجهن، فسيحدث الأمر نفسه تمامًا.

وعلى هؤلاء النساء أن يعرفن أنهن سيُحفظن عند ولادة الأولاد. رغم إغواء حواء والآلام الكبيرة للولادة. فالله، مخلّصنا، هو الذي يخلّص، لا أرطاميس الأفسسية، الإلهة الحامية التي صنعها البشر. ولذلك عليهن أن يركّزن على الإيمان والمحبة والقداسة. معًا بوصفهما زوجين، هما كآدم وحواء جسد واحد. على النساء ألّا يخفن من إنجاب الأولاد، وعلى الرجال أن يضبطوا أنفسهم جنسيًا، وأن يتذكّروا أن كثرة الحمل خطر على زوجاتهم.

6.4 وصايا عامّة ووصايا مرتبطة بزمانها

بعد أن تناولت هذا النصّ القصير، وتبقى هنا أيضًا أسئلة مفتوحة، أودّ أن أشير إلى مبدأ السريان:

كيف نعرف متى تكون الوصايا في الكتاب المقدس شاملة، ومتى تكون أخرى محدودة بسياقها أو ثقافية؟

كثيرًا ما نستطيع أن نعرفها من السياق. فالزنى مثلًا خطية دائمًا. هذا شامل بلا شكّ! لكن الأمر صعب جدًّا أحيانًا، لأن الكتاب المقدس يحتوي على أجناس مختلفة، أي أنواع أدبية أو أنواع نصوص أو أشكال نصوص، مثل التاريخ والقصّة والتوجيهات والنصائح وغير ذلك، ويستنتج المرء على أساسها الممارسة والأخلاق بطرق مختلفة. ويُضاف إلى ذلك السؤال: مَن المخاطَب تحديدًا؟ مثال بسيط: نال إسرائيل في العهد القديم توجيهات لا تسري اليوم على كنيسة العهد الجديد.

في رسائل بولس توجد مؤشّرات تساعد على معرفة ذلك:

هل تتكرّر التوجيهات؟ هل نراها في سياقات مختلفة؟ هل توجد لغة واضحة ومشتركة؟ أو بعبارة أخرى: إذا استعمل بولس مصطلحات أو مفردات نادرة وغير مألوفة، فهذا يقود إلى افتراض أن الوضع خاص وأكثر تقييدًا. وفي الموضوع الخاص لهذا الكتاب يتبيّن أن النصوص المركزية (1 كورنثوس 11؛ 14؛ 1 تيموثاوس 2) لها حجج خاصة إلى هذا الحدّ، ومفردات غريبة إلى هذا الحدّ، بحيث لا تكاد تستطيع أن تثبت منعًا شاملًا للنساء من التعليم والقيادة.

إن الأوامر الشاملة تنسجم مع السياق الكلّي للكتاب المقدس، ولا تولّد تناقضات.

التفسير الكتابي لا يحدث أبدًا في فراغ محايد. فنحن لا نخلع افتراضاتنا المسبقة وخبراتنا وتكويننا وقيمنا حين نقترب من الكتاب المقدس. نحن نُدخل أنفسنا في فهم النصّ وتفسيره. وإن لم يُؤخذ ذلك في الحسبان، نشأ خطر حرفية كتابية غير سليمة.

6.4.1 الحرفية الكتابية و Sola Scriptura

ذكرت في البداية مصطلح «الحرفية الكتابية». بوصفها موقفًا سلبيًا وغير سليم من الكتاب المقدس ومن الحياة المسيحية. الحرفية الكتابية هي الموقف الذي يُهمل التمييز بين الوصايا الشاملة والوصايا المرتبطة بزمانها. إنه موقف يدّعي لنفسه الأمانة للكتاب المقدس، متميّزًا عن آخرين لا يأخذون الكتاب المقدس في مواضع معيّنة بحرفيّته، بل يضعونه في سياقه. ولا يهمّ هؤلاء «الأمناء للكتاب المقدس» مدى جودة تعليل أولئك لموقفهم. وكثيرًا ما يُنسب إلى أولئك قصد تكييف الكتاب المقدس مع رغباتهم الخاصة أو مع روح العصر في العالم.

الحرفية الكتابية تفسّر دور المرأة في الكنيسة وتحصره في نصوص كتابية قليلة، وتغفل الصورة الكبيرة التي يُبرزها الكتاب المقدس بوضوح، حتى في العهد القديم. فلكل تقليد ولكل طريقة، سواء في ترتيب العبادة أو في ترتيب الحياة المسيحية، يُطلب عدد من الكتاب المقدس تعليلًا. لا شكّ أن الكتاب المقدس هو القانون والمعيار، لكن حيث لا تكون التوجيهات واضحة وضوحًا قاطعًا، ينبغي اتّباع الصورة الكلّية للكتاب المقدس، لا الاستناد بعبودية إلى آيات منفردة. فإنما الارتفاع إلى علوّ معيّن يسمح بنظرة أوسع، لكي يُشرف المرء على الأرض الكتابية كلّها. وكذلك عند تأمّل لوحة، لا بدّ أن يتراجع المرء خطوة ليراها كاملة، ولكي لا يعلق بالتفاصيل وحدها. وأحيانًا يلزم إيجاد حلول عملية، بانفتاح وثقة بالله.

الحرفية الكتابية هي طريقة القراءة والمدخل إلى الكتاب المقدس الذي لا يقبله إلا مصدرًا وحيدًا لصياغة الإيمان المسيحي، وبخاصة أيضًا لممارسة الحياة المسيحية. وهذا في حدّ ذاته موقف جيد. لكن حين تُهمل الخلفيات التاريخية، أو تُرفض بوصفها غير أكيدة وغير مهمّة، يصير الأمر مُشكِلًا. الحرفية الكتابية تغفل معارف التقليد المسيحي الواسع، وهي عاجزة عن تقدير وضعها الثقافي الخاص وموقعها مقارنةً بزمن نشأة العهد الجديد. الحرفية الكتابية محصّنة ضدّ الأسئلة والحجج المشروعة. فمعرفة الجماعة أو الحركة أو الاتّحاد أو «القبيلة» الخاصة تُعتبر، بوعي أو بغير وعي، الأعلى أو

الأعمق، وتُسلَّم إلى كل جيل. الحرفية الكتابية عمى عن أن المرء نفسه يقف في تقليد تفسيري، له تكوينه الخاص، ومفكّروه الروّاد، وضغوط جماعته.

إن مبدأ الإصلاح «Sola Scriptura»، أي «الكتاب وحده»، ليس حرفية كتابية! فحين صاغ المصلحون أو خلفاؤهم مبادئ «وحده» (Solas)، لم يقصدوا الكتاب العاري أو المجرّد، بل أولوية الكتاب إلى جانب التقليد والخبرة والطبيعة. وحين أبرز البروتستانت وضوح الكتاب، لم يقصدوا أن الكتاب كلّه واضح بالقدر نفسه، بل أنه واضح حين يتعلّق الأمر بالإنجيل والخلاص. وحين أكّدوا كفاية الكتاب المقدس التامّة، لم يقصدوا أنه يكفي لتناول أمور تتجاوز السياق الكتابي، كجراحة القلب المفتوح، أو علاج الاضطراب ثنائي القطب، أو الاقتصاد الكلّي. قد يكون للكتاب المقدس قيم ومبادئ وأقوال تُسهم في هذه الأمور، لكنها لا تكفي لتناولها في مجملها.

وحين تكلّم البروتستانت عن سلطان الكتاب، قصدوا سلطان الروح القدس الذي يتكلّم في الكتاب المقدس. الروح الذي يُدخل المؤمنين إلى الحقّ ويُنيرهم، والذي يُعدّ المعلّمين للكنيسة ويهبهم لها، والذي يُحيي إقرار إيمانها وتراثها الليتورجي.

بوصفنا مسيحيين في القرن الحادي والعشرين نقف على أكتاف أسلافنا، كما وقفوا هم أيضًا على أكتاف أسلافهم. فالأمانة للكتاب المقدس وفهمه لا يحدثان أبدًا «في فراغ»، ولا أبدًا «على أرض محايدة». ومن الشروط الجيدة أن تُراعى هذه المعرفة في قراءة الكتاب المقدس، وفي دراسة الكلمة، وفي تكوين العقيدة ووصف ممارسة الحياة المسيحية.

إن الحرفية الكتابية الجامدة كثيرًا ما تقود إلى دوغمائية جامدة وإلى صرامة وضيق ناموسيين، حيث لا يكون الوضع واضحًا قاطعًا. وهذا لا يتّفق مع حرية الإنجيل والنعمة التي دُعي إليها المسيحيون.

أسمح لنفسي في هذا الموضع بالإشارة إلى أن المسيحيين الأمناء للكتاب المقدس أيضًا يعتبرون فعلًا كلمات من الكتاب المقدس غير مناسبة لزماننا، حين يتعلّق الأمر مثلًا بالمواهب الكاريزماتية (1 كورنثوس 12)، التي يعتقدون أنها لم تعد موجودة اليوم. لا نصّ كتابي يؤكّد هذه الفرضية. إنها استنتاجات، وكثيرًا ما تكون لاهوت خبرة صرفًا، لأنهم هم أنفسهم لا يختبرون هذه المواهب. وذلك مع أنها موجودة وفاعلة في أماكن كثيرة حول العالم، ويمكن مثلًا إثبات كثير من معجزات الشفاء. هذا اللاهوت تحدّده الافتراضات المسبقة والخبرات. وبعبارة أخرى: هم لا يأخذون هذه النصوص بحرفيّتها.

يوضّح الكتاب المقدس أسئلة كثيرة للجيل المسيحي الأول. أمّا أسئلة القرن الحادي والعشرين فلا يمكن توضيحها إلا بروح الكتاب. ويبقى هذا تحدّيًا تنشأ فيه أيضًا أجوبة مختلفة، وهي صعوبة ستبقى.

أُجريت مقابلة مع راين بوتمان (Rhyne Putman) عن كتابه الجديد «حين تقسم العقيدة شعب الله»[114]، فأدلى بهذا القول: «Sola Scriptura (الكتاب وحده) لا تعني ‹nuda Scriptura› (الكتاب العاري) ولا ‹solo Scriptura› (الكتاب فقط). ... أعتقد أننا نستطيع أن نقول suprema Scriptura (أولوية الكتاب) حين نتكلّم عن العلاقة بين الكتاب والمصادر الأخرى كالتقليد والعقل والخبرة وغيرها. فللكتاب الأولوية على المصادر الأخرى، لكن لهذه المصادر قيمة لتكويننا اللاهوتي والروحي. ومع ذلك فالكتاب وحده هو المصدر الموحى به والمعصوم. الكتاب وحده هو المعيار الذي يضع المعايير فوق هذه المصادر الأخرى.»

6.4.2 الأخذ بالحرف والمعنى الحرفي

إن فهم الكتاب المقدس، وتفسيره، ثم تطبيقه في ممارسة الحياة، أمر معقّد فعلًا. والمعنى الحرفي للنصّ والأخذ بالحرف ليسا شيئًا واحدًا. فالمعنى الحرفي يجب أن يُبحث عنه في كل نصّ كتابي. لكن أخذ كل شيء بحرفه سيقود إلى نتائج مثيرة للجدل، بل مضحكة.

إن البحث عن المعنى الحرفي يحدّد أولًا، في النتيجة، نوع النصّ (جنسه الأدبي). وفي الكتاب المقدس أنواع كثيرة منها: أمثال، ورسائل، ونصوص تعليمية، وشعر، وأدب رؤيوي، وشرائع، وتاريخ، ووعظ، وغير ذلك. ثم يُبحث عن قصد القول، بحسب نوع النصّ الذي ورد فيه. فالمَثَل له في الغالب قصد مركزي واحد، لا عدّة مقاصد في الوقت نفسه. وهو في العادة أيضًا ليس حادثة وقعت فعلًا.

يجب دائمًا شرح الكتاب المقدس كلّه أو تفسيره بحسب معناه الحرفي. أمّا ما ينبغي أن يُطبَّق منه حرفيًا في حياتنا، وكيف، فيجب أن يُفحص فحصًا جيدًا ودقيقًا. فكثير منه لا يمكن تطبيقه حرفيًا. وهذا يصحّ خاصةً على الممارسات المرتبطة بالثقافة والزمان.

خلاصة كلمتك حقّ، وإلى الأبد يدوم كل ناموس عدلك.

114. Putman, Rhyne R., When Doctrine Divides the People of God: An Evangelical Approach to Theological Diversity, Crossway, 2020

المزمور 119: 160 (Zürcher Bibel – ترجمة ألمانية للكتاب المقدس)

7 كاهنات وشيخات وشمّاسات

في جنّة الفردوس كان آدم وحواء، في براءتهما، ملوكًا يسودون، وكهنة يعيشون في حضرة الله. وجنّة عدن صورة لقدس الأقداس في الهيكل الكوني. وعدن الجديدة الأفضل، أي الأرض الجديدة، ستكون قدس أقداس عالميًا. فالأرض كلّها ستكون جنّة فردوس. ولذلك فإن أورشليم الجديدة، وهي صورة للخليقة الجديدة، على شكل مكعّب هائل. وهذا يطابق شكل قدس الأقداس نفسه في خيمة الاجتماع وفي الهيكل. ستكون الأرض الجديدة آهلة بنساء ورجال، بملوك وملكات، بكهنة وكاهنات. هل تعتقدون أنه ستكون هناك عندئذ تراتبية؟ يقول بعضهم: لا، لأنها الخليقة الجديدة. فالتراتبية، في نظرهم، لا تسري إلا على الخليقة القديمة. لكن الخليقة الجديدة قد بدأت في الكنيسة. فهي باكورتها. وهي رأس جسر الله في هذا العالم. فلماذا ينبغي مع ذلك أن تبقى في الكنيسة تراتبية دائمًا؟

أصل الآن إلى نقطة يجب فيها أن تصير كل المعارف السابقة ملموسة وعملية. ماذا نفعل الآن بكل المعلومات والاستنتاجات والدروس في الفصول السابقة؟ على الحقّ الآن أن يلمس أرض الواقع والحياة اليومية للكنائس. ومن كل ما سبق أستخلص زبدة القول:

لا توجد تراتبية بين الجنسين! ولا في الكنيسة أيضًا!

7.1 الكهنوت العامّ

لقد أعاد الإصلاح إلى النور هذه الحقيقة التي ظلّت مطمورة طويلًا. لكنها لم تنعكس في الممارسة الكنسية. لا أحد، ولا حتى الكنيسة الكاثوليكية[115]، يشكّ في الكهنوت

115. من التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية عن الرسامة الكهنوتية: «الرب يسوع اختار رجالًا ليؤلّف منهم هيئة الرسل الاثني عشر، وفعل الرسل كذلك حين اختاروا معاونين يخلفونهم في مهمّتهم. وهيئة الأساقفة، التي يتّحد بها الكهنة في الكهنوت، تجعل هيئة الاثني عشر حاضرة إلى أن يعود المسيح. والكنيسة تعرف أنها مرتبطة بهذا الاختيار الذي قام به الربّ نفسه. ولذلك لا يمكن رسامة النساء.» وبهذا المعنى لا يستطيع إلا الرجال أن يمثّلوا المسيح. وهذا الموقف أيضًا يقع اليوم تحت الضغط. ويبدو ملتبسًا ومتناقضًا أن النساء لا يمكن أن يكنّ كهنة، بينما تُدعى مريم، بوصفها والدة الإله، في التقوى الشعبية الكاثوليكية، وتُكرَّم كأنها مساوية لله تقريبًا. والكنيسة الكاثوليكية تحت الضغط، لأن كاثوليكيات كثيرات يسعين إلى دخول المنصب المرسوم. وحجّتهن هي الكهنوت العامّ لجميع المؤمنين. والتغييرات غير ممكنة من دون انفصالات/انقسامات كنسية، أو هي ممكنة فقط عن طريق المجامع. أمّا هل يقوم ذلك على دافع روحي أم دنيوي، فليس موضوعي. فتركيزي ليس على الكنيسة الكاثوليكية، بل على محيطي الإنجيلي المحافظ، الذي عليه أن يهتمّ بمشكلاته الخاصة.

العامّ للمؤمنين. والسؤال هو: ماذا تعني هذه الحقيقة التي يقرّ بها الجميع عمليًا لحياة الكنيسة؟

إن كون كل مؤمن، امرأة كان أو رجلًا، كاهنًا، ينبغي أن يكون سببًا كافيًا ليكون للجنسين الدور نفسه في العبادة. لكن الأمر بعيد عن ذلك. فالكهنوت العامّ يُعاش من جهة على نحو شخصي. فالصلاة والشركة مع الله بركة شخصية فردية.

إن نموذج الكهنوت كلّه، وما يرتبط به من خدمة الذبائح، يأتي من العهد القديم، حيث كان الكاهن يقود العبادة الرسمية ويمارسها. ولذلك من البديهي أن يُفكَّر في الكهنوت العامّ، لا في ذلك وحده بل فيه أيضًا، باجتماع المؤمنين الذين يدخلون معًا إلى المقدس السماوي ساجدين. ويقدّمون ذبائح روحية من التسبيح. فهل يمكن أو يجوز أن تكون هناك فروق بين الجنسين؟ إن كلمة الله لا تضع هذه الفروق في العهد الجديد. فلا ينبغي إذًا أن نضعها نحن أيضًا.

7.2 شيوخ وشيخات

في المشيخة يتعلّق الأمر بوظيفة قيادية. يتعلّق بالرعاية والإشراف وحماية الكنيسة. إنها خدمة رعوية فيها مهامّ تعليمية. وفيها التقدّم أمام الآخرين وكون المرء قدوة. فهل تستطيع النساء أيضًا أن يمارسن خدمة النظارة أو المشيخة؟

يلخّص بن ويذرينغتون (Ben Witherington) الأمر بدقّة: «أحيانًا يسمع المرء الحجّة القائلة إنه يُقال في 1 تيموثاوس إن الشيوخ يجب أن يكونوا رجال امرأة واحدة، أوفياء، وإن هذا يدلّ على أن الرجال وحدهم ينبغي أن يكونوا شيوخًا. وهنا يُنسى تمامًا أن بولس، بوصفه مرسَلًا، كان يتكلّم في محيط ثقافي أبوي بشدّة، سواء في أفسس أو في كريت. ومبدؤه أن يبدأ حيث يقف الناس، لا حيث يودّ أن يكونوا. وهذا يعني أن يبدأ بالبنية القيادية الذكورية القائمة في الثقافة، حتى تستطيع خميرة الإنجيل أن تؤتي مفعولها كاملًا وتغيّر الأمور من الداخل. فمن الطبيعي تمامًا إذًا أن يكون الرجال وحدهم هم الذين يعيّنهم تيموثاوس وتيطس أولًا قادةً لهذه الكنائس الجديدة الناشئة. وهذا لا يعني أن الأمر يجب أن يبقى هكذا إلى الأبد. لكن المؤمنين الجدد كان لا بدّ من إقناعهم، بعمل إقناع محبّ، بأن من المقبول أن تملأ النساء أيضًا مثل هذه الأدوار بالقدر نفسه. ويرى المرء كيف يبدأ بولس بالفعل في الدفع في هذا الاتجاه، إذ يذكر في رومية 16 قائدة اسمها فيبي، وهي شمّاسة الكنيسة التي في كنخريا. ومن المرجّح أن

هناك إشارة إلى شمّاسات في الرسائل الرعوية، في الحديث عن الشيوخ والشمامسة. وكما قلت سابقًا، لا يجب على المرء أن يقيّم ما يقوله بولس فحسب، بل أن يقرأه في سياقه الثقافي، وأن يسأل: أيّ نوع من التغييرات يحاول بولس أن يُحدثها حين يطبّق الإنجيل على الوضع؟»[116]

أمّا إقصاء النساء عن هذه الوظيفة فأقارنه بكلمة بولس هذه: [أفسس 5: 29] «فإنه لم يبغض أحد جسده قطّ، بل يقوته ويربّيه، كما المسيح أيضًا للكنيسة.» ليس بركةً للكنيسة أن نُقصي نحن الرجال النساءَ عن وظيفة الشيوخ. إنه أكثر من خسارة. فبسبب ذلك كثيرًا ما يصل الرجال الخطأ إلى دور لا يقدرون عليه (سواء عُيّنوا رسميًا شيوخًا أو كانوا مشاركين في «اجتماع الإخوة»): «إن الأحكام المسبقة المتعلّقة بالجنس هي في رأيي المسؤولة عن أننا لم نُقصِ نساءً موهوبات كثيرات عن القيادة فحسب؛ بل إنها فوق ذلك أهّلت رجالًا كثيرين ليسوا موهوبين بشكل خاص بوصفهم قادة.»[117]

بعض النساء، بدوافع جيدة أو أقلّ جودة، سيؤثّرن «من وراء الستار» عبر أزواجهن في مسائل القيادة. والأفضل أن تكون زوجات الشيوخ حاضرات في الاجتماعات الكثيرة، وأن يُقال كل هذا الضجيج الخلفي علنًا، وجهًا لوجه.

7.3 هي تبتغي عملًا صالحًا

لفت جيم رايهر (Jim Reiher) الانتباه إلى أمر في 1 تيموثاوس 2 و3: «يرى كثيرون في 3: 1 في المقام الأول البداية المنطقية لبقية الأصحاح 3، الذي يحتوي على مناقشة طويلة عن الشيوخ والشمامسة. لكنني أحتجّ بأنها في الحقيقة تنتمي إلى الأصحاح 2 خاتمةً له، بل أكثر من كونها مقدّمة للأصحاح 3. وهذا مهمّ للنساء في الكنيسة، لأنه يعني أن الآية 1 تشجّع الرجال والنساء على السواء على أن يصيروا شيوخًا/نُظّارًا. فإن كانت تختم الأصحاح 2، يرى المرء أن بولس يساند الجنسين كليهما في خدمة الله في وظائف قيادية، ما داما متمرّسين وناضجين في الإيمان. نعم، لقد فرض على النساء في كنيسة أفسس بعض القيود في الوقت الحاضر، لكنه لا يريد أن يُرى ذلك «نهاية المطاف». بل يضيف بوجه عامّ تمامًا أنه أمر حسن أن يسعى الرجال والنساء على السواء إلى أن يكونوا شيوخًا.

116. Ben Witherington III, Why Arguments against Women in Ministry Aren’t Biblical
117. Danny Silk

يوضّح بولس بجلاء أنه يريد أن تُعلَّم النساء تعليمًا صحيحًا (2: 11). وهذه الآية تحتوي، ومن اللافت للنظر، على صيغة الأمر الوحيدة في هذا المقطع: لتتعلّم. أي إن الآية 11 هي أقرب ما يكون إلى أمر من بولس: فهو يُصرّ على أن تُعلَّم النساء. إنها ذروة في تفكيره وكتابته. هذا هو في الحقيقة مفتاح هذه الفقرة: يريد بولس أن يُعلَّم جميع أعضاء الكنائس الإيمانَ تعليمًا صحيحًا. لا الرجال وحدهم، بل الرجال والنساء على السواء. وحين يتدرّبون تدريبًا صحيحًا وينضجون، تصير وظائف التعليم والقيادة متاحة للنساء والرجال على السواء.

ماذا لو كانت 1 تيموثاوس 3: 1 موجّهة إلى هؤلاء النساء؟ نصل عندئذ إلى الأصحاح 3 الآية 1. ماذا يقول النصّ هناك بالضبط؟ حسنًا، أمر واحد لا يقوله النصّ هناك هو أنه «أمر حسن أن يبتغي الرجال وحدهم أن يكونوا شيوخًا.» لا. قد تكون إشارة إلى الرجال وحدهم. لكن قد تكون أيضًا متعلّقة بالنساء وحدهن. أو، وهو المرجّح جدًّا، تتعلّق بالرجال والنساء على السواء. لقد قدّمت NIV (New International Version) هنا الترجمة الأفضل. يقول النصّ: «هذا قول صادق: ‹مَن يبتغي أن يكون ناظرًا، يشتهي عملًا صالحًا.›» (وهكذا أيضًا في كل الترجمات الألمانية التي أعرفها، حيث يمكن أن تعني «مَن» (Wer) رجالًا ونساءً على السواء.)

في الأصحاح 3 الآية 1 لا تُستعمل الكلمة اليونانية لـ«رجال» أو «رجل». ولا الكلمة المستقلّة لـ«هو». بل تُستعمل الكلمة اليونانية tis. وهذه الكلمة نفسها تُستعمل للرجال والنساء. وعلى نحو مشابه، فإن الكلمة المترجمة «هو أو هي يشتهي» هي جذر فعل لكلمة «يشتهي» مع اللاحقة المضافة التي تعني «هو، هي أو هو للمحايد» (er, sie oder es). والسياق هو الذي يجب أن يقرّر إلى مَن يعود هذا الفعل.

إذا وضعنا 1 تيموثاوس 3: 1 خاتمةً لـ 2: 8-15، تصير هذه الآية إشارة قويّة تؤكّد قيادة النساء في الكنيسة. ولأن الكلمات المستعملة، كما ذُكر، يمكن أن تعود إلى الرجال أو النساء، فمن الممكن أن 3: 1 تعني ببساطة: «إن كانت لدى امرأة رغبة في أن تكون ناظرة، فهذا أمر حسن تتمنّاه.» وهذا يعني أن بولس قد يكون يبلّغ شيئًا مثل: «رغم إصراري على أن النساء يجب أن يُعلَّمن أو أن يتعلّمن، وأنهن لا يستطعن أن يعلّمن أو أن تكون لهن سلطة إلى أن يصرن ناضجات وكفؤات – فإنه أمر حسن للمرأة إن تمنّت أن تكون شيخة.»

إذًا بدلًا من تقسيمات 1 تيموثاوس 2: 8-3: 14 التي نراها كثيرًا:

النساء والرجال في الكنيسة (2: 8-15). شيوخ ذكور (3: 1-7). شمامسة ذكور (3: 8-10). شمامسة إناث (أو زوجات الشمامسة) (3: 11). شمامسة ذكور مرة أخرى (3: 12-14).

هل ينبغي أن نفهم مسار فكر الرسالة على هذا النحو:

النساء والرجال في الكنيسة (2: 8-3: 1). الوضع الحاضر: مخاطبة القيادة الحالية بطريقة خاصة بكل جنس (3: 2-7). شمامسة ذكور (3: 8-10). شمامسة إناث (3: 11). شمامسة ذكور (3: 12-14).»

7.4 شمّاسات

لم تكن لكلمة شمّاس (diakonos) صيغة مؤنّثة. أمّا دياكونيسة (Diakonisse) فكلمة لم تظهر إلا بعد بضع مئات من السنين، ولم تعد لها أيضًا علاقة بالمناصب الكنسية أو بالخدمات في العبادة.

إلى جانب المشيخة يتولّى الشمامسة منصبًا في الكنيسة يتميّز بما هو الشمّاس: خادم. وأن النساء أيضًا يستطعن أن يتولّين هذا المنصب، أو الأفضل: أن يبذلن أنفسهن في هذه الخدمة وأن يُعرفن ويُقدَّرن ويُثبَّتن شمّاساتٍ، فهذا ما تُظهره رومية 16: 1. ففيبي شمّاسة. ولا نعرف كيف صارت كذلك. ربما لأن الكنيسة كانت في بيتها. وعلى أيّة حال، فإن تكرّسها في خدمة الكنيسة جعلها شمّاسة.

في 1 تيموثاوس 3: 11 من الممكن ألّا يكون الكلام عن زوجات الشمامسة، بل أن يكون المقصود شمامسة إناثًا:

كذلك النساء: ذوات وقار، غير ثالبات، صاحيات، أمينات في كل شيء.

حتى جون ماك آرثر (John MacArthur)، وهو من أنصار التراتبية المعروفين (تكاملي)، يؤيّد الشمامسة الإناث: «في 1 تيموثاوس 3: 11 يشير بولس إلى مجموعة منفصلة من الشمامسة. وتدلّ عدّة عوامل على أن بولس يتكلّم هنا عن مجموعة خاصة من الشمّاسات، لا عن زوجات الشمامسة. أولًا، استعمال ‹كذلك› (قارن 2: 9؛ 3: 8؛ تيطس 2: 3، 6) يرجّح بقوّة أن يُرى هنا، إلى جانب الشيوخ والشمامسة، مجموعة ثالثة. ثانيًا، لا يوجد ضمير ملكية ولا أداة تعريف واضحة تربط هؤلاء النساء بالشمامسة. ثالثًا، بما أن بولس لم يعطِ مؤهّلات لزوجات الشيوخ، فلماذا يفعل ذلك

لزوجات الشمامسة؟ رابعًا، لم يستعمل بولس كلمة ‹شمّاسات›، لأنه لم تكن في اللغة اليونانية كلمة كهذه. وتُسمّى فيبي في رومية 16: 1 ‹شمّاسًا›، لأنه لا توجد صيغة مؤنّثة لـ diakonos. ... إن استعمال مصطلح ‹نساء› (gunaikeios) كان الإمكانية الوحيدة لبولس ليميّزهن عن الشمامسة الذكور. وأخيرًا، مؤهّلاتهن تطابق مؤهّلات الشمامسة الذكور. من الواضح أن بولس أدخل فئة أخرى من الشمامسة. وأنا أفضّل أن أسمّيهن شمامسة إناثًا، لأن ذلك يحافظ على مصطلحات العهد الجديد.» [118]

أمّا أن تكون هنا مجموعة ثالثة من المناصب قد أُدخلت، فأمر يجوز الشكّ فيه. فإن «كذلك» يجعلهن مساويات للشمامسة الذكور! وهذا يبيّن مرة أخرى إلى أيّة استنتاجات يُضطرّ المرء تقريبًا، حين لا يستطيع الرجل والمرأة أن يتولّيا منصب الشمّاس هذا على قدم المساواة، لوجود فرق هرمي يكون فيه للرجل سلطة على المرأة.

أمّا ممّ تتكوّن خدمة الشمّاس فلا يُقال. ولا أستبعد أن يتولّى الشمّاس أيضًا مهامّ قيادية. وفي مسألة خدمة الشمامسة من حيث القيادة، فكرة أخرى: «يصحّ أمر مشابه حين يقارن المرء بين مؤهّلات الشيوخ والشمامسة في 1 تيموثاوس 3. يستنتج فيلفريد هاوبك (Wilfrid Haubeck) من تشابه القائمتين أن الشيوخ والشمامسة كانوا يقودون الكنيسة معًا، ما قد يعني بدوره أن فيبي (رومية 16: 1) كانت جزءًا من قيادة الكنيسة.» [119]

في رسالة كورنثوس لا يُتكلَّم عن الشيوخ أصلًا، بل عن مواهب قيادة يمكن أن تُعطى لكل عضو، امرأة كان أو رجلًا (12: 28؛ وكذلك رومية 12: 8: موهبة التدبير).

في 1 كورنثوس 12: 23 يدور الكلام عن أعضاء أقلّ كرامة. «بل بالأولى أعضاء الجسد التي تظهر أضعف هي ضرورية. وأعضاء الجسد التي نحسب أنها بلا كرامة نعطيها كرامة أفضل. والأعضاء القبيحة فينا لها جمال أفضل». أيمكن أن بولس يفكّر هنا في النساء والأولاد والعبيد؟

7.5 واعظات

في الغالب تكون العظة اليوم الجزء الرئيسي في العبادة في الكنائس الإنجيلية. كل شيء منظّم. وكثيرًا ما يكون موضوع العظة أو نصّها الكتابي معروفًا. أمّا في القرن الأول

118. MacArthur, J., Different by design, MacArthur Study Series, Victor Books, Wheaton, IL 1996, 153–154.
119. Wunderli، 48.

فكان الأمر مختلفًا. أقرب إلى ما يصفه بولس في 1 كورنثوس 11 و14.

[1 كورنثوس 14: 26] فما هو إذًا أيها الإخوة؟ متى اجتمعتم فكل واحد منكم له مزمور، له تعليم، له إعلان، له لسان، له ترجمة؛ فليكن كل شيء للبنيان.

كان كل واحد يأتي بشيء ويُسهم في أن يُبنى الجميع. منصّة أقلّ، وتبادل وشركة أكثر. وانتظار بعضهم لبعض أكثر، وروح الله أكثر. ومن اللافت أن العظة (Kerygma)، أو ما نفهمه اليوم بها وما صنعناه منها، لا تُذكر في هذا الاجتماع.

ولأنني أتيت من جماعة مغلقة من جماعات الإخوة، كان «حمضي النووي» مُشكَّلًا بحيث لا تشارك النساء، فضلًا عن أن يعظن. وفي وقت ما كنت زائرًا في كنيسة من الكنائس الإنجيلية الحرّة (FEG). وكانت امرأة تعظ. لم يكن ذلك آنذاك مقبولًا عندي، وكان يصعب عليّ احتماله. ومع ذلك أصغيت. ورغم تحفّظاتي اضطررت أن أعترف بأن هذه العظة كانت أعمق وأكثر حيوية من عظات كثيرة سمعتها في اجتماعاتي.

ربما كان «التنبّؤ» أو «النبوّة»، أي الكلام من قِبَل الله، هو ما نفهمه بالعظة. وبما أن هذا ينطبق على النساء بحسب 1 كورنثوس 11: 5، فإن خدمة الوعظ هذه أيضًا يجب أن تكون من نطاق مهامّهن في الكنيسة. فالله يريد الرجل والمرأة صوتًا له في الكنيسة. من دون صوت النساء ينقص الكنيسة ما أعدّه الله لها.

منذ مدّة سُئل اللاهوتي المعروف ن. ت. رايت (N. T. Wright) عن رأيه في الواعظات. «إن التصوّر الشائع بأن النساء في العالم القديم كنّ مضطهَدات، وأن النسوية لم ترفعهن من جديد إلا في الآونة الأخيرة، خاطئ تمامًا»، يحتجّ رايت. وقال اللاهوتي، الذي نشر مؤخّرًا كتابًا بعنوان العهد الجديد في عالمه، إن النساء اللواتي كانت لهن سلطة ما في الكنيسة والمجتمع لم يكنّ رجسًا في العالم القديم. «كانت هناك نساء مستقلّات كثيرات في عالم بولس، وكان هذا أمرًا يعمل بولس معه.»

في يوحنا 20، حين يُقام يسوع من الأموات، أول شخص يلتقيه هو مريم المجدلية. «إنه لا يقول: يا مريم، عندي خبر مهمّ حقًّا – أريدك أن تأتيني ببطرس، لأنني يجب أن أخبره، لكي يذهب هو بعد ذلك ويخبر جميع الآخرين»، يشرح رايت. بل «يقول: يا مريم، اذهبي وقولي لإخوتي – للرجال الذين يختبئون في البيت لأنهم خائفون – اذهبي وقولي لهم إنني صاعد إلى أبي وأبيكم ...». إن الخبر بأن يسوع المصلوب أُقيم من الأموات وأنه الآن ربّ العالم هو «أساس كل خدمة مسيحية»، يقول رايت. وإذا سلّم يسوع هذا

الخبر إلى مريم بدلًا من أحد تلاميذه الذكور، فذلك «ثورة تكاد تكون بحجم القيامة نفسها».

والمثال الآخر الذي يستند إليه رايت ليجيب عن سؤال هل يجوز للنساء أن يعظن أم لا، موجود في رومية 16. يقول رايت إن الرسالة إلى أهل رومية «على الأرجح أهمّ رسالة كُتبت على الإطلاق». وكون بولس ائتمن على هذه الرسالة الأهمّ فيبي، التي كانت شمّاسة في الكنيسة في كنخريا قرب كورنثوس، أمر بالغ الدلالة، إذا نُظر إلى سياق الحقبة الزمنية والثقافة. «في العالم القديم، الشخص الذي يحمل الرسالة هو الشخص الذي سيقرأها على السامعين». كانت فيبي «على الأرجح سيّدة أعمال مستقلّة» تسافر إلى روما لأعمالها، يشرح رايت. ثم إن هناك احتمالًا كبيرًا أن فيبي شرحت أيضًا ما قصده بولس حين كانت لدى الناس أسئلة عن الرسالة. بل إنه «من المرجّح جدًّا أن أول نسخة على الإطلاق من رسالة بولس إلى أهل رومية حملتها سيّدة أعمال مسيحية من الميناء الشرقي لكورنثوس»، قال رايت. «كان بولس يستطيع بسهولة أن يختار رجلًا لذلك»، أوضح. لكنه بدلًا من ذلك اختار فيبي عن قصد.

7.6 خلاصة

أختم بضمير مستيقظ: كيف استطعت يومًا أن أتبنّى صورة أبوية عن المرأة، في ضوء مجمل الشهادة الكتابية؟ وفي ضوء ما صنعه الله بواسطة النساء في القرنين الأخيرين من الإرسالية العالمية؟ نساء بذلن كل شيء، ووعظن، وعلّمن، وقدن، وبشّرن؟ يا له من ازدراء لطبيعة الله أن تُبعَد النساء عن أيّة خدمة!

هناك معلومات موثوقة بأن أكثر من 70% من الكنائس البيتية في الصين، التي يزيد عددها حاليًا كثيرًا على 100,000، تقودها نساء. ومن فهم يسوع، ومن فهم بولس، لا يتعجّب من ذلك. لن أقبل بعد اليوم أبدًا احتقار الفلسفة اليونانية للنساء، ولا التمييز التهويدي ضد النساء، وبالأحرى لا التمييز الكنسي ضد النساء، ولن أحتمله في نطاق مسؤوليتي.

ليس «المساوون» بين الرجل والمرأة هم الذين يفكّرون ويتصرّفون بطريقة دنيوية. بل الذين يأمرون النساء بالصمت، وبألّا يعلّمن ولا يقدن، وألّا يقمن بأيّة خدمة علنية. إن كل المناصب والخدمات والوظائف، العلنية منها وغير العلنية، هي بحسب الشهادة

الكتابية حقّ للنساء والرجال بلا فرق. فلنساعدهن نحن الرجال على أن ينمين خطوة خطوة في هذه الخدمات. كما ساعدنا الآخرون نحن أيضًا!

8 «واحد في المسيح»: غلاطية 3: 28

لا توجد كلمة في الكتاب المقدس تُقتبَس ويُحتفى بها بهذه الكثرة حين يدور الكلام على أدوار الجنسين. يُقال إنها «يُهلَّل لها بوصفها الماغنا كارتا (الوثيقة العظمى) للنسوية المسيحية (الإنجيلية)».[120] وهذا هو المقطع كاملًا، وينطبق عليه، كما على كل نصّ، أنه يجب أن يُشرَح في ترابطه، أي في سياقه:

> [غلاطية 3: 23-29، مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية] ولكن قبلما جاء الإيمان كنّا محروسين تحت الناموس، مُغلَقًا علينا إلى الإيمان العتيد أن يُعلَن. إذًا قد كان الناموس مؤدِّبنا إلى المسيح، لكي نتبرّر بالإيمان. ولكن بعدما جاء الإيمان لسنا بعدُ تحت مؤدِّب؛ لأنكم جميعًا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. لأن كلّكم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح. ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حرّ، ليس ذكر وأنثى؛ لأنكم جميعًا واحد في المسيح يسوع. فإن كنتم للمسيح، فأنتم إذًا نسل إبراهيم، وحسب الموعد ورثة.

ما الخلفية، وما المشكلة في غلاطية؟ باختصار ما يلي: كان أهل غلاطية قد قبلوا بفرح الإنجيل الذي بشّرهم به بولس. لقد اعتمدوا للمسيح، واختبروا حضور الله بقوّة في الروح القدس. ثم جاء معلّمون يهود، متهوّدون – كما كان بولس نفسه يومًا واحدًا منهم –، وحاولوا أن يُدخلوا إضافات على الإنجيل: على الأمم الذين آمنوا بالمسيح أن يُختَتنوا جميعًا. لكي يصيروا يهودًا مؤمنين بالمسيح. لكي يصيروا هكذا أبناء إبراهيم (الذي كان هو أيضًا مختونًا، ونال ذلك من الله علامةً للعهد). لكي يدخلوا العهد بالختان ويصيروا ورثة. لا توجد رسالة أخرى يستعمل فيها بولس كلمات بهذه الحدّة ضدّ هؤلاء المتهوّدين ومطالبهم. لأنهم كانوا يحرّفون الإنجيل، الذي لا يطلب أعمال الناموس، بل الإيمان.

8.1 ماذا يقول النصّ

والمقطع المقتبَس، لا الآية 28 وحدها، هو ذروة في دحض هؤلاء المتهوّدين. إنه كلمة حقيقية من الله، يُلمَس فيها قلب الله، وعنايته التي لا تُقاس، وإرادته الجامحة

120. Strauch، 122

للخلاص في المسيح. التبرير بالإيمان جزء من صميم بلاغ هذه الرسالة. بكلمات أخرى: مُبرَّؤون، كأننا لم نخطئ قطّ!

كان الناموس لزمن محدود مجرّد مؤدِّب، يُقصَد به أن يساعد على طلب المسيح وقبوله. بالإيمان صار الجميع أبناء الله! الجميع، الرجال والنساء أيضًا. في ثقافة ذلك الزمان لم يكن للنساء دور علني. كنّ منعزلات، لا يرثن، وتحت وصاية الأب أو الابن الأكبر حتى الزواج. ثم يصرن ملكًا لأزواجهن. هنا يرفع بولس النساء إلى مقام البنوّة! ليس الأمر أمر ذكر أو أنثى، بل أمر المكانة المفضَّلة، الامتياز الرفيع للبنوّة. والنموذج لهذا المقام لا يُستمَدّ فقط من أوضاع عائلية ثقافية واجتماعية مرتبطة بزمانها. فهذه البنوّة نموذجها بنوّة ابن الله نفسه. الجميع مقبولون ومرفوعون إلى مقام الأبناء. وفي لغتنا اليوم فقط يحقّ لنا أن نقول أيضًا: إلى مقام البنات.

أما بالنسبة إلى المسيحيات في السياق الثقافي لذلك الزمان، فلم يكن أن يُدعَين «بنات الله» ليكون مكسبًا. فبوصفهنّ «بنات» كنّ آنذاك سيبقين خاضعات لـ«إخوتهنّ» في الكنيسة. لكن حين يعلن بولس أن جميع المؤمنين أبناء الله، فإنه يمنح النساء المقام نفسه الذي للرجال. لذلك يختم منطقيًا بقوله «جميعكم واحد» (بصيغة المذكّر، لا «شيء واحد»!)، لأن الجميع «في المسيح» هم أبناء الله، والنساء المؤمنات أيضًا. في ظروف ذلك الزمان لم يكن هذا «التحوّل الخلاصي في الجنس» عند النساء معاديًا للمرأة، بل كان بداية شيء جديد. وإن كانت النساء أيضًا «أبناء الله»، فهل لذلك عواقب على دورهنّ في الكنيسة؟

جميع أبناء الله وبناته قد لبسوا المسيح بمعمودية الماء. فيهم، في كل واحد ممّن ذُكروا في الآية 28، يُرى المسيح الآن. بلا تمييز. وهذا يسري بلا استثناء وبغضّ النظر عن العِرق أو المكانة الاجتماعية أو الجنس. وكان في وسع بولس أن يذكر أمثلة أخرى على ما يفرّق، ليوضّح أن أحدًا، لأيّ سبب كان، ولا سيّما لسبب لا يد له فيه، ليس مستبعَدًا من عمل الله الخلاصي. هذا الخلاص العظيم يجعل الجميع نسل إبراهيم، ومن ثَمّ ورثة، بالمسيح، نسل إبراهيم. مولودين بطريقة روحية في الخليقة الجديدة. وهذا يجعل قرابة الدم والختان بلا معنى.

في المسيح الجميع متساوون. مرفوعون بالتساوي إلى البنوّة وإلى الميراث. رسالة هائلة، انقلابية، لم يُسمَع بمثلها من قبل، آتية مباشرة من السماء. حتى الختان يسقط بوصفه مدخلًا إلى العهد. امتياز الختان الذكوري انتهى عند الصليب وصار إلى الأبد من

الماضي. لم يعد على النساء أبدًا أن يشغلهنّ السؤال: كيف يمكن أن يُعبَّر عن انتمائهنّ إلى العهد وأن يُثبَّت؟ المعمودية الآن هي رمز الخلاص الجديد للجميع.

8.2 ما لا يقوله النصّ مباشرة

لا تدور كلمة بولس هذه في المقام الأول حول فهم دور الرجل والمرأة (فهو يقول ذكر وأنثى إشارةً إلى تكوين 1: 27). النصّ لا يُلغي الفروق في هذه الأزواج الثلاثة. فهي تبقى قائمة في العالم. القوميات تبقى، والعبد لا يصير حرًّا حين يؤمن بالمسيح، والجنسان لا يذوب أحدهما في الآخر. الرجل يبقى رجلًا والمرأة تبقى امرأة. إن صيرورتنا واحدًا وصيرورتنا متساوين تتعلّقان بالخلاص في المسيح. بالعلاقة مع الآب وبالمكان في جسد المسيح. لا بالخليقة المنظورة ولا بالأُطر الاجتماعية. ولا بنظام الخليقة. وهذا ما يؤكّده بشكل خاص ودائم أنصار التكاملية، أي الخضوع الهرمي للمرأة. وأنا أيضًا، الذي سيصفني شتراوخ (Strauch) وجونسون الابن (Johnson jun.) بأنني «نسويّ إنجيلي»[121]، لا أتّخذ كلمة بولس هذه حجّةً رئيسية في دفاعي عن المساواة في المرتبة. فهذا ليس موضوع بولس في هذا الموضع.

8.3 ما يقوله النصّ مع ذلك بطريقة غير مباشرة

ومع ذلك ففي هذه الكلمة قول يمسّ الجنسين بشكل ملموس. فهي تقف في سلسلة التعليل والحجج نفسها التي بدأت بالتكوين 1. في الآية 28 ما هو أكثر من مجرّد تعداد مقارن يبيّن أن الجميع يشتركون في الخلاص بالتساوي. إنه خلاص لا يشمل غفران الخطايا فحسب، بل خلاص ينقذ منذ الآن من الخراب، من الإفلاس والانكسار اللذين أصابا الخليقة الساقطة والبشرية. في الأزواج الثلاثة كلّها يُلمَّح ضمنيًا إلى توتّر، إلى شيء يفرّق. وإلّا لما استشهد بها بولس. وعلى خلفية زمان بولس وثقافة ذلك العصر وطريقة الحياة فيه، يُشار إلى ما ليس كما ينبغي أن يكون في نظر الخالق. وفي هذا التوتّر، في عدم المساواة في هذه الأزواج، تعمل الآن نعمة الله بروحه الصالح شافيةً، مصالِحةً، ومُعيدةً.

121. على الأرجح ليس لهذا المصطلح في الولايات المتحدة وقعٌ سلبي كما في ألمانيا. فأنا لن أصف مؤيّدًا لخضوع المرأة بأنه «ذكوريّ مسيحي». النسوية تمثّل مركّبًا كبيرًا، حركة متعدّدة الطبقات بكل أنواع التطرّف الممكنة. حركة أحدثت الخير، وما هو أقلّ خيرًا، وأحدثت أيضًا، مثل أيّ حركة أخرى، الشرّ. ألاحظ في هذه الحركة قلبًا للهيمنة، وهو ما يعني الانتقال من تطرّف وخطأ إلى التطرّف والخطأ المقابل. أنا لا أدافع عن النسوية، بل عن الصورة الكتابية الكاملة للرجل والمرأة. والاتّهامات المستمرّة بالتأثّر بهذه الحركة أو بتأييدها بشكل غير مباشر ليست نافعة.

وحتى لو لم يكن هذا الجانب في الواجهة آنذاك، فهو بالتأكيد كذلك اليوم، ومن منظور ألفي سنة من تاريخ الكنيسة والثقافة. كلمة الله لا يحدّها زمان، وتستطيع أن تصنع جديدًا في كل جيل وكل قرن.

8.3.1 يهودي ويوناني

هذا التمييز يرسم الفصل بين أمم عابدي الأوثان وإسرائيل، شعب الإله الواحد الحقيقي. وهو يُظهر نعمة الله على شعب صغير وغير ذي شأن آنذاك. ويُفرِده. هم وحدهم شعب الله الخاصّ من بين جميع الشعوب. لكن هذا انتهى. هذا الفصل صار من الماضي. الخلاص للجميع. الجميع يصيرون أبناء الله.

يبدأ بولس عمدًا بهذا التمييز، لأن المتهوّدين كانوا يضغطون على الأمم المؤمنين ليُختَتنوا، فيصيروا بذلك يهودًا ويدخلوا عهد إبراهيم.

الأمم مثل اليهود سيحتفظون بقومياتهم حتى في عالم الله الجديد الأبدي. لا أحد يستطيع أن يخلع عنه قوميته. لكن بالخلاص في المسيح تُرفَع كل الظواهر المرافقة السلبية والخاطئة، كل الظواهر المدمّرة الناشئة عن اختلاف الشعوب وكثيرًا ما عن عداوتها. ويجب أن يُعاش هذا في الكنيسة وفي ملكوت الله. ليقبل بعضنا بعضًا كما قبلنا المسيح.

8.3.2 عبد وحرّ

يا لها من رسالة تفوق الإدراك للعبيد، الذين كانوا ملكًا لأسيادهم كالسلعة. في المسيح صاروا الآن إخوة، متساوين في القيمة والكرامة أمام وجه الله. لكن العبودية تعبير عن بشرية ساقطة. لم تكن قطّ مشيئة الله. لأنها لا تتّفق مع كرامة الإنسان القائمة على كونه على صورة الله. الإنسان ليس أبدًا ملكًا لإنسان آخر، تحت الإكراه والعنف.

لعلّ رسالة بولس الصغيرة إلى فليمون موجودة في قانون العهد الجديد لهذا السبب، لأن عبدًا، أُنسيمُس (Onesimus)، وعبدًا هاربًا فوق ذلك، يُكرَّم فيها من بولس أخًا وعاملًا معه. لكنه يترك لفليمون، مالكه المؤمن، أن يقرّر كيف سيعامل العبد حين يعود إلى بيته. باختصار، بولس لا يحارب العبودية مباشرة. فهذه الحرب كانت آنذاك خاسرة قبل أن تبدأ. لكن النضال ضدّ العبودية بدأ بطريقة غير مباشرة. فبتعليم المسيح، بالإنجيل، صار العبد الآن إنسانًا كامل القيمة يجب احترامه بهذه الصفة.

الإنجيل هو الضربة القاضية لكل عبودية. الإنجيل هو السبب في إلغائها، وللأسف بعد تأخّر كبير جدًّا.

وهنا أيضًا لا يمكن التغاضي عن أن الإنجيل يأتي بالحرية. حتى من العبودية الحرفية (لا من العبودية الروحية فقط). في الخليقة الجديدة لن يكون هناك عبيد بعدُ. في الكنيسة وفي ملكوت الله، ثمرة الإنجيل، قد بدأت هذه الخليقة الجديدة بالفعل. وأثر الإنجيل في الداخل وفي الخارج قائم على علاقة متبادلة. فهما متلازمان لا محالة.

في الكنيسة العبد ومالك العبيد متساويان. الفرق الهرمي جزء من العالم الساقط. والأمر نفسه يصدق على الفرق بين الرجل والمرأة، الذي لم يعد ساريًا في الكنيسة، في الخليقة الجديدة.

8.3.3 معلومات عن العبودية

حركة إلغاء العبودية (الأبوليشنية، من الإنجليزية abolition، ومن اللاتينية abolitio «إلغاء»، «إبطال») تعني حركةً تهدف إلى إلغاء العبودية. وقد تغذّت من قناعات مسيحية ومن قناعات عصر التنوير على السواء، فتحقّق ذلك في عدد متزايد من البلدان الغربية، بدءًا من البرتغال عام 1761 وحتى البرازيل عام 1888. ومنذ عام 1808 أخذت بريطانيا العظمى دورًا رائدًا في مكافحة العبودية. وكان ويليام ويلبرفورس (William Wilberforce) (1759-1833) برلمانيًا بريطانيًا وقائدًا في النضال ضدّ العبودية وتجارة الرقيق. وكان من المهمّ في إنجلترا أن الرأي القائل إن فهم الإنسان بوصفه ابنًا لله لا يتّفق مع العبودية قد ساد في حركة التقوى وفي الإرسالية الإنجيلية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وفي الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة استمرّ استغلال العبيد في المزارع والحقول الكبرى. ولأن الولايات الشمالية طالبت بإلغاء العبودية في البلاد كلّها، اندلعت الحرب في البلاد عام 1861 (الحرب الأهلية). وفي النهاية انتصرت الولايات الشمالية، وهكذا أُلغيت العبودية في الولايات المتحدة كلّها بالتعديل الثالث عشر للدستور في ديسمبر/كانون الأول 1865.

كان الأوروبيون، أوروبا المسيحية، هم الذين حوّلوا العبودية إلى تجارة على نطاق واسع. وهذا أمر مروّع في أوروبا المسيحية في ضوء تعليم يسوع. وكذلك أن الأمر استغرق كل هذا الوقت وكان طريقًا بهذه الصعوبة حتى أُلغيت. واليوم ما زال الاتّجار بالبشر قائمًا. وضحاياه هنا هم الأطفال والنساء خاصّةً. ومن يعرف الإنجيل ويحبّه ينبغي أن يقف ضدّه حيث يستطيع.

8.3.4 رجل وامرأة

والآن إلى آخر الأمثلة الثلاثة، وهو الأوثق صلةً بالموضوع. وهنا يصدق ما صدق على المثالين السابقين. لقد أخلّ السقوط بتوازن العلاقة بين الرجل والمرأة. جعل الرجل نفسه الأقوى، الحاكم. وفي العالم كلّه، بدءًا من آدم حتى اليوم، استولى الرجل ظلمًا على السلطة على المرأة، ويمارسها بتمييز.

كيف يأتي الإنجيل بالشفاء إلى هذه العلاقة؟ بقلوب جديدة، بمحبة مستعدّة للتضحية ومنكرة للذات. بالخضوع المتبادل، والأمانة والاحترام بقوّة الروح القدس. حين يدرك الرجال أن زوجاتهم نظير مقابل، لا تنجح حياتهم بدونه كما يريد الله؛ برجال لا يُصرّون على الخضوع، بل يقفون في محبة منكرة للذات إلى جانب زوجاتهم، ويجاهدون من أجلهنّ ويحمونهنّ، ويشاركونهنّ حياتهم. وبنساء يخضعن طوعًا لمثل هؤلاء الرجال ويتبعنهم. والعكس بالعكس. يستطيع الإنجيل أن يحرّر علاقات الزواج تحريرًا كاملًا، بحيث يكمّل الرجل والمرأة أحدهما الآخر: جسديًا ونفسيًا وروحيًا.

من المهمّ للغاية أن نفكّر في كلمة بولس هذه إلى أبعد من حصرها في خلاص النفس وحصرها في وحدة عائلة الله. لماذا يستقيم زواج محطّم ومتصدّع من جديد حين يؤمن الاثنان بالإنجيل؟ لأن الله لا يخلق «قلوبًا نقية» فحسب، بل «قلوبًا جديدة» أيضًا. لأن الصورة القديمة الدنيوية الأبوية للرجل والمرأة تجد نهايتها في الصليب، تمامًا كالعبودية وتفرُّد اليهود بالمكانة.

ولم يحارب بولس آنذاك أيضًا هذا الفهم الساقط الأبوي للأدوار حربًا مباشرة. لكنه حاربه بطريقة غير مباشرة، وهكذا بفعالية على المدى البعيد. أمّا أن تظلّ هذه الصورة عن الرجل والمرأة راسخة بعناد حتى في المسيحية، فهو عار لا يملك المرء إلا أن يخجل منه.

8.3.5 أرضي وروحي؟

يرى كارل-هاينز فيبر (Karl-Heinz Weber) أن «نظام الخليقة» لا ينتهي إلا في الخليقة الجديدة. فالكون في المسيح، بحسب رأيه، لا يساوي المكانة الأرضية للإنسان المؤمن على الأرض. وهذا يصدق على كل مجالات العمل. وأيضًا على الاجتماعات، حيث تصمت الأخوات بحسب نظام الخليقة.[122]

أولًا يُطرَح السؤال: لماذا ينبغي أن ينتهي «نظام الخليقة» في الخليقة الجديدة؟ فالخليقة الجديدة بالذات سيكون لها نظام خليقة مبارك، غير مضطرب، وكامل. أي ذلك الذي كان قبل السقوط. نظام الخليقة ونظام الخلاص في المسيح لا يمكن أن يتناقضا. فنظام الخلاص يعيد نظام الخليقة الأصلي. وفيه الرجل والمرأة متساويان في المرتبة. للإنجيل عواقب شافية وفعّالة اجتماعيًا. أولًا بالتأكيد في الكنيسة، أي أولًا بين المؤمنين. إنها تغييرات بعيدة المدى، إيجابية، وانقلابية. إنه قوّة للخلاص، تستطيع أن تحلّ بنى خاطئة عمرها آلاف السنين، وأن تغيّر ثقافات وأممًا بأكملها وتنقذها.

إنها ثنائية غير كتابية أن نفصل الوجود الأرضي عن الإنجيل. ليس الإنجيل إنجيلًا اجتماعيًا، لكنه رسالة فعّالة ذات اتّجاه عمودي لا يمكن إيقافه في العلاقة مع الله. لكنها في الوقت نفسه ذات أثر أفقي بين الناس أيضًا. الإنجيل ذو صلة بالخلاص وبالثقافة. صحيح أن هناك توتّرًا بين «منذ الآن» و«ليس بعدُ». لكن يجب أن يُطلَق «منذ الآن» حرًّا وأن يُتاح له أن يحرّر، لكي يتمكّن من بسط أثره الكامل في هذه الحياة.

ويحتجّ أنستي (Anstey) بطريقة مماثلة: «هناك تعبيران يميّزان هذين الأمرين: «في المسيح» (غلاطية 3: 28) و«في الاجتماعات» (1 كورنثوس 14: 34).» فالأوّل يسري في السماء، والآخر على الأرض. ولا يسع المرء إزاء ذلك إلا أن يقرّر أننا «في المسيح» إلى الأبد وفي كل مكان، وفي الاجتماعات أيضًا. وكل قول آخر يضع خلاصنا موضع الشكّ، ويناقض الكتاب ببساطة.

8.3.6 ليس ذكر وأنثى

«إن جدّية الرسول في ما يخصّ «تذكير» النساء بفعل الخلاص تظهر في دعمه الثابت لإكليسيولوجيا (تعليم عن الكنيسة) محايدة جندريًا، تفضي إلى ممارسة كنسية تسمح للجميع، دون اعتبار للمكانة الاجتماعية أو الأصل العرقي-الديني أو الجنس، بأن يتولّوا من حيث المبدأ أيّ وظيفة في الكنيسة. المعيار الوحيد هو الأهلية، التي يفهمها بولس بوصفها موهبة من الروح القدس (1 كورنثوس 12). ... والمثير للاهتمام أنه في فئة الجندر لا يُقال إنه لم يعد هناك رجال ونساء. بل يُستعمَل التعبيران «ذكر» و«أنثى». وهذا يوحي بأن الأمر ... لم يكن إلغاء الانتماء الجنسي للأفراد، بل إذابة البعد الجندري للوظائف الكنسية.

ومعنى ذلك عمليًا: التنبّؤ ليس ذكوريًا ولا أنثويًا. قيادة الكنيسة ليست ذكورية ولا أنثوية. التكلّم بألسنة ليس ذكوريًا ولا أنثويًا. ... أن يُرسَل المرء من المسيح للتبشير

ليس ذكوريًا ولا أنثويًا. الوعظ ليس ذكوريًا والخدمة ليست أنثوية، إلخ. لذلك توجد في الكنائس البولسية شمّاسات مثل فيبي (رومية 16: 1)، ورسولات مثل يونيا (رومية 16: 7)، إلخ.

وأن الإكليسيولوجيا المسيحية الأولى غير الجندرية لم تكن ... محصورة، تُظهره الكنيسة في روما. فقد نشأت مستقلّةً عن بولس، وكان لهيئة من النساء فيها على ما يبدو دور بارز. ويذكر بولس مريم (رومية 16: 6)، وتريفينا وتريفوسا وبرسيس (رومية 16: 12).»[123]

ويصوغ مارتن (Martyn) في تفسيره: «لأنكم جميعًا واحد في المسيح يسوع. فالتناقضات الدينية والاجتماعية والجنسية لا تُستبدَل بالمساواة، بل بوحدة مخلوقة من جديد. في المسيح (في ما سيسمّيه بولس لاحقًا «جسد المسيح»، 1 كورنثوس 12: 13، 27) جُعل أشخاص كانوا يهودًا وأشخاص كانوا وثنيين وحدةً جديدة، متماهيةً مع المسيح نفسه تماهيًا جذريًا إلى حدّ أن بولس يستعمل صيغة المذكّر لكلمة «واحد». أعضاء الكنيسة ليسوا شيئًا واحدًا؛ إنهم شخص واحد، أُدخِل في جسم الإنسان الجديد الواحد.

ومن رسائل بولس الأخرى نعلم أن الرسول كان يدرك أنه حتى في الكنيسة، رأس جسر خليقة الله الجديدة، كانت لا تزال هناك بعض علامات الإقصاء الجنسي والاجتماعي (مثلًا 1 كورنثوس 7؛ فليمون). ولذلك كان عليه لاحقًا أن يفكّر بجدّية في التوتّر بين تأكيد الوحدة الحقيقية في المسيح والاستمرار المقلق للسمات المميّزة للخليقة القديمة.» [124]

8.4 ملخّص وخلاصة

بكلمات مايكل بيرد (Michael Bird) ألخّص هذا الفصل: «لا يريد بولس أن يلمّح إلى أن الجنس يتوقّف عن الوجود بالنسبة إلى المسيحيين، كأن الله لا ينظر إلى الناس إلا من الرقبة فما فوق، فيمحو بذلك الفرق الجسدي بين الرجال والنساء. الولادة الثانية لا تعني أننا سنسعى يومًا إلى أحادية الجنس ونستطيع استعمال دورات المياه نفسها في

123. Kügler, Joachim; Paulus und die prophetischen Frauen in Korinth, Zur Gender-Politik des Apostels (1Kor 11,2-16; Gal 3,26-28)

124. Martyn, J. L., Galatians: A New Translation with Introduction and Commentary, 33A, Anchor Yale Bible, New Haven; London 2008، ص. 377.

الكنيسة. ولا يقول بولس أيضًا إن هذا التعليم يسري فقط على الخلاص أو على الأمور الروحية. ما يريد بولس قوله هو أن الخليقة الجديدة تعني إلغاء الفوارق التي فصلت الناس بعضهم عن بعض في الماضي.

لم يكن محاوروه الأساسيون هنا نسويات أو أنصار التراتبية، بل مسيحيين يهودًا أرادوا أن يحافظوا على امتيازات هويتهم العرقية. بالنسبة إلى بولس لا يكون المرء أقرب إلى عرش الله بعِرقه ولا بطبقته ولا بجنسه. أراد الله أن يخلق عائلة واحدة، لا عائلتين أو أكثر، وعائلة إبراهيم لها أولاد من جميع الأمم، أغنياء وفقراء، ذكور وإناث. وهذا يؤكّد مبدأ المساواة في الإنجيل، الذي بموجبه لا يستطيع أحد أن يفتخر بأن له الصلة المباشرة بالله، ولا أن يُنسَب إليه أنه أفضل أو أنفع من أيّ إنسان آخر. وبينما يتركّز المضمون الأساسي لغلاطية 3: 27-28 على السوتيريولوجيا (الخلاص)، يجب أن نتذكّر أنه مرتبط أيضًا بالإكليسيولوجيا (الكنيسة، الجماعة) وبالبنيوماتولوجيا (الروح القدس). فالأمر هنا لا يتعلّق بالمساواة أمام الله فحسب، بل بالوحدة داخل الكنيسة، التي خُلقت بروابط المعمودية وخُتمت بعطيّة الروح القدس.»[125]

بعد موازنة جوانب وتفاصيل كثيرة، تكون كلمة الكتاب هذه حجّةً قوية، حجّةً إلهية، لدور مساوٍ في المرتبة للمرأة المؤمنة في الزواج والكنيسة. في نور حقيقة الفداء هذه، البسيطة والعميقة معًا، يجب أن تُفسَّر جميع النصوص الأخرى التي تتكلّم عن العلاقة بين الرجل والمرأة، وعن دور المرأة في الزواج وفي الكنيسة أيضًا. ولنعُد إلى البداية: نعم، كلمة بولس هذه تعادل ماغنا كارتا.

125. Bird، 37.

9 الله الآب والابن والروح القدس

يُقدَّم الله في الكتاب المقدس بصيغة المذكّر. هو الآب. وابنه يسوع، مخلّص العالم، رجل. وهو يختار 12 رجلًا أتباعًا له. لا نساء. جميع أسفار الكتاب المقدس كتبها رجال. ولم يكن كهنةً في العهد القديم إلا الرجال. أليس هذا كلّه مجتمعًا بليغًا بما يكفي للدلالة على أن للرجل، مقارنةً بالمرأة، موقع سلطة أعلى ووظيفة قيادية؟ إن هذا القدر من الذكورة لا يمرّ بنا دون أن يترك أثرًا. فعلى أيّ حال، للإدراك اللاواعي لمسألة هل الله ذكر أم لا أثرٌ ما في تفكيرنا، وفي صورتنا عن أنفسنا وصورتنا عن الله. وعلى الأرجح يختلف هذا الأثر عند الرجال عنه عند النساء، كما أظنّ.

«هذا الإبراز للشخصيات الذكورية وللصور واللغة الذكورية في الكتاب المقدس وفي الكنيسة وصفه جون بايبر (John Piper) بأنه «إحساس ذكوري» في الإيمان المسيحي. ومن جهةٍ ما يصعب إنكار ذلك. لكن السؤال المطروح هو: هل هذا انعكاس لنظام أراده الله، أم أن رسالةً أخرى منسوجة في هذه الرسالة التي تبدو واضحة؟ هل إبراز الروايات المتمركزة حول الذكر[126] والأبوية في الكتاب المقدس تأييدٌ صريح للبنى الأبوية في الكنيسة والعائلة والمجتمع؟ أم أن في النصوص إشارات أخرى تقودنا إلى استنتاج أن الكتاب المقدس يكسر هذه البنى الأبوية ويقدّم للرجال والنساء جوانب بديلة للعلاقة؟»[127]

يعلن الله نفسه في يسوع. هو صورة الله. هو رسم جوهره. هو الإعلان الأخير والكامل والأعمق عن الله، في حياته وفي موته على الصليب. لكن قبل أن يأتي يسوع كان في وسعنا أن نعرف الكثير عن الله. فالكتاب يعلن منذ ذلك الحين من هو الله وكيف هو. ويسوع يُتمّ هذه الصورة إلى الكمال.

حين يعلن الله نفسه في رجل من القرن الأول، في يهودي، في حِرَفيّ بنّاء أعزب، فإنني أدرك في الوقت نفسه أن الله، الأزلي، الآخر كليًّا، هو أكثر ممّا أمكن رؤيته في يسوع. فهو نفسه، ابن الله، لا نستطيع حتى أن نفهمه فهمًا كاملًا. معرفتنا جزئية. ويستنتج

126. يُقصَد بالتمركز حول الذكر (الأندروسنترية) نظرةٌ تجعل الرجال مركزًا ومقياسًا ومعيارًا. ويمكن فهم التمركز حول الذكر بوصفه تعلّقًا اجتماعيًا بالرجل أو بـ«الذكوري». ويكيبيديا

127. Peppiatt, Rediscovering Scripture's Vision for Women: Fresh Perspectives on Disputed Texts

ماكفارلاند (McFarland): «لذلك يجب أن نحرص على أن نصوّر يسوع بطريقة لا يُختزَل فيها اللوغوس [الكلمة]، الآتي في الجسد، إلى الجسد.»

الله روح (يوحنا 4: 24). الله إله مثلّث الأقانيم. هاتان الحقيقتان من حقائق جوهر الله لا ينبغي أن تتراجعا إلى الخلفية. حتى وإن وُصف الله في العهد القديم بطريقة ذكورية، أبًا أو محاربًا أو ملكًا. وهو الذي يشعر ويتصرّف أحيانًا كإنسان. فالمسمّاة «الصور المجسِّمة[128] لله» تُظهر عمل الله ومشاعره في تشبيهات ومقارنات بشرية. إلى أيّ حدّ تقترب هذه الصور من حقيقة الله؟ الله، بوصفه ثلاثة في واحد، بوصفه روحًا وبلا بداية، لا يُدرَك بالنسبة إلينا. وحين يأتي إلينا ويصير واحدًا منّا، رجلًا، فليس معنى ذلك أن الله رجل، بل أنه يعلن نفسه هكذا. ليس لله جسد مثلنا، ولذلك ليس له أيضًا جنس.

9.1 هل الله ذكر؟

يعلن الله نفسه أبًا. هل يكشف ذلك عن جنسه؟ لا، لكنه يكشف عن شيء أهمّ بكثير: إنه شخص، وهو إله العلاقة والمودّة والشركة. هذا الإله، الذي يُوصَف لنا بصور بشرية، يتكلّم، ويسمع، ويحذّر، ويحمي، ويقوّي، ويعمل، ويقطع العهود، ويعطي المواعيد، وفوق كل شيء يحبّ بمحبة مستعدّة للتضحية لا تنطفئ. هو لا يتغيّر، لكن له مشاعر عميقة. ومع أنه لا يُسبَر غوره، فإن له على الأقلّ، بمقدار لا نعرفه، كلّ القدرات التي لنا نحن البشر، نساءً ورجالًا. والصور البشرية تحاول أن تصف من لا يوصَف. والكثير منها بلغة ذكورية. لكن هناك صورًا أنثوية لا تُحصى لله، تُبرز جانبه الأنثوي وتمجّده. سأذكر بعضها، دون أن أنسى أن الله ليس امرأة أيضًا. ومرة أخرى: ليس له جنس. الصور الأنثوية عن الله تُظهر ما صار جسدًا في عدن: الرجل والمرأة هما صورة الله، ويعكسان في وجودهما وفي جنسهما كيان الله، الذي ليس له جنس.

إن وصف الله بقواعد لغوية مذكّرة هو أيضًا، لا فقط، حدٌّ من حدود اللغة. فلو لم يُوصَف الله في الألمانية وفي لغات أخرى كثيرة لا بالمذكّر ولا بالمؤنّث، لما بقي سوى الضمير المحايد «es» (ضمير لغير العاقل، لا مذكّر ولا مؤنّث). وهذا يكون غير شخصي ولا يؤدّي إلى الغاية. والأمر نفسه يصدق على لغات الكتاب المقدس الأصلية. فمثلًا الكلمة اليونانية للروح، pneuma، محايدة. أما الكلمة العبرية ruach فمؤنّثة. ولا يمكن

128. التجسيم (الأنثروبومورفية، من اليونانية ἄνθρωπος anthrōpos «إنسان» وμορφή morphē «شكل، هيئة») يعني نسبة صفات بشرية إلى الحيوانات والآلهة وقوى الطبيعة وما شابه (الأنسنة). ويمكن أن تظهر الصفات البشرية فى الهيئة وفى السلوك على السواء. ويكيبيديا

التعبير عن ذلك بالألمانية، لكن يمكن، حين نتكلّم عن روح الله، أن نتكلّم عن «هي» أو «لها» «Geistin»)، أي «الروح» بصيغة المؤنّث). لكن هذا أيضًا لا يستطيع أن ينسب إلى الأقانيم الإلهية جنسًا. سيلفت ذلك انتباهنا، وعلى الأرجح سيربكنا، لأننا ببساطة معتادون على الضمائر الشخصية المذكّرة ولا نعرف غيرها. فسؤال جنس الله لا يمكن حسمه باللغة، لا بلغة الكتاب المقدس ولا باللغة الحديثة.

لا توجد في العهد القديم ولا في العهد الجديد أيّ إشارة ملموسة إلى جنس الله. ويجب إبراز ذلك لأن آلهة الشرق القديم والعصور القديمة كانت ذكورًا وإناثًا عن قصد. كانت دورة الحياة تُحفَظ حيّة بالجنس. وكانت الخصوبة مثال الآلهة الإناث. وكانت الجنسانية المحور الذي تدور حوله العبادات. أمّا يهوه، إله إسرائيل، فليس كذلك. فهو لا يُدعى ذكرًا ولا أنثى. في الإيمان اليهودي، كما في المسيحي، لا تنتمي الجنسانية إلى إيقاع كوني أبدي. الجنسانية مخلوقة. لها بداية وستكون لها نهاية.

«ومع ذلك يعلن الله نفسه في الكتاب بوصفه «الله أبو ربنا يسوع المسيح» (أفسس 1: 3) لا بوصفه «أمًّا». ولا يقدّم الله نفسه أيضًا مركّبًا من أب وأم، كأنه يجسّد «الذكورة» و«الأنوثة». فمفهوما «الذكورة» و«الأنوثة» مرتبطان ارتباطًا لا ينفكّ بالفروق الجنسية بين الجنسين. والجنسانية وأجناسها لا تكون مبادئ روحية أبدية إلا في علم كونيات وثني.»[129]

وإن لم يكن لله جنس، ومع ذلك يُوصَف بأنه أب، فلا يمكن ببساطة تغيير الصور واللغة ووضع «أم» مكانها. فهذا يعني استبدال خطأ – أي فهم الله كائنًا ذكرًا – بخطأ آخر. وهذا ما يحدث في Bibel in gerechter Sprache («الكتاب المقدس بلغة عادلة»، ترجمة ألمانية للكتاب المقدس)، حيث يُترجَم «بحياد جندري».[130]

ومع أن الله يُصوَّر بصور ذكورية أكثر بكثير من الصور الأنثوية، فلا يمكن أن يُستنتَج من ذلك شيء عن الجنس. وأن تكون الصور الذكورية أكثر إجمالًا وأن تُستعمَل لغة ذكورية، قد يرتبط أيضًا بأن زمن نشوء الأسفار الكتابية كان زمنًا أبويًا. فالكتاب المقدس أيضًا يجب أن يُقرأ قراءة تاريخية، دون أن يُنزَع عنه بذلك ما له من أهمية وسلطان لليوم.

129. R.K. McGregor Wright

130. انتقد فولفغانغ هوبر (Wolfgang Huber): «أن كل ترجمة تتضمّن دائمًا تفسيرًا أيضًا، يُقلَب هنا رأسًا على عقب: فالتفسير يُقدَّم على أنه ترجمة. وهذه مخالفة لمبدأ الكتاب المقدس الذي نادى به الإصلاح. العدالة موضوع مركزي في الكتاب المقدس. لكن لا يمكن، من منظور العدالة، تحريف نصّ كتابي بحيث يُكتَب مثلًا «رسولات ورسل» حيث يُقصَد بوضوح اثنا عشر رجلًا، فينشأ لدى القارئ انطباع بأنه كانت في هذه الدائرة نساء أيضًا.» وبيتر هانه (Peter Hahne): «يؤلم الصحفيَّ اللوثري في صميم نفسه أن يسخر منه زملاؤه المتشكّكون، لا بسبب إيمانه بالقيامة، بل بسبب هذا الكتاب المقدس الخاصّ ذي النزعة الطائفية، المولود من روح نسوية أصولية.» ويكيبيديا، عن Bibel in gerechter Sprache

9.2 لا تصنع لك تمثالًا

هذه الوصية من الوصايا العشر (خروج 20: 4) تمسّ سؤال جنس الله، حتى قبل أن يعلن نفسه في يسوع. فتحريم الصور يستبعد أن يكون لله جنس، تمامًا كحقيقة أن الله روح. والأمران مرتبطان ارتباطًا مباشرًا. ولا يمكن أيضًا أن يُستنتَج جنس، لا ذكوري ولا أنثوي، من قول الله الشهير عن نفسه: سأكون مَن سأكون (خروج 3: 14). واستنتاج جنس أنثوي هو قصد بعض تيّارات اللاهوت النسوي.

«في الكتاب المقدس كثيرًا ما يُتكلَّم عن الله بوصفه إلوهيم (Elohim). إنها صيغة جمع لا مفرد لها (plurale tantum)[131] – تعبير نحوي يريد أن يُنصف بالذات كثرة الصفات الإلهية – التي ليست ذكورية ولا أنثوية. فإنه في كل زمان ومكان، وفي مواقف لا متناهية التنوّع من الضيق والألم، ولكن أيضًا من الفرح والشكر، تتراءى لنا صور كثيرة لله.»[132]

9.3 صور أنثوية لله

أذكر هنا أمثلة على الطريقة التي يصف بها الكتاب الجانب الأنثوي لله:

الأم التي ترضع أولادها وهي مسؤولة عن رعايتهم (عدد 11: 12): «ألعلّي حبلتُ بجميع هذا الشعب، أو لعلّي ولدتُه، حتى تقول لي احمله في حضنك كما يحمل المربّي الرضيع، إلى الأرض التي حلفتَ لآبائه؟»

الأم التي ولدت بني إسرائيل (تثنية 32: 18): «الصخر الذي أنجبك أهملتَه، ونسيتَ الله الذي ولدك.»

المرأة في المخاض، التي يكون نفَسها القويّ صورةً للقدرة الإلهية (إشعياء 42: 14). «قد صمتُّ منذ زمن طويل، سكتُّ، تجلّدتُ. كالوالدة أتنفّس بعمق، أنفخ وألهث معًا.»

131. الجمع الذي لا مفرد له (plurale tantum)، أو كلمة الجمع، هو اسم لا يُستعمَل إلا بصيغة الجمع (أمثلة ألمانية: Ferien «العطلة»، Kosten «التكاليف»، Leute «الناس»).
132. Lapide, Pinchas, Ist die Bibel richtig übersetzt, Gütersloh, 2004، 202

الأم التي تلد إسرائيل وتحميه (إشعياء 46: 3): «اسمعوا لي يا بيت يعقوب وكل بقية بيت إسرائيل، المحمَّلين عليّ من البطن، المحمولين من الرحم!»

الأم التي لا تنسى الطفل الذي ترضعه (إشعياء 49: 14-15): «هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساكِ.»

أمّ تعزّي أولادها (إشعياء 66: 13): «على الأيدي تُحمَلون وعلى الركبتين تُدلَّلون. كإنسان تعزّيه أمّه هكذا أعزّيكم أنا.»

أمّ تدعو صغارها، وتعلّمهم، وتحملهم، وتشفيهم، وتطعمهم (هوشع 11: 1-4).

وتوجد صور أخرى للأم في مزمور 131: 2؛ أيوب 38: 8، 29؛ أمثال 8: 22-25؛ 1 بطرس 2: 2-3؛ أعمال 17: 28.

وبطريقة مماثلة يصف الكتاب المقدس المواضع التي نجد فيها الله موصوفًا بالنسبة إلى النشاط الثقافي أو الاجتماعي للنساء:

خيّاطة تصنع الثياب لإسرائيل (نحميا 9: 21).

قابلة تحضر ولادة (مزمور 22: 9-10؛ 71: 6؛ إشعياء 66: 9).

امرأة ذات سلطة تتطلّع إليها جاريتها (مزمور 123: 2)؛ امرأة تعجن الخميرة لتصنع منها خبزًا (لوقا 13: 20-21).

ويتكلّم الكتاب عن الله أيضًا مستعملًا صور أنثى الطير أو أنثى الحيوان: الله يعمل مثل أنثى الطير التي تحمي صغارها (مزمور 17: 8؛ 36: 7؛ 57: 1؛ 91: 1، 4؛ إشعياء 31: 5؛ تثنية 32: 11-12)، ومثل النسر (تثنية 32: 11-12؛ خروج 19: 4؛ أيوب 39: 27-30)، ومثل الدجاجة (متى 23: 37؛ لوقا 13: 34؛ قارن راعوث 2: 12)، ومثل الدبّة الأم (هوشع 13: 8).

ومن أكثر الإشارات إثارةً للإعجاب إلى الأنثوي في ما يتعلّق بطبيعة الله تصويرُ الحكمة امرأةً في أمثال 1: 20-33؛ 8: 1–9: 12.

9.4 الآب والابن

قبل أن يأتي يسوع لم يكن في الإمكان معرفة أن الله «واحد في ثلاثة». ولا أن الله أبٌ لابنه بالمعنى الذي عُرف بيسوع. فحين صار الكلمة جسدًا فقط أعلن الله نفسه أبًا في ابنه. لكنه ليس أبًا أنجب ابنه من امرأة. فالآب والابن والروح كلّهم أزليون، بلا بداية. وهذه اللغة تبيّن العلاقة التي يقف فيها الأقنوم الأول والأقنوم الثاني من اللاهوت أحدهما تجاه الآخر. وهي تبيّن العلاقة التي يُسمَح للبشر أن يقفوا فيها مع الله. لكن حتى هذه الحقيقة لا تجعل الآب الأزلي والابن الأزلي من جنس ذكوري.

أدرك أن هذه الأسئلة نادرًا ما يُفكَّر فيها، إن فُكِّر فيها أصلًا، بهذه الصورة. وفي إطار هذا الكتاب أرى أن من الضروري التطرّق إلى هذا الموضوع. لكن مع الوعي بأنني سأصطدم سريعًا بحدود.

9.5 خضوع الابن الأزلي؟

في هذا الكتاب أحتجّ بأن الخضوع الهرمي للمرأة هو دائمًا نتيجة السقوط، ولم يكن مقصودًا في الخليقة الأصلية غير الساقطة. ويصدق ذلك أيضًا حين تدعو كلمة الله النساء إلى الخضوع. غير أن ذلك يجب أن يُفهَم في سياق أوضاع العالم القديم. وقد وصفت ذلك بالتفصيل.

منذ بضعة عقود نشأ في التيار الإنجيلي المحافظ في الولايات المتحدة تعليمٌ كان يمكن أن يدحض حجّتي السابقة، لو كان يطابق النصوص الكتابية. يتعلّق الأمر بالإله الواحد المثلّث الأقانيم، وبكيفية ارتباط الآب والابن والروح القدس بعضهم ببعض. ويتضمّن هذا التعليم، بكلمات قليلة، أن أقانيم اللاهوت الثلاثة متساوون في الجوهر والمجد. في كيانهم (الأنطولوجيا) هم متساوون. لكنهم يتّخذون أدوارًا مختلفة في علاقة بعضهم ببعض وبالخليقة. وهكذا يكون الابن، بحسب هذا التعليم، خاضعًا للآب «منذ البدء»، والروح خاضعًا للآب والابن. وفي تجسّد المسيح، في اتّضاعه الطوعي، يظهر ما كانت عليه العلاقة منذ الأزل.

تسألون أنفسكم ما علاقة هذا بموضوع هذا الكتاب؟ علاقة كبيرة جدًّا. لأن هذه «التراتبية الأزلية» يُراد لها أن تكون نموذجًا لأدوار الرجل والمرأة. وبناءً على ذلك تُرى

منذ الخليقة غير الساقطة مساواة واضحة في القيمة، لكن أيضًا توزيع مختلف للأدوار، يكون فيه الرجل الرأس القائد والحاكم، الذي تخضع له المرأة. وهكذا، بحسب هذا التعليم، صُمِّم الرجل والمرأة في الخليقة، مع العواقب المعروفة على الزواج والكنيسة والمجتمع.

لم أعرف هذه الفكرة في الفكر والأدب المسيحيين الناطقين بالألمانية. لكن مع كتاب العقائد الإصلاحي المطوَّل لواين غرودم (Wayne Grudem) وصلت هذه الفكرة بكل عواقبها إلى ألمانيا أيضًا منذ عام 2013: «هنا في الزواج، كما أن للآب في الثالوث سلطانًا على الابن، كذلك للزوج السلطان على زوجته. دور الزوج موازٍ لدور الله الآب، ودور الزوجة موازٍ لدور الله الابن. وفضلًا عن ذلك، كما أن الآب والابن متساويان في الألوهية والأهمية والشخصية، كذلك الزوج والزوجة متساويان في إنسانيتهما وأهميتهما وشخصيتهما.»[133]

وهكذا تُستبعَد في هذا الكتاب العقائدي، إن صحّ التعبير «بثقل أزلي»، أي بالاستناد إلى اللاهوت، جميع النساء من خدمات القيادة مثل المشيخة وخدمة الوعظ. وتيّارات مُصلَحة أحدث في ألمانيا تعمل بنشاط وبحماسة شبه تبشيرية من أجل هذا التعليم.

ومع أن هذا الاستبعاد طبع تاريخ الكنيسة للأسف، لا منذ البداية، لكن على الأقلّ 1700 سنة، فإن هذه الحجّة لم تُطرَح قطّ.

هذا التعليم الحديث نسبيًا لا يمكن مناقشته في هذا الإطار. إنما أقدّم بعض المحفّزات على التفكير، ولن أبني نظرتي الشاملة على هذا التعليم. وبذلك أبقى عند نقطة انطلاقي في التكوين 1 و2، التي في نورها شرحت في هذا الكتاب النصوص الكتابية ذات الصلة في العهد الجديد.

ولو كان هذا الخضوع الأزلي للابن قائمًا، لا منذ تجسّده فقط، لما تحدّد بذلك تلقائيًا دور الرجل والمرأة. فسيكون تشبيهًا، مقارنةً، لا ضرورة. أمّا أن الابن بوصفه إنسانًا قد أخضع نفسه للآب، فلن يشكّ فيه أحد. لكن المهمّ للموضوع يبقى أن خضوع الابن، لا الأزلي المحتمل ولا الزمني، لم يُتَّخذ قطّ نموذجًا لوصف العلاقة بين الرجل والمرأة وأدوارهما بوجه عام أو في الزواج. أمّا مثال اتّضاع يسوع فيُشدَّد عليه طبعًا كثيرًا، لكن دائمًا لجميع التلاميذ، دون أيّ تشديد على الجنس.

133. GRUDEM, W., Biblische Dogmatik: Eine Einführung in die Systematische Theologie, XXIX, Theologisches Lehr- und Studienmaterial des Martin Bucer Seminars, VKW; arche-medien, Bonn; Hamburg 2013، 284–285.

استغرق الأمر بضعة قرون حتى نشأ في المسيحية قانون إيمان أو تعليم عن الله، وغالبًا ردًّا على تعاليم خاطئة. وهكذا كان أثناسيوس (Athanasius) (القرن الرابع) هو الذي طبع تعليم الثالوث وصاغه ودافع عنه بشكل بارز. وحتى اليوم هو عقيدة مسيحية لا خلاف عليها.

ويبدو لي عجيبًا أن يُصاغ في النقاش حول دور الرجل والمرأة تعليمٌ كهذا، فيُثبَّت به دور المرأة التابع. ولا يزول عندي الشكّ في أن «الذيل هنا هو الذي يهزّ الكلب». بكلمات أخرى: أيّ تعليم ثقيل الوزن عن الله يجب أن يُسخَّر لمسألة أدوار الجنسين هذه؟ وما ينبغي تثبيته هو أن هذا كلّه كان مجهولًا وقت خلق الإنسان، ولم يكن ممكنًا معرفته إلا بمجيء الابن. فـ«صورة الله» لم يكن في وسعها أن تتضمّن هذه المعرفة في عدن بعدُ.

وأرى أن مثل هذا التحديد، الذي يجرؤ على قول بعيد المدى إلى حدّ هائل عن اللاهوت، أمرٌ مثير للقلق. وحتى إن وُجدت قرائن على مثل هذه الاستنتاجات، فإنني أفتقد إشارات واضحة لهذا الافتراض. وهناك أيضًا قرائن على العكس.

ملاحظة لاحقة في الطبعة الرابعة: لقد سُحب هذا التعليم في هذه الأثناء بسبب الاعتراض الشديد من جهات كثيرة.



9.6 يسوع وتلاميذه الاثنا عشر

كان يسوع معروفًا في النبوّات مسيّا وملكًا، ابنًا للإنسان. رجلًا. وقد تمّت هذه الكلمات في الرجل الذي من الناصرة. ويقارنه بولس، كما في عائلة أبوية، بآدم، بوصفه رأس الخليقة الجديدة.

يؤكّد ألكسندر شتراوخ (Alexander Strauch) أن يسوع كان لا بدّ أن يكون رجلًا. ويمكن الموافقة على ذلك، أمّا أن يُستنتَج منه تفوّق الجنس الذكوري، كما يفعل هو، فأمرٌ مضلّل ببساطة.[134] لقد صار في المقام الأول إنسانًا – الكلمة صار جسدًا، لا رجلًا!

134. Strauch، ص. 42-44

وشروحه وجميع ممثّلي هذا الفكر مثالٌ على الطريقة التي نجحت بها الفلسفة اليونانية حتى اليوم في التسلّل إلى كنيسة الله. وذلك تحت عباءة التقوى.

الشخصيات الذكورية تؤدّي وظائف أو أدوارًا رمزية ونمطية (تيبولوجية) في تاريخ خلاص الله. ولا يتعلّق الأمر بإبراز الجنس الذكوري، حتى عندما ينشأ هذا الانطباع مرة بعد مرة. وأنا أميّز في عمل يسوع بين الوظيفة في تاريخ الخلاص ووظيفة الخلاص. فالأولى تفترض أنه كان رجلًا. أمّا لصنع الخلاص فلم يكن للجنس أيّ أهمية. بكلمات أخرى، وبتعبير حادّ: كان يمكن لامرأة أيضًا أن تصنع الخلاص على الصليب.

اختار يسوع 12 تلميذًا، كلّهم رجال. وكان هذا طبيعيًا في ثقافة ذلك الزمان التي هيمن عليها الرجال. لكن بوصفهم ممثّلين لأسباط إسرائيل الاثني عشر كان لا بدّ أن يكونوا رجالًا. «اختار يسوع رسلًا ذكورًا للسبب نفسه الذي اختار من أجله اثني عشر رسولًا يهوديًا. وبقدر ما يمثّل أتباع يسوع إسرائيل الجديد، يمثّل رسل يسوع الاثنا عشر تيبولوجيًا أسباط إسرائيل الاثني عشر، ولا سيّما رؤساء الآباء الاثني عشر (أبناء يعقوب)، الذين تنحدر منهم أمّة إسرائيل. ويشير ويت (Witt) إلى أن الرسل الاثني عشر الذكور يمنحون تاريخ إسرائيل استمرارية وتحقيقًا تيبولوجيين. «كان يجب أن يكون الاثنا عشر رجالًا يهودًا أحرارًا، لا عبيدًا ولا نساءً ولا أمميين، ليؤدّوا الوظيفة الرمزية لدورهم التيبولوجي».»

دُعي 12 رجلًا من يسوع. ومن يحتجّ بأنه لا يجوز أن يكونوا إلا رجالًا، فلا يجوز له أيضًا أن يأخذ في الاعتبار إلا رجالًا جليليين أو يهودًا. فالوضع التاريخي والنبوي والثقافي، لكن الفريد، اقتضى أن يكون تلاميذه رجالًا، يهودًا. لذلك لا يمكن أبدًا أن يكون هذا خطًّا توجيهيًا أو قاعدة لكنيسة يسوع المسيح العالمية، التي تُخلَق من جميع الشعوب.

والعدد اثنا عشر لا يذكّر بصفّ مدرسي فيه 12 تلميذًا، بل يشير أيضًا إلى الطابع الشامل لحركة المسيّا، التي لا تترك أحدًا وراءها، والتي كانت النساء أيضًا جزءًا منها. واللافت أن الاثني عشر لا يُسمَّون رجالًا قطّ. ففي اتّباع يسوع كان الجميع متعلّمين، الجميع تلاميذ. وفي حضرة يسوع لم يكن مكان لتبجّح الرجال تجاه النساء.

والتمركز حول الذكر، أي الإدراك وطريقة الكلام الذكوريان في الغالب في الكتاب المقدس، لا يحدث قطعًا على حساب النساء. فهنّ لا يُؤخَّرن بسببه.

لقد قدّر الرجل يسوع النساء واحترمهنّ بطريقة غير مألوفة وجذرية. فقد أعاد إلى النساء كرامتهنّ. ويكتب ريتشارد بوكهام (Richard Bauckham) عن النساء عند قبر يسوع:

إن الله يفضّل النساء بوصفهنّ متلقّيات للإعلان، ومن ثَمّ ناقلات لهذا الإعلان إلى الرجال. أليس هذا جزءًا من الانقلاب الأخروي في المكانة، الذي يجعل فيه الله الآخِر أوّلًا والأوّل آخِرًا، لكي لا يفتخر أحد أمام الله؟

9.7 الخلاصة

«يجب أن يكون استنتاجنا أنه لا توجد أسباب كتابية لتأثير مهيمن لتصوّرات الذكورة والأنوثة على فهمنا للطبيعة الجوهرية لكيان الله. الله «هو» لأن الله شخصي، وهو أبونا لأن الله يتصرّف كأب محبّ. إنه ليس ذكرًا ولا أنثى، ولا مزيجًا من الاثنين. تصوّرات إله ذي جنس محدّد خاصّة بكثير من التصوّرات الوثنية، لكنها غائبة عن مسيحية كتابية.»[135]

الرجال، والنساء كذلك، يتماهون عند قراءة الكتاب المقدس مع رجال مثل إبراهيم وموسى وداود وإيليا. فهل نتماهى نحن الرجال أيضًا بالقدر نفسه مع نساء مثل دبورة وراحاب وراعوث أو مريم؟ لنقرأ الكتاب المقدس وقصصه مرةً عن وعي من منظور النساء. لنقرأ قصص النساء عن وعي، ولننقلها إلى الشبيبة وفي عظاتنا.

135. المرجع نفسه.

10 اعترافي بذنبي

مجموع إساءات الرجال منّا إلى النساء كبير. وغالبًا مع الاعتقاد بأننا أمناء لله ولكلمته. والأمر يتعلّق بما هو أكثر بكثير من موقف لاهوتي مختلَف فيه. أمّا أنا شخصيًا فأرى نفسي مدعوًّا إلى اعتراف بالخطية، صريح ولا يرحم نفسه في الوقت ذاته. التوبة فرصة لحياة جديدة ولنهضة. ورجائي أن يتّحد كثير من الإخوة في الربّ مع هذا الاعتراف، وأن يصل إلى آذان الأخوات في المسيح وقلوبهنّ، لفرح الله.

يا الله، يا يهوه إلوهيم، خالق الرجل والمرأة، اغفر لي أنني فكّرت وطالبت وتصرّفت كأن المرأة ليست مساويةً في المرتبة، بل أدنى مرتبة. لا نظيرًا مقابلًا، بل درجةً تحتي.

أيها الربّ يسوع، اغفر لي أنني ظننت أن على النساء أن يصمتن وأن يتوارين عن الحياة العامة.

اغفر لي أنني ظننت أنك تريد ألّا يُسمَح لهنّ بأن يعلّمن عنك وعن حقّك علنًا.

أعترف لزوجتي، ولأمّي، ولأخواتي بالجسد، ولكل صديقاتي في الربّ، ولكل العاملات معي في ملكوت الله، ولكل الأخوات اللواتي جلست معهنّ في ساعات الاجتماعات التي لا تُحصى، بأنني نظرت إليكنّ نظرة هرمية تحت سلطة الرجل!

سامحنني على هذا الموقف الخاطئ، الذي ظننت أنه إلهي وكتابي!

سامحننا على أننا ناقشنا وحسمنا نقاشات ومسائل مهمّة من دونكنّ. لم نطلب مشورتكنّ! عشنا في عالمنا الخاصّ، كأنه الوحيد أو الأهمّ.

أعترف بأننا نحن الرجال قد أخفقنا. كنّا كثيرًا، ومن دون أن ننتبه، رجالًا أنانيين متسلّطين مميِّزين، نتباهى بالرجولة وندّعي أننا نعرف أفضل.

عُميانًا عن أنفسنا. عُميانًا عنكنّ أيتها النساء وعن دعواتكنّ ومواهبكنّ. ولذلك عُميانًا في هذا الأمر أيضًا عن الله، خالقكنّ.

سامحننا حيث كنّا جبناء، فدفعناكنّ إلى الأمام واتّكلنا عليكنّ، حيث كان ينبغي أن نقف وقفة الرجال ونتقدّم، وكنتنّ تنتظرن ذلك منّا بحقّ.

سامحننا على لامبالاتنا بما كان صعبًا عليكنّ وما لم تفهمنه قطّ. لم نسألكنّ قطّ كيف تشعرن إزاء ذلك.

سامحننا على أننا لم نسألكنّ عن شعوركنّ إزاء هذه المواقف والتعاليم المميِّزة.

نحن آسفون. لقد أخطأنا.

كنّ حرّات! اخدمن الربّ بفرح!

لا تعتدن الوضع القائم! انهضن!

وحتى إن كان تغيّر التقاليد يحتاج إلى وقت، فنحن نريد أن نبدأ الآن، وألّا نتمهّل بعد اليوم.

سنساندكنّ – كما فعلتنّ أنتنّ دائمًا، رغم كل ما فعلناه.

كيف يمكننا أن نُصلح ذلك؟

صليب يسوع المسيح هو الملجأ الوحيد للخاطئ، حيث يستطيع أن يختبر الغفران والتحرير. وهو أيضًا للمسيحي المكان الروحي الذي يستطيع فيه أن يتيقّن من غفرانه. المكان الذي حمل فيه يهوه إلوهيم نفسه خطايانا في جسده على الخشبة. وحيث يلتقي الخطاة ويعلن بعضهم لبعض الغفران.



حين ينير الروح القدس قلوبنا وضمائرنا، ويكون الاعتراف بالخطية ضروريًا والتوبة هي الخطوة التالية الوحيدة، فإن هذا، أمام وجه الصليب، هو المكان الذي يلتقي فيه الرجال والنساء. للغفران المتبادل والمصالحة، للحرية والشفاء.

«ليس طريقًا سهلًا أن ننتقل من طريقة تفكير أبوية إلى طريقة تفكير منصفة للمرأة. فذلك يتطلّب أن نعيد تصوّر كل ما ظننّا أننا نفهمه عن عالمنا وطريقة عمله، وعن إيماننا وعلاقتنا بالله، وببعضنا بعضًا، وبكوننا. إنه تحوّل صعب بقدر ما كان صعبًا على أسلافنا أن ينتقلوا من فهم للكون يجعل الأرض مركزه إلى فهم يجعل الشمس مركزه. فالعلماء الأوائل الذين اقترحوا أن الأرض تدور حول الشمس، لا العكس، قُطعوا من شركة الكنيسة، لأنه ساد الاعتقاد بأن ذلك يشكّل تهديدًا لقدرة الله! وبطريقة مماثلة يصعب جدًّا التحرّر من نظرة أبوية إلى العالم، يُقبَل فيها أمرًا طبيعيًا أن يهيمن الرجال على النساء، وأن ينظّم الرجال الأنظمة والمؤسسات ويقودوها. والنظرة المساواتية القائمة على تساوي الحقوق هي نظرة إلى العالم ترى النساء والرجال في علاقة متبادلة، يتقاسمون السلطة، ويعرف كلٌّ منهم مواهب الآخر ويعزّزها ويطلقها. ويتعامل بعضهم مع بعض باحترام متساوٍ وكرامة متساوية.»[136]

136. Reid, Barbara E.، ص. 7، Wisdom's Feast، 2016

«من استحوذ عليه روح الإنجيل يتّفق على أن فهمًا أبويًا للأدوار، يفرض الوصاية على النساء ويشلّهنّ عن خدمة ملكوت الله، ليس ظلمًا فحسب، بل ألحق بكنيسة الله ضررًا لا يوصف. وحتى إن لم يحدث ذلك قطّ عن دوافع دنيئة بروح الصراع على السلطة أو حتى بقصد الإذلال، بل كثيرًا ما بسبب سوء فهم مأساوي للكتاب المقدس، فقد حان الوقت الآن لمساءلة التقاليد المهينة بشجاعة والابتعاد عنها، لكي تستطيع النساء أيضًا أن يضعن أقدامهنّ في «مكان رحب»، وأن يختبرن أخيرًا بشكر الفداء الكامل الذي حصّله يسوع المسيح.»[137]

«الرجل السليم في ذاته سيبذل كل ما في وسعه لكي يُدخل المرأة التي إلى جانبه، بمحبّته لها، إلى دعوتها.» فيرونيكا شميت (Veronika Schmidt)

كمرض عضال، وكعشب ضارّ قديم، متجذّر بعمق وثبات، ومنتشر في كل مكان، كانت صورة المرأة عند الرجال المسيحيين منذ البداية صدى لمحيطهم، وللأسف أيضًا لقلوبهم. وسواء عيشت بوعي أو بغير وعي، بطريقة فظّة أو معتدلة أو حتى محبّة، فلا خيار آخر سوى الرجوع إلى الحقّ الكتابي، ومن ثَمّ الإلهي، الذي وحده يحرّر.

137. Krüger, Hartmut، ص. 183، Frauen im Pietismus، Marburg، 2005

11 الخلاصة والتطلّع إلى المستقبل

من خبرتي، أي بشكل محدود وذاتي، أصل إلى استنتاج أن الذهنية والبيئة الكنسية والأصل تؤدّي دورًا حاسمًا في الموقف من «مسألة المرأة» (هكذا يسمّيها الرجال وحدهم تقريبًا).

في الكنائس التي تصمت فيها النساء، ويفعلن ذلك عن اقتناع، لا يكاد يُتوقَّع بشريًا إلغاء هذا السلوك. فأنماط التفكير مطبوعة ومتصلّبة عبر أجيال. إنها حصون. وتغيير مثل هذه العادات والتقاليد يبدو في هذه الأوساط «زعزعةً لقوانين الكون».

طبعًا يُعلَّل كل شيء بـ«الأمانة للكتاب المقدس» وبالطاعة. لكن هل يكون المرء فعلًا أمينًا للكتاب المقدس، أم لتفسيره للكتاب المقدس؟ ولكن يجب أن يُطرَح السؤال: هل يمكن أن يكون المرء مخطئًا؟

والأمر نفسه يصدق على الكنائس التي لا يُسمَح فيها للنساء بأن يكنّ شمّاسات أو شيخات. حيث يُستبعَدن من جميع وظائف القيادة أو من بعضها. وأيضًا حيث لا يُسمَح لهنّ بأن يعظن ويعلّمن.

هل يمكن أن يكون مجتمعنا (ونظامه الاجتماعي) وتشريعنا في مساواة الرجل والمرأة وتساويهما في الحقوق أكثر كتابيةً من موقف المسيحيين المحافظين الأمناء للكتاب المقدس؟

وماذا لو طالب قانون المساواة في الحقوق وحظر التمييز ضدّ أحد الجنسين يومًا ما بالحقوق نفسها للنساء في كل المجالات – في الكنائس الإنجيلية والكنائس الحرّة ذات الطابع المحافظ أيضًا؟ وربما طالب بحصّة للنساء؟ هل ستكون عندئذ نظرتنا الأبوية، والقروسطية في جوهرها، إلى الرجل والمرأة شيئًا نتألّم من أجله؟ شيئًا ندخل السجن من أجله؟ ليس للدولة طبعًا حقّ في أن تقرّر ذلك في الكنيسة، لكن ماذا لو أخذت لنفسها هذا الحقّ، وهُدِّدنا بعواقب؟

ينبغي أن نتوب، نحن الرجال، لأننا ما زلنا لم نفهم كيف خلق الله في البدء دور الرجل والمرأة والعلاقة بينهما. ففي حالات كثيرة لم يأتِ هذا الفهم من الكتاب المقدس أصلًا، بل طبعته الثقافة والمجتمع. متى سندرك أخيرًا هذا الترابط العميق؟ لا يمكن أن ندين العالم وفي الوقت نفسه نعلن أنماط سلوك دنيوية أنماطًا كتابية.

متى تأتي حرية الروح ونظام الخليقة الأصلي؟ الذي لا يحدّد فيه الجنسُ الخدمةَ والمهمّة والدعوة في ملكوت الله وفي كنيسته. بل الموهبة والأهلية، والطبع والأمانة، وكذلك الشخصية والتأهيل. ببساطة الكفاءة الروحية: الاستعداد للخدمة والتواضع، وتكريس القلب، والسلطان الروحي الذي لا يُفرَض ولا يُمنَح، بل يُلاحَظ ويُعرَف ويُقدَّر. سيكون ذلك اختراقًا للبركة لكل الكنائس التي حدّدت دور النساء وقلّصته بأشكال دنيوية، لا بأشكال روحية وكتابية وإلهية.

لقد أدّيت هنا مسؤوليتي، وأتبرّأ من الأشكال التي لا تأتي من الكتاب المقدس، بل من عالم ساقط. ومن وجهات نظر «عمّدها» المسيحيون أنفسهم، الرجال الذين أنتمي إليهم، في الكنائس وألبسوها ثوب التقوى. وهذا بالضبط ما نجحت فيه الحيّة، المُضِلّة: أن تقمع أو تُقصي في أماكن كثيرة مساهمة النساء التي لا غنى عنها. لقد كان آدم وحواء معًا حاملَي صورة الله. وعمل جسد المسيح يحدث بالطريقة نفسها. وإلّا فإنه لا يعمل كما يريد المسيح.

لنتبع نحن الرجال خطوات يسوع في سلوكه تجاه النساء. هناك طريق للرجوع. الله يهب الغفران وبداية جديدة. وفي هذه المسائل أيضًا.

لكن بالتوبة فقط. بتغيير الذهن وإعادة التفكير سنستطيع أن نحارب سمّ الحيّة، الذي خدعت به شعب الله والعالم كلّه آلاف السنين، أي أن للرجل سلطانًا على المرأة.

إعادة التفكير النابعة من القلب يمكن أن تحدث في لحظة، لكنها قد تستغرق سنوات أيضًا. أكتب هذه السطور وعمري 56 عامًا. لم أتوقّع ذلك. قبل 5 سنوات ما كنت لأكتب هذا. لذلك لا أتّهم أحدًا. إلّا نفسي على الأكثر، لأنني أضعت في هذه المسألة أربعة عقود. لقد احتاج بولس إلى ثلاث سنوات في العربية، مباشرةً بعد لقائه الدرامي بالمسيح ورجوعه، ليتحرّر من أثقال الفكر الفرّيسي وركامه، في ما يخصّ صورته عن المرأة أيضًا. لكنه نجح. ويمكن أن ينجح ذلك اليوم أيضًا.

رعويًا سيكون لهذا الشفاء والتحرير أثر مُعيد ومصحِّح وشافٍ يصعب تقديره، لأنه التعليم الصحيح، ومن ثَمّ الشافي، لكلمة الله. لو تحرّرت الزيجات من أسطورة سلطة الرجل على المرأة. لو لجأت الكنائس أخيرًا إلى كامل طاقاتها.

لنترك أخيرًا وراءنا ردود أفعالنا المفضّلة وصور الأعداء في هذه الموضوعات. زوجاتنا وبناتنا، أمّهاتنا وأخواتنا بالجسد وأخواتنا الروحيات، هنّ فكرةٌ من السماء. ومن

يمسّهنّ، ويحكم عليهنّ بالصمت، يصير مذنبًا. أيّ جواب سنقدّمه في ذلك اليوم العظيم، حين يحاسبنا يهوه إلوهيم؟

شعارات الصمود هي واحدة من ردود الأفعال المفضّلة هذه: لنبقَ عند الكلمة! ويخلط المرء بين «البقاء عند الكلمة» و«البقاء عند فهمه للكلمة». علينا نحن الرجال أن نستسلم وأن نعترف بأن الحيّة القديمة يمكن أن تُهزَم باسم يسوع. التوبة هي أفضل بصيرة، وفيها أفق! لم يعد هناك معنى للقتال من أجل أنظمة دنيوية، ومن ثَمّ خاطئة، في كنيسة الله.

حين تتحرّر النساء، يتحرّر الرجال أيضًا.

ليكن الله الربّ، يهوه إلوهيم، رحيمًا بنا!

إن تجاهل الخلفية الثقافية للنصوص الكتابية لا يؤدّي إلى التمسّك بنصّ الكلام؛ بل إلى أن يصير نصّ الكتاب سطحًا تُسقَط عليه القناعات الثقافية لحاضر المرء نفسه.

ما بُشِّر به كثيرٌ من الإنجيليين بوصفه حقًّا كتابيًا أزليًا هو في الحقيقة نتاج القرنين التاسع عشر والعشرين. ويستطيع كل واحد أن يتحقّق من ذلك.

كيف يمكن للمرء أن يتعلّم، في المسائل الخلافية، ولو مجرّد المناقشة الجادّة لمواقف مختلفة، إذا تدرّب عقودًا لا على الدفاع عن قناعات، بل على فرض اعترافات عقائدية؟

تورستن ديتس (Thorsten Dietz)

11.1 ملاحظات ونصائح

كيف نطبّق، في ضوء هذا الجدل، المبادئ الكتابية لكي تصير الاستنتاجات واقعًا في كنيسة المسيح اليوم؟

من المشكلات الكبرى في الكنائس اليوم سوء فهم عميق لطبيعة النعمة ولعمل الروح القدس. وما دامت الناموسية والتقليد يُخلَطان بإنجيل المسيح، فستتبع الانقساماتُ التغييراتِ دائمًا. لذلك يجب أن نعمل بجدّ على إعلان البشارة السارّة في الكنائس. يجب أن نشير صراحةً إلى أخطاء الناموسية وأن نعلن حقّ نعمة الله بوضوح.

وبينما سيعدّ كثيرون مثل هذا التعليم ليبراليًا، فهو في الحقيقة مجرّد تكرار لعمل بولس. لقد عمل بولس معظم حياته على توبيخ المعلّمين المتهوّدين الذين سعوا إلى

العودة إلى ناموس موسى. وينبغي أن نتبع بولس ونوبّخ أولئك الذين يسعون إلى العودة إلى لاهوت العهد القديم (كهنة ذكور فقط، ومراعاة الأشكال والمظاهر والمبالغة في تقديرها، والخوف من الأخطاء، والطاعة العمياء، إلخ). لكن ينبغي أن نقول الحقّ في المحبة.

ومع ذلك يجب أن نفهم أن الإخوة والأخوات يحتاجون إلى وقت حتى يقبلوا أفكارًا جديدة. فحتى بالنسبة إلى إنسان منفتح، قد يستغرق التغيير الجذري في التفكير سنوات كثيرة حتى يرتاح إليه. حين أحصل على وصفة نظّارات جديدة، تبدو لي العدسات الجديدة الأفضل فعلًا أسوأ من العدسات القديمة غير الواضحة، إلى أن أكون قد لبستها بضعة أيام. يجب أن نكون صبورين. فالممارسة قد لا تتبع الفهم الجديد للتعليم إلا بعد سنوات.

الانقسامات ليست حتمية، لكن الخطر كبير جدًّا. إن لم ترفض الكنائس الناموسية ولم تتّجه إلى الصليب، فستحدث انفصالات وانقسامات. والحلّ الآخر الوحيد هو ألّا يتغيّر المرء. ثم أن يخسر فوق ذلك أولاده أيضًا.

التغيير ضروري ولا مفرّ منه. لا نستطيع أن نحرم أكثر من نصف المؤمنين من الحقّ في أن يكونوا مسيحيين كاملي الحقوق. وليس السبب «حقوقهم». بل إن الله يحتاج إلى عمّال. فالجياع يجب أن يُطعَموا، والأولاد أن يُربَّوا، والناس أن يخلصوا. وحين نحرم هذا العدد الكبير من أعضاء جسد المسيح من الحقّ في المشاركة في اتّخاذ القرارات أو في قيادة الكنيسة، فإننا ننزع سلاحنا من جانب واحد في مواجهة جيش الشيطان. تخيّلوا أنكم تقفون أمام جيش معادٍ، ثم تستديرون وتنزعون سلاح أغلبية أفضل ضبّاطكم أنفسكم، خوفًا من مخالفة لوائح الجيش. يجب أن نهتمّ بكيف نقاوم الشيطان، وأن ندع الله يهتمّ باختيار قادته ومعلّميه والمتكلّمين باسمه ووكلائه.

في نهاية المطاف لا نستطيع أن نفعل إلا القليل، والباقي على الله. حتى يسوع لم يغيّر قلوب معظم الفرّيسيين، لكنه غيّر من القلوب ما يكفي لإعادة كتابة تاريخ العالم. نحن لا نستطيع إلا أن نزرع. والله يجب أن يعطي النموّ.

التغييرات الحقيقية تأتي حين يُمكَّن الناس من أن يستعملوا تفكيرهم وطاقتهم بطريقة جديدة، وأن يستعملوا نمط تفكير آخر ولغة أخرى، وأن تكون لهم رؤى جديدة للمستقبل.

بوصفنا رجالًا ونساءً

نحبّ ونقود ونعلّم

أفضل معًا!

أفضل سويًّا!

أفضل بعضنا مع بعض!

وأتمشّى في «مكانٍ رَحْب»، لأني طلبتُ وصاياك.

مزمور 119: 45

12 الفرق

من كتاب مارلين ب. سميث (Marilyn B. Smith)، (تحرير) إنغريد كيرن (Ingrid Kern): Ohne Unterschied; Frauen und Männer im Dienst für Gott («بلا فرق؛ نساء ورجال في خدمة الله»)، 2005، قمت بمسح ضوئي لمجموعتين من العروض والمخطّطات. وهما تقدّمان نظرة عامة جيّدة عن كيفية فهم موقفَي التكامل وتعليلهما، أحدهما مع تراتبية أو خضوع من طرف واحد بين الرجل والمرأة، والآخر من دونهما. ويُسمَّيان هنا النموذج الهرمي والنموذج القائم على المواهب.

لا أعرض هذين النموذجين لكي يختار المرء أحدهما، بل لكي يتبيّن كل واحد بنفسه أيّهما يتبنّى، بوعي أو بغير وعي.

12.1 النموذج القائم على المواهب

وفي هذه النظرة الجديدة إلى الفداء يُنطلق من المعاني التالية:

ʿezer kᵉnägdo	المعين النظير يعني «وجهًا لوجه؛ ملائمًا كلٌّ للآخر»
kephale	الرأس يعني «المصدر»
authentein	يُنظر إليه على أنه كلمة نادرة الاستعمال تشير إلى الهيمنة
sigao	يعني الهدوء الطوعي من أجل الإصغاء بانتباه
hypotasso	يعني انتظامًا/انتسابًا طوعيًا، ويُستعمل في سياق الخضوع المتبادل

ويُذكر بوصفه النصّ المحوري غلاطية 3: 28، الذي يشير إلى مساواة جميع البشر في المسيح، وينبغي أن يُفهم روحيًا وعمليًا معًا، لأن العيش اليومي لهويتنا الجديدة في المسيح لا يمكن فصله عن الحقيقة الأبدية لحياتنا فيه.

خلاصة المعتقدات التي يُستند إليها في تعليل النموذج ذي التوجّه القائم على المواهب

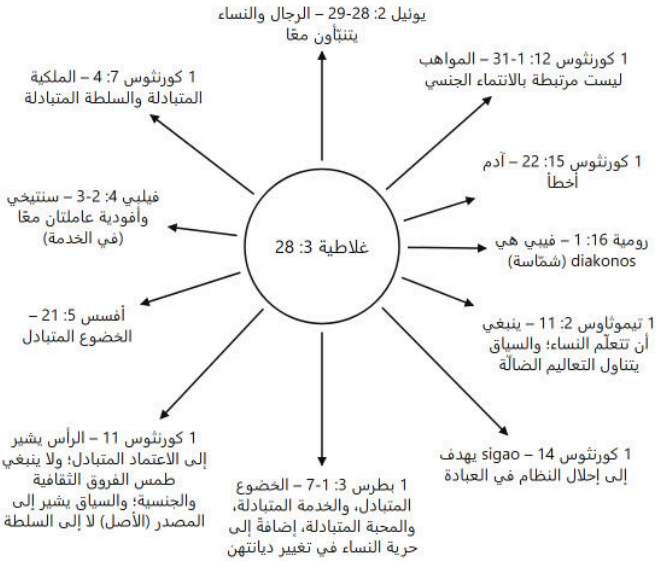

خُلق الرجال والنساء على حدّ سواء على صورة الله؛ لكي يعيشوا في شركة ويخدموا هذه الشركة على أساس مواهبهم التي يوزّعها الروح القدس، لا على أساس انتمائهم الجنسي. وجوهر هذه الشركة هو الخضوع المتبادل والمسؤولية المتبادلة: فعلى الجميع أن يكونوا خدّامًا، وأن يُسهموا بمواهبهم في البنيان المتبادل.

12.2 النموذج الهرمي

الملحق ب

خلاصة المعتقدات التي يُستند إليها في تعليل النموذج ذي التوجّه التراتبي

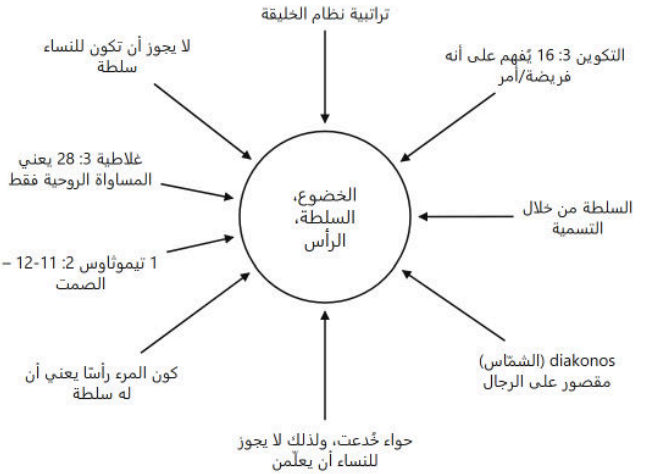

المرأة خاضعة للرجل، كما أن المسيح خاضع للآب. وعمومًا يقول التقليديون إن النساء لسن أدنى قيمة مقارنةً بالرجال، لكن لهن، رغم المساواة الروحية في القيمة، مهام أخرى. وهذا يعني أن مهامهن تتوقّف على انتمائهن الجنسي. والأساس الكتابي لذلك عندهم هو أن «الرأس» مرادف للسلطة، ولأن المسيح هو رأس (أي سلطة) الكنيسة والرجل هو رأس (أي سلطة) المرأة، فيجب على المرأة أن تخضع ولا يجوز أن تكون لها سلطة على الرجل. ولذلك لا يجوز لها أن تعلّم الرجال ولا أن تعظ.

وفي هذه النظرة التقليدية يُنطلق من المعاني التالية:

ʿezer kᵉnägdo	المعين النظير يعني «خاضعًا»
kephale	الرأس يعني «السلطة»
authentein	يُترجم بـ«السلطة»
sigao	يعني «لا يجوز لها أن تتكلّم»
hupotasso	يعني «خضوع الزوجة لزوجها»، وقد تبنّته الكنيسة بمعنى «خضوع النساء للرجال»

وتُذكر النصوص الآتية بوصفها نصوصًا محورية:

أفسس 5: 22 (الخضوع)
1 تيموثاوس 2: 12 (لست آذن)
أفسس 5: 23 و1 كورنثوس 11: 3 (الرأس)

(ويُفسَّر غلاطية 3: 28 تفسيرًا روحيًا فقط – بوصفه قولًا مهمًا في عقيدة التبرير – ولكن دون أثر ملموس في ممارسة الحياة)

13 كلمات ختامية من قرّاء مختلفين

أنا ممتنّ لأن بعض الأصدقاء بادروا، بعد قراءتهم النقدية للمخطوطة، إلى الإسهام بكلمة شخصية. فهي تكمّل ما ينقصني، وتعمّق ما لم أتطرّق إليه إلا عرضًا.

13.1 النظرة الحرّة قد غطّاها النبات!

لماذا نريد ونحتاج أن نكتب كتابًا عن هذا الموضوع؟ ليس لأننا نريد أن نقلب كل شيء رأسًا على عقب. وليس لأننا نعرف أفضل.

الأمر يعود إلى أن سؤالًا طُرح على Hans-Jörg فجأة: «كيف ترى مكانة المرأة ودورها؟ بوجه عام، وخاصةً في ما يتعلّق بالحياة الكنسية المسيحية؟»

لم يكن هذا السؤال يُطرَح على الطاولة لأوّل مرة في حياتنا. فلزمن طويل كنّا مرتبطين بسياقات كنسية، وهناك يكون من المضرّ أن نسائل الدور الخاضع أو الصامت للنساء، ما دام كل شيء يسير بهدوء في مسارات محدّدة.

أنا شخصيًا لست متمرّدة، بمعنى أنني أُبدي رأيي ووجهة نظري فورًا أو أريد أن أفرضهما. ومع ذلك لم أستطع في الماضي، ولا سيّما في الحياة الكنسية المسيحية، أن أحتمل وأطيق إلا بصعوبة طرقًا في التعامل لم «يُسمَح» لي بمساءلتها، أو تلقّيت عنها أجوبة بشرية وسطحية جدًّا.

مع Hans-Jörg إلى جانبي لديّ زوج يحبّ فوق كل شيء أن يبحث في الكتاب المقدس ويدرسه. وإنه لغنى كبير أنه يفهم كلمة الله ويشرحها. وما لا يُفهَم وما تكون حوله أسئلة يُدرَس من جديد في وقت ما.

يحتاج الأمر إلى شجاعة لمساءلة الآراء ووجهات النظر المتصلّبة من جديد، ثم الإقرار بأنها لا تتّفق حقًّا مع حياتي حتى الآن.

لقد نشأت على أن النساء لا يقلن شيئًا بصوت مسموع في اجتماع الكنيسة المسيحي. ولا بدّ أنني سألت مرة وأنا طفلة لماذا الأمر كذلك. والجواب بأن هذا ما هو مكتوب في الكتاب المقدس كفاني آنذاك، ولم يكن من حاجة إلى مزيد من السؤال. فتبنّيت الأمر كما هو وعشته بدوري. – وبذلك صارت مشاركتي الشخصية في مضمون الحياة

الكنسية سلبية جدًّا على مدى عقود، لأن كل ما كان يُسهم في العبادة كان الرجال يتولّونه كاملًا. وإن صلّيت، صلّيت بصمت. وبوصفي امرأة لم تكن لي في ذلك أيّ مسؤولية.

واليوم أسأل نفسي كيف تصوّر الله الربّ الأمر في البدء. هو، خالق السماء والأرض، وكل الرجال والنساء، وكل الحيوانات، يرغب في أن نكون نحن البشر صورةً له هو، متساوين أمامه هو، بمواهبنا التي وهبنا إياها هو. وحين نُجري اختبار المواهب، نجد أن كل واحد يحسن شيئًا ما بشكل خاص، ولكل واحد في كل شيء نقاط قوّة ونقاط ضعف.

ماذا لو

- الخالق، الذي خلقني مبدعةً، مبتكرةً، قويّة، ليس لي أن أقول له شيئًا في العبادة / في اجتماع الكنيسة
- يسوع، مخلّص البشرية، الذي جاء إلى الأرض، وعاش هنا، وقلب حياة المرأة ودورها رأسًا على عقب حقًّا وغيّرهما – ومات من أجلي، والآن جزء كبير من عمله الخلاصي – الجزء الأنثوي – نصف خليقته، ليس له في العبادة أن يسبّح ويشكر على ذلك بشيء

عندئذ أريد أن أخرج من سلبيّتي. أريد أن أتغلّب على ما نشأت عليه. أريد أن أنمو بنشاط. أيها الرجال، تستطيعون أن تساعدوا النساء! ومن يكون في ذلك عونًا لمن؟

أمّا في حياتنا الزوجية، فنحن نعيش زوجًا وزوجةً في تعاون متناغم كآلة جيّدة التزييت. القرارات المهمّة نتّخذها معًا. والقرارات التي تخصّ موهبتي ومهمّتي أتّخذها أنا وحدي في كثير من الأحيان. وكذلك Hans-Jörg. وفي كل ذلك نتحدّث عنها ونتبادل الرأي. فالمحبة والاحترام قائمان على التبادل، ويشدّان معًا الحبل نفسه في اتّجاه واحد. فنحن في الطريق إلى هدف مشترك.

وحتى حين أقرأ في تاريخ الثقافة وأتبيّن الدور الذي كان يبدو بديهيًا للنساء، من العصور الوسطى عبر كل العصور المختلفة، أحزن ولا أستطيع اليوم أن أتصوّره إطلاقًا، إذ كان الأفضل ألّا تظهر النساء أصلًا في الحياة العامة ولا في التعليم ولا عند القرارات المهمّة. لقد أتى مرور الزمن بين حين وآخر بتحوّل وتغيير. لكن في بعض مجالات الحياة وفي بعض ما طُبع فينا ما زالت طريقة توزيع الأدوار متجذّرة عميقًا.

تخطر لي صورة لفتت انتباهي وأنا أتنزّه حول بحيرتنا الجميلة: على الطريق حول البحيرة توجد مقاعد بين مسافة وأخرى. وعند الاستراحة ألاحظ أن المنظر على البحيرة قد غطّته الشجيرات والأشجار تمامًا. وأثناء الكتابة خطرت لي هذه المقارنة: البحيرة والمقعد ما زالا موجودين = الخليقة والطبيعة البشرية ما زالتا موجودتين – لكن المنظر، وما فكّر فيه الخالق يومًا عند الأصل، قد اختفى إلى حدّ بعيد خلف الشجيرات والأشجار. ولكي يُفتَح من جديد المنظر الذي كان للمقعد من أجله سبب وجيه، يجب أن تُزال الشجيرات والأشجار النامية بلا ضابط. وهكذا يجب أن تُزال أيضًا الزوائد التي تركناها تنمو على تصوّر الله الخالق.

كريستينه رونسدورف (Christine Ronsdorf)، زولتسبرغ (Sulzberg) في منطقة ألغوي (Allgäu)

13.2 ما الذي كان يمكن أن يكون!

«كتاب آخر عن «مسألة المرأة» ...»، كان هذا ردّ فعلي الأول على المسودّة الأولية التي أرسلها إليّ Hans-Jörg Ronsdorf. لكن بعد تصفّح أوّل شدّني المنهج إلى حدّ أنني لم أعد أستطيع أن أترك القراءة. فتنشئتي المسيحية تشبه تنشئة المؤلّف. لقد نشأت في «جماعات الإخوة المغلقة»، مع «ساعات الإخوة الشباب»، المخصّصة حصرًا للشبّان، بينما كانت الشابّات يلتقين في «ساعة الحياكة الصغيرة». هناك لم تكن تُقدَّم تأمّلات روحية، لأن المرأة لم يكن يُسمَح لها طبعًا أن تعلّم. النساء لا يعلّمن، ولا يشاركن في نقاش المسائل اللاهوتية، ويصمتن في الكنيسة، إلّا عند «آمين» أو في الترنيم بأربعة أصوات. ما زلت أذكر جيّدًا عظة لأخ كان آنذاك قياديًا على المستوى الوطني في «جماعات الإخوة المغلقة»، ألقاها في كنيستي الأم، وتناول فيها موضوع «مؤتمرات النساء» بهذه الجملة: «إلى أين سينتهي بنا الأمر لو كانت النساء في المؤتمرات، والرجال مضطرّين إلى دفع عربة الأطفال في البيت؟» بالضبط، إلى أين سينتهي بنا الأمر؟ سؤال كان يجب أن يطرحه المرء على نفسه، أو بالأحرى كان يجب أن أطرحه على نفسي، منذ زمن أطول بكثير. وسواء حدث ذلك عن اقتناع أو بفعل ضغط المجتمع ككلّ، فقد تغيّرت الأوضاع في العقود الأخيرة فعلًا حتى في الأوساط المحافظة من جماعات (الإخوة). فهناك اجتماعات للشبيبة، ومجموعات منزلية، وفرص أخرى تُرى فيها النساء ويُعامَلن على نحو مختلف عمّا كان في شبابي. وبعضهم يذهب في الطريق خطوة أبعد، فيمنح النساء الفرصة لأن يخدمن بحسب مواهبهنّ

ودعواتهنّ في بعض الزوايا من حياة الكنيسة. أمّا أنا شخصيًا فأطرح على نفسي السؤال: هل هذا يكفي؟ في زمن تأسيس جماعات الإخوة اكتشف داربي (Darby) ورفاقه من جديد مبدأ الكهنوت العامّ لجميع المؤمنين. وبما عُرف عنه من روح المجادلة، صاغه داربي في مواجهة الإكليروسية في كنائس الدولة هكذا: «I believe the ‘Notion of a clergyman’ to be the sin against the Holy Ghost in this dispensation». أي ما معناه تقريبًا: «إن إقامة طبقة من رجال الدين هي الخطية ضدّ الروح القدس في هذا التدبير». وهذه الأطروحة، القائمة في المركز اللاهوتي لحركة الإخوة، أدّت في تطبيقها إلى مكسب جوهري في قيادة الروح وفي الحرية لكنيسة الله. لكنها للأسف لم تُزِل من القيود على الخدمات في الكنيسة إلّا معيارَي «دارس ومرسوم»، أمّا معيار «ذكر» فبقي قائمًا. ما الذي كان يمكن أن يكون، لو أُدرك كيف تغيّر «الصورة الكبيرة» (big picture)، كما رسمها Hans-Jörg Ronsdorf، دور المرأة في إكليسيا (Ecclesia) الله؟ ماذا لو دافعت حركة الإخوة بحزم عن أن «جميعنا إخوة»، الرجال والنساء على السواء؟ إلى أيّ حدّ كان يمكن لملكوت الله في «برّ وسلام وفرح في الروح القدس» أن يفتح هذا العالم ويتغلغل فيه بفضل اكتشاف كهذا وتطبيقه، قبل زمن طويل من زمن قامت فيه النسوية العلمانية بذلك بطريقة غير سليمة أحيانًا؟ لذلك أريد عن قصد، وبشكل استفزازي، أن أعيد كتابة جملة داربي بطريقة جديدة ومختلفة: «أعتقد أن التصوّر القائل إن على النساء أن يصمتن، ولا يجوز لهنّ أن يعلّمن ويخدمن كالرجال، هو معارضة للروح القدس في زماننا». والكتاب واضح: «وما سمعته منّي بشهود كثيرين، أودعه أناسًا أمناء، يكونون أكفاء أن يعلّموا آخرين أيضًا!» (2 تيموثاوس 2: 2) يكتب بولس «أناسًا» (anthropoi) وليس «رجالًا»! ماذا يحدث حين يُعاش ذلك؟ يُفعَّل غنى المواهب والدعوات لدى أكثر من 50% من أعضاء الكنيسة، ويبدأ نموّ لم يكن في الإمكان تصوّره من قبل. أنا أخدم الآن بسرور وكثيرًا مع زوجتي في مناسبات كثيرة، وصدّقوني: إنها تستطيع أن تعلّم أشياء كثيرة أفضل منّي بكثير. والأمر نفسه أكتشفه عند نساء كثيرات في سياقي الكنسي. لذلك لم يعد الأمر بالنسبة إليّ شخصيًا مسألة شيء من الزيادة في «المرأة في الكنيسة»، بل مسألة أن نعطي النساء المكان الذي قصده الله لهنّ. لقد عبّر دالاس ويلارد (Dallas Willard) عن ذلك ببراعة: «ليست حقوق النساء في شغل خدمات «رسمية» أو مناصب روحية، ولا مساواتهنّ في الحقوق مع الرجال في هذه المناصب، هي التي تحدّد شروط خدمتهنّ لله وللقريب. بل التزاماتهنّ هي التي تفعل ذلك – التزامات تنبع

من قدراتهنّ البشرية، التي تمنحها مواهب النعمة الإلهية السلطان» (في «How I Changed My Mind About Women in Leadership»). بهذا المعنى أفرح بهذا الكتاب، وأتمنّى لكل واحد – رجلًا كان أو امرأة – أن يكون قد قرأه بقلب مفتوح، لكي يقول بعدئذ بفرح ويعيش: «أمّا نحن فجميعنا إخوة!»

رولف شتوخر (Rolf Stücher)، زالتسبورغ (Salzburg)، فسترفالد (Westerwald)

«مسألة المرأة» و«المحبة الأخوية»

لقد جلبت «مسألة المرأة» إلى كنيسة الله كثيرًا من الخصام والانكسار. هل يمكن أن يكون من مشيئة الله أن نتشاجر حتى تتحطّم الرؤوس بسبب مثل هذه المسائل الخلافية؟ كلّ واحد منّا سيقول: «طبعًا لا!» فلماذا إذًا هي الواقع المحزن؟

نريد في كلمتنا الختامية أن نرافع بشغف من أجل إنشاء منصّات يمكن فيها النقاش وتبادل الرأي معًا بمحبة روحية وبشكل بنّاء، حتى في موضوعات صعبة كهذا الموضوع. لقد اختبرنا ذلك في لقاء مع Hans-Jörg وزوجته كريستينه وأصدقاء مشتركين. فرغم وجهات نظر مختلفة جزئيًا بشأن «مسألة المرأة»، خرجنا من الحديث ممتلئين امتنانًا وفرحًا لأن لنا إخوة وأخوات أعزّاء إلى هذا الحدّ. لقد اختبرنا كيف عِيشت آية الكتاب التالية:

«أعطيكم وصيّة جديدة: أحبّوا بعضكم بعضًا! يجب أن يحبّ بعضكم بعضًا كما أحببتكم أنا. بمحبتكم بعضكم لبعض سيعرف الجميع أنكم تلاميذي» (يوحنا 13: 34-35)

في كنيستنا حان الآن أيضًا وقت تبادل الرأي حول دور المرأة. نحن جماعة صغيرة وشابّة – كلّنا تقريبًا بين 20 و40 عامًا. فضلًا عن ذلك، تلقّينا تكوينًا تعليميًا مختلفًا تمامًا. ومن الناحية البشرية ليست هذه كلّها شروطًا سهلة. يُضاف إلى ذلك أن الشباب يكونون في الغالب أكثر تطرّفًا في قناعاتهم من المسيحيين الأكبر سنًّا والأنضج. والحمد لله أن ما هو غير ممكن لنا ممكن له هو. فلنا أن نتّكل على قيادة الروح القدس المُحبّة! وفي كنيستنا نذكّر أنفسنا مرة بعد مرة بأن يكون فينا الفكر الذي في يسوع: ضع الآخر وحاجاته دائمًا في مركز اهتمامك، كن متواضعًا ولا تتشبّث برأيك!

إن أراد المرء أن يتناول هذا الموضوع بطريقة بنّاءة، وهذا ما ننويه، فيبدو لنا من الضروري أن نأخذ أمرين في الحسبان: أولًا، يجب أن نذكّر أنفسنا مرة بعد مرة بالمكانة

التي لـ«مسألة المرأة» مقارنةً بـ«المحبة الأخوية». فالله لن يفرح إن وضعنا قناعاتنا التعليمية فوق الدعوات الكثيرة إلى أن يحبّ بعضنا بعضًا محبة عملية تمامًا. وقد عزمنا على أن تظهر هذه المحبة في تبادل الرأي المقبل بيننا بحيث لا نتصرّف متجاوزين ضمائر الإخوة والأخوات، وأن نسترشد في ذلك بالأضعف. ثانيًا، نريد أن نفحص النصوص بأقلّ قدر ممكن من الأحكام المسبقة، وأن نكون منفتحين على الأسئلة النقدية أيضًا، وأن نتأمّل أنفسنا بصدق. ربما نصل إلى المعرفة المشتركة بأن تقاليد التفسير التي عشناها حتى الآن تحتاج فعلًا إلى تصحيح. وفي النهاية نعرف أن تبادل رأي مثمرًا لا يمكن أن يتحقّق إلّا إذا كان الجميع منفتحين على قيادة الله، ومستعدّين للانخراط في الموضوع وبعضهم مع بعض.

لكن أمرًا واحدًا نريد أن يبقى دائمًا في رأس قائمة أولوياتنا:

لنجعل مهمّتنا الأساسية أن نعيش التكليف المشترك، أن يحبّ بعضنا بعضًا محبة عملية تمامًا!

لنربح الناس ليسوع بطريقة تعامل بعضنا مع بعض، فلأجل ذلك نحن هنا!

هيلين وماتياس دونسر (Helen & Matthias Dünser)، ميسن (Missen) في منطقة ألغوي (Allgäu)

13.3 التغيير

نعرف كريستينه (Christine) وHans-Jörg Ronsdorf منذ ديسمبر/كانون الأول 2015، حين شاركانا رؤيتهما الإرسالية «Kirche für Alle» («كنيسة للجميع»). وجنبًا إلى جنب بنينا معهما ومع فريق المبادرة «Kirche für Alle e.V.»، وأقمنا منذ ذلك الحين كثيرًا من الفعاليات الإبداعية التبشيرية في الأماكن العامة في كمبتن (Kempten). وفي هذه السنوات الخمس من القيادة المشتركة تعرّفنا بعضنا إلى بعض، أزواجًا وعائلات، معرفة شخصية عميقة.

حين تعرّفنا إلى آل رونسدورف، كان Hans-Jörg في خضمّ تحوّل روحي. لقد لمس الله قلبه وزعزع ما طُبع فيه من تأثيرات وقناعات عميقة. وقد أُتيح لنا أن نعيش عملية التغيير هذه مباشرة. وكان ذلك مثيرًا خصوصًا لأن العمل معنا قبل ذلك بعام واحد فقط ما كان ليُتصوَّر بسبب قناعته اللاهوتية.

في هذه السنوات تعلّمنا أن نقدّر كثيرًا خاصةً حماسة Hans-Jörg للكتاب المقدس، ومعرفته الخلفية، ومحبته لله، وصدقه في تناول المسائل اللاهوتية الأساسية. إنه ملتزم تجاه الله أكثر من التزامه تجاه آراء الآخرين، ولا يتراجع أمام الموضوعات الحسّاسة. إنها تنشئته، وتاريخه الكنسي، وهذا الموقف الأصيل بالذات، ما يجعل تناوله للموضوع الصعب «دور المرأة في الكتاب المقدس» مميّزًا ومشوّقًا وجديرًا بالقراءة.

هذا الكتاب لا يتورّط في منظورات لاهوتية مجهرية، بل يقيم من ارتفاع تحليق مناسب روابط تاريخية وثقافية وكتابية تُلقي ضوءًا جديدًا على تفسير مقاطع كتابية صعبة الفهم. إن «أيتها النساء، سامحننا!» («Frauen, vergebt uns!») يدعو إلى وضع ما طُبع فينا ومعارفنا اللاهوتية على المحكّ – وهذا ما تستحقّه النساء. وبكثير من الاحترام للموضوع أُتيح لنا أن نشهد نشوء هذا الكتاب، ونحن ممتنّون لهذا الكتاب الشجاع، وقبل كل شيء للأحاديث الكثيرة العميقة والجيّدة التي سبقته. شكرًا، Hans-Jörg وكريستينه.

توبي (Tobi) ودانييلا (Daniela) شتريكر (Stricker)، فيغنسباخ (Wiggensbach) قرب كمبتن في منطقة ألغوي

14 مرافعة ختامية: هل مسألة المرأة مهمّة إلى هذا الحدّ؟[138]

نبّهتني أخت إلى أن الأمر في هذا السؤال لا يتعلّق (فقط) باللاهوت. بل يتعلّق بالبشر. بالفتيات والنساء وكرامتهنّ والاعتراف بهنّ. وأنا بوصفي رجلًا أنظر إلى هذا الموضوع كلّه من المنظور الذكوري، الذي لا ينقل صوت النساء مباشرة، لكنه يتكلّم لصالحهنّ.

أخشى أن تكون هذه البنية الهرمية الدينية (التكاملية) قد جرحت أو حطّمت شيئًا لدى كثير من النساء. والردود القليلة على كتابي تؤكّد هذا التقدير. والعدد الخفيّ سيكون أكبر، ولا سيّما حين أفكّر في الشابّات والفتيات اللواتي ينشأن في مجتمع يقوم على المساواة في الحقوق، لكنهنّ «يُعلَّمن» في محيطهنّ الكنسي المسيحي نماذج قديمة لأدوار الجنسين. كيف يتعامل المرء مع هذا التناقض؟

14.1 الأمر لا يتعلّق ببعض الخدمات (الممنوعة)

لأوضّح الأمر: لا يتعلّق الأمر أساسًا بأن النساء لا يُسمَح لهنّ بأن يعظن أو يعلّمن أو يقُدن. فكثير من النساء قد اعتدن ذلك على أيّ حال، وفقدن الرؤية لإمكانية أن يتغيّر شيء من ذلك يومًا. وكثيرًا ما يعتبرن هذه البنى والقواعد بالنسبة إليهنّ حقًّا كتابيًا، ولم يعدن هنّ أنفسهنّ يسائلن هذه الأطروحات. لكن ينبغي لهنّ أن يفعلن ذلك. وهذا ما أسمّيه صراعًا صحّيًا من أجل معرفة الحقّ، ولا سيّما حين يظنّ المرء أن هذه المعرفة قائمة بلا منازع منذ المسيحية الأولى. وهذا يصدق على كثير من موضوعات الكتاب المقدس. فأحيانًا يجب أن يُتهجّى الموضوع من جديد من أوّله.

سؤال العنوان هو ردّ فعل يكاد يكون متضايقًا من أنني بكتابي (العنوان: «أيتها النساء، سامحننا!») وبمقالاتي أطرح مرة بعد مرة هذه الأسئلة «النسوية». والسؤال يريد في رأيي أن يقول ما يلي، أو بالأحرى أن يهوّن من الأمر: للأخوات في الكنيسة وفي ملكوت الله وفي العائلة مهامّ وإمكانات كثيرة للمشاركة في العمل وتنمية مواهبهنّ، بحيث لا يمكن أن يكون تمييزًا ألّا يُسمَح لهنّ بأن يعظن أو يعلّمن أو يقُدن. فلكلّ واحد مكانه ودوره، كما حدّده نظام الخليقة منذ البدء.

138. أضيف هذا الفصل.

لكن الأمر، حين يحاول المرء أن يرى الصورة كاملة، لا يتعلّق بخدمتين أو ثلاث يُزعَم أنها لا تحقّ للمرأة. بل يتعلّق بصورة المرأة كلّها التي تقف خلف ذلك. فخلف هذا السؤال، هل هي مهمّة إلى هذا الحدّ، يقف التصوّر بأن المرأة خُلقت معينًا (خاضعًا) لآدم، وأنها ملحقة به أو خاضعة له أو تالية له هرميًا. هنا يكمن جذر المشكلة التي تعاني منها كثير من النساء (لا كلّهنّ). وثمّة، ممّا لا يُدرَك من الخارج في كثير من الأحيان، اضطراب داخلي مخفيّ في العمق، وشعور بالظلم. حين لا تُحترَم المرأة بما هي امرأة بالقدر نفسه الذي يُحترَم به الرجل. حين يكون على المرء ألّا يفكّر بحرية، بل أن يفكّر ويتصرّف داخل حدود ناموسية (ما المسموح لي وما غير المسموح)، تُجمَّل بثوب التقوى. هذه النظرة إلى دور المرأة تترك كثيرًا من الأخوات في الربّ مع أسئلة معذّبة وشكوك في الذات. يسألن أنفسهنّ لماذا أراد الله الأمر هكذا، ما دام يُلقَّنّ أن هذه خطّة الله. إن كان الله صالحًا وكاملًا، فلماذا تختبر النساء في الزيجات المسيحية أمورًا سيّئة، وفي الكنائس حدودًا لا يستطيع العقل السليم أن يستوعبها؟ وصايا الله صالحة دائمًا، وهو يريد أن نفهم معناها، الذي يكون دائمًا واضحًا (على الأقلّ في العهد الجديد). لكن في هذه المسألة تغيب كل معقولية!

14.2 ما يشعر به الرجال وما لا يشعرون به

هذا شعور لا نعرفه نحن الرجال بهذا الشكل. فنادرًا ما يكون الرجال هم الأضعف. لقد حان الوقت لإدراك ذلك ولأن نكون حسّاسين له. ففي تصوّر بعض الرجال وتفكيرهم يبدو من المستحيل أن يستوعبوا مشاعر الدونية هذه لدى النساء.

هل السبب الحقيقي للانفعال الشديد في هذا الموضوع ربما ليس الأمانة للكتاب المقدس بقدر ما هو كبرياء المرء نفسه، لأن دوره القيادي، وكونه الرأس، يوضعان موضع التساؤل؟ ربما في اللاوعي فقط؟ لأن الزوجة صار لها فجأة الحقوق والواجبات نفسها التي للزوج؟ وإن كان المرء قد رأى الأمر وعاشه عقودًا على نحو آخر، فإن هذه المعرفة، إن حدثت فعلًا، تكون أشبه بزلزال. لا أن يعترف بالخطأ فحسب، بل أن يتهيّأ لحياة مشتركة أخرى. وهذا يحتاج إلى قوّة. أوّلًا إلى بصيرة. لكن الطريق الكتابي يقود إلى الحياة. دائمًا.

14.3 كيف نقرأ الكتاب المقدس في مسألة المرأة

لا أعرف موضوعًا مشحونًا عاطفيًا إلى هذا الحدّ. كأن الأمر مسألة حياة أو موت. وفي موضوعات مثل شخص يسوع، وألوهيته، وعمله الفدائي، يكون ذلك مفهومًا. لكن ليس في مسألة ما إذا كان يجوز للنساء أن يصلّين ويتكلّمن نبويًا في العبادة (وهو ما يفترضه بولس بديهيًا، إن نظر المرء بدقّة، وراعى السياق، وكذلك الصورة الكتابية الكبرى الكاملة).

كيف نقرأ الكتاب المقدس حين يتعلّق الأمر بمسألة المرأة؟ هل نرى الموضوع كلّه من خلال آيتين (!) من 1 تيموثاوس 2 و1 كورنثوس 14؟ أيّ تعاليم مشوّهة كانت ستنتج لو قرأنا الكتاب المقدس وحكمنا عليه في مسائل تعليمية مهمّة أخرى بهذا التضييق من خلال آيتين؟ ولم نضع كل المادة الكتابية في علاقة صحّية معقولة بعضها ببعض ونوازن بينها. فهكذا فقط ينشأ تعليم صحيح!

عندئذ نقرأ كالكتبة، ونظنّ أننا نجد في الكتب الحياة الأبدية، لكننا نفوّت لقاء الذي تشهد له الكتب: المسيح (يوحنا 5: 39). الكتاب الذي نحبّه هكذا يشهد للذي قاد النساء إلى الحرية، إلى التعلّم، إلى الاعتراف، والشهادة، والعبادة.

لنبدأ بتقدير الصورة الكاملة للكتاب المقدس عن النساء، لا بتفسيرها من خلال كلمتين لبولس أُسيء فهمهما.

14.4 الحسّ المرهف

كثير من النساء يشعرن، حين يقرأن الكتاب المقدس، وحين يرين يسوع وكيف تعامل مع النساء، بأن شيئًا ما ليس على ما يرام. ويصير الأمر أصعب عليهنّ حين يرين كيف يُخفق الرجال الذين ينبغي أو يريدون أن يقودوا ويكونوا الرأس. مع أن هذا الدور يُفترَض أن الله ائتمنهم هم بالذات عليه – بخلاف النساء. ومع ذلك كم مرة تُنقذ الزوجات الموقف وتُخرجن الجمر من النار.

هذا ما ألاحظه في الردود على كتابي. يبدو أن عنوان الكتاب يملأ فراغًا هائلًا. أكبر ممّا ظننت حين اخترت هذا العنوان.

أعرف بالطبع زيجات – بقدر ما يمكن ذلك حتى للمقرّبين – تُعاش فيها هذه التراتبية بمحبة. لكن هل هذا دليل على أن التراتبية عندئذ صحيحة ومقدّسة؟ بالتأكيد لا. كم من الأمور الخاطئة نفكّر فيها ونفعلها، ونظنّ أنها صحيحة، لأنها تعمل بطريقة ما.

نعم، «مسألة المرأة» مهمّة للغاية. لأن الأمر يتعلّق بصورتنا عن الله وعن الإنسان. يتعلّق باستئصال كل اضطراب وتشويه في هذه الصورة وتصحيحه. ليكن الله رحيمًا بنا ويساعدنا في هذه المهمّة، لأن الصور الخاطئة راسخة إلى عمق لا يُتصوَّر، وتبدو لكثيرين فوق ذلك حقًّا إلهيًا. مع أنها سلوك دنيوي. إنها روح العصر، لا روح القرن الحادي والعشرين في جزئنا من الأرض، بل روح القرنين الماضيين العشرين والتاسع عشر.

إن أردنا نحن الرجال أن نحبّ زوجاتنا كما أحبّ المسيح الكنيسة، فسنُخرجهنّ بالمحبة من هذا الدور الخاطئ، والمميِّز في أحيان غير قليلة، وسنفسح لهنّ ونحرّر لهنّ المكان الذي يحقّ لهنّ في نظام خليقة الله.

فمسألة المرأة هي في العمق مسألة رجال. علينا نحن الرجال أن نسائل أنفسنا! فمن هو المسؤول عن القراءة الهرمية، والأبوية أحيانًا، للعهد الجديد؟ لقد استأثر الرجال بالسيادة على تفسير الكتاب المقدس، ويظنّون أنه اختصاصهم الخاصّ بامتياز. يا له من تقدير مبالغ فيه للذات. مواهب الروح لا توزَّع بحسب الجنس. وبهذا السلوك نُسيت مواهب لا تُحصى لدى النساء، وقُمعت، وأُقصيت، وأُهملت، وأُخمدت. وإطفاء الروح ليس أمرًا هيّنًا حقًّا. فالرجال هم الذين يقودون الكنائس ويحدّدون المسار – والنساء ليس لهنّ في ذلك رأي، وإن كان فبشكل غير رسمي عبر أزواجهنّ، الذين لن يعترفوا أبدًا في دائرة قيادتهم بأنهم يتبعون رأي زوجاتهم.

14.5 ما ليس هدفي

الأمر لا يتعلّق بتحديث الكنيسة (فالأمر لا يتعلّق بالقاعات والمباني)، ولا بمواكبة العصر. الأمر يتعلّق بالأمانة ليسوع، وهذه هي الأمانة للكتاب المقدس! لا تحديث، بل إصلاح في مسألة المرأة، لأستعمل هذه الكلمة المشكوك فيها، «مسألة المرأة»، للمرة الأخيرة على الإطلاق.

الأمر لا يتعلّق بالفوز في نقاش لاهوتي. فالموضوع لا يصلح لذلك، لأن البشر (ولا سيّما الأخوات في الربّ) معنيّون به مباشرة، ولأن وجهة النظر في كل حالة تطبع الحياة بقوّة،

في الكنيسة، وفي ملكوت الله، وفي الزواج والعائلة.

لكن نقاشًا فقط، واعتراضًا فقط، وخطابًا نبويًا فقط، يستطيع أن يحرّك هذا الموضوع من جديد. فمن دون حوار وجدال بنّاء سيبقى كل شيء على حاله.

14.6 سبب للانفصال؟

المستوى العالي من الانفعال في هذه المسألة يغري بالتصرّف السريع والحاسم، الذي ينتهي كثيرًا بانفصال وانقسام وانشقاق. فعند بعضهم يُتجاوَز حدّ إلهي، لا وجود له عند الآخرين. فماذا الآن؟

احتمال التوتّرات ممكن لفترة، لكن لأن هذه المسألة تحمل الكثير للطرفين، فلن يكون في النهاية سير مشترك ممكنًا. إلّا إذا استطاع المرء أن يحتمل ما هو العادة المتّبعة في الكنيسة المعنيّة. نعم، الله أيضًا يحتمل الكثير، أكثر ممّا نستطيع أن نتصوّر، دون أن يستحسن السيّئ.

وهكذا يجب على كل واحد أن يقرّر بنفسه. وفي رأيي من الصعب أيضًا الاتّفاق، في هذا التوتّر، على طريق وسط يتنازل فيه كل طرف للآخر بقدر ما يستطيع أن يدافع عنه.

سامحوني إن لم أستطع أن أقدّم في هذا الموضوع حلًّا. فالانفصالات سيّئة في أغلب الأحيان، لكن التسويات قد تكون كذلك أيضًا.

14.7 على النساء أن ينهضن

هناك أمور في الحياة لا يستطيع المرء أن يفعلها إلا بنفسه. لا أحد يستطيع أن يفعلها عنّا. على النساء أن ينطلقن ويتعرّفن إلى طريقهنّ ويخرجن من خضوع أُسيء فهمه. ففي الكنائس الكبرى نساء استيقظن وأدركن أن في مسألة الجنسين خللًا كبيرًا. ليفكّر المرء في هذه الحركات ما يشاء، لكنني أقول مع هوشع 8: 7: من يزرع الريح يحصد الزوبعة.

Nice girls don’t change the world – جملة صادقة (البنات اللطيفات لا يغيّرن العالم). هذا الموضوع متصلّب إلى حدّ أنه صار حقًّا لا يُمَسّ، بحيث يكون مكبّر

الصوت مناسبًا تمامًا للنهوض ضدّه. ففي حقائق مسيحية أخرى تُعَدّ ذات صلة بالخلاص يُصرَخ بصوت عالٍ أيضًا، أليس كذلك؟

الخيار الآخر هو أن يبقى كل شيء على حاله. ثم في ذلك اليوم العظيم، أمام مجده ووضوحه وحقّه، نضطرّ إلى الإقرار بأننا أخطأنا، كلا الجنسين. الرجال بمعارفهم، والنساء بقبولهنّ لهذه الحقائق التي يُزعَم أنها كتابية. عندئذ تكون فرصة عظيمة قد ضاعت وانقضت، إلى الأبد.

لا يجوز الآن لا للرجال ولا للنساء أن يكونوا جبناء! فالدفاع عن الحقّ يكلّف دائمًا شيئًا. لو لم تنهض في تاريخ الكنيسة مرة بعد مرة مسيحيات ومسيحيون شجعان كثيرون ويسبحوا ضدّ التيار، فأين كنّا سنقف اليوم؟ ونحن نعرف ذلك جيّدًا. فكل حركة وكل تيار في المسيحية، ونحن ننتمي إلى واحد منها، بدأ بنساء ورجال شجعان مصلّين.

14.8 في المستقبل والآن

في الأبدية لن يلاحقنا هذا الموضوع. لن يكون هناك انفعال ولا لوم ولا اتّهامات بعدُ. ولا عهد جديد يُتجادَل في أقواله. سيكون الرجل والمرأة ببساطة كالأخ والأخت، وستصير التراتبية والخضوع من طرف واحد من الماضي. كل ذلك ماضٍ من عالم ساقط ونظام خليقة مضطرب. بل لن يكون للجنس أيّ دور على الإطلاق. ففي المسيح ليس ذكر وأنثى (غلاطية 3: 28). بهذا الاتّساق يرى بولس الأمر. لنكن متمثّلين به، كما كان هو متمثّلًا بالمسيح!

لنعِش منذ الآن، بقدر ما يتعلّق الأمر بنا، حرية هذه الخليقة الجديدة وقوّتها، الخليقة التي صرناها في المسيّا القائم من الأموات والممجَّد!

15 قائمة المراجع

Anstey, Stanley Bruce, 2020, Die Rolle der Schwestern in der Gemeinde, www.soundwords.de

Andreas J. Köstenberger, Southeastern Baptist Theological Seminary, Ascertaining Women’s God-Ordained Roles: An Interpretation of 1 Timothy 2:15

Bauer, Wörterbuch zum Neuen Testament

Baum, Armin, Die Bibel und ihre schwierigen Stellen

Beale, Gregory K., 2011, Der Tempel aller Zeiten, Die Wohnung Gottes und der Auftrag der Gemeinde, Oerlinghausen

Bielefeld, Frauke, 2007, Die Sache mit der Rippe, Die himmlische Idee von den Geschlechtern, Asslar

Bird, Michael F., Bourgeois Babes, Bossy Wives, and Bobby Haircuts: A Case for Gender Equality in Ministry (Fresh Perspectives on Women in Ministry) 2012, Grand Rapids, Mi

Carolyn Osiek; Margaret Y. MacDonald; Janet H. Tulloch. A Woman's Place: House Churches in Earliest Christianity

Clouse, Bonnidell و Robert, 1989, Women in Ministry, Downers Grove

Cunningham, Loren; Hamilton, Joel David, 2014, Warum nicht! Frauen in christlich-kirchlichen Führungspositionen, Altensteig

Dale, Felicity, 2014, The Black Swan Effect, A response to gender hierarchy in the church

Dangendorf, Daniel, 2010, Junia, die erste Apostelin? Eine exegetische Studie, MBS Texte

Bode van het heil in Christus 140 (1997) Frage & Antwort: «Was dürfen Frauen?»

Gooding, David, Symbole und Zeichen von Autorität und Herrlichkeit

Hardmeier, Roland, 2013, Himmelstöchter! Warum die Stärke der Frau in der Bibel gebraucht wird. Und warum das biblisch ist. Basel

Hempelmann, Heinzpeter, 1997, Gottes Ordnungen zum Leben, Lahr

Hohage, Jäger, Pletsch, Ziegeler, 2010, Frau sein, Mann sein in der Gemeinde, Dillenburg

Junker, Reinhard, Genesis 1 und 2: Zwei sich ergänzende Schilderungen vom Anfang, Wort und Wissen Diskussionsbeitrag 1/91

Hausoul, Raymond, Mannen en Vrouwen in Gods schepping

Keener, Craig S., Was Paul For or Against Women in Ministry?

Kiermeier, Gerhild, 1993, Den Frauen aber sage ich, Marburg

Kubsch, Ron, Gottebenbildlichkeit und Sünde

Kuen, Alfred, 1998, Die Frau in der Gemeinde, Wuppertal

Lapide, Pinchas, 2004, Ist die Bibel richtig übersetzt? Gütersloh

Lapide, Pinchas, 1995, War Eva an allem schuld?

Liebi, Roger, Genesis 2: Die Schöpfung des Menschen

Linder, Irmgard, 1995, Ich will aber, dass ihr wisst, Dillenburg

Logos Bibel Programm

Nunn, Philip, 2018, Sollten Schwestern schweigen, Hünfeld

Ortberg, John, 2006, Die Frau schweige, Holzgerlingen

Peppiatt, Lucy, 2020, Rediscovering Scripture's Vision for Women: Fresh Perspectives on Disputed Texts, IVP Academic, Downers Grove, Illinois

Peppiatt, Lucy, 2015, Women and Worship at Corinth: Paul’s Rhetorical Arguments in 1 Corinthians, Eugene, Oregon

Peters, Benedikt, Das Weissagen der Frau

Pierce & Groothuis, 2005, Discovering Biblical Equality, IVP Academic, Downers Grove, Illinois

Piper, John and Wayne Grudem, 1991, Recovering Biblical Manhood and Womanhood, Crossway Books, Wheaton, Illinois; بالألمانية: Zweimalig einmalig – eine biblische Studie, 2008, Friedberg

Ruthven, Jon Ph.D., Women and Ministry: Does Scripture Contradict Itself?

Paulus im Kampf gegen den ,2002 طبعة ,Schirrmacher, Thomas Schleier, Eine alternative Auslegung von 1. Korinther 11,2-16, Nürnberg

Schmalenbach, H., 2007, Frausein zur Ehre Gottes: ... im Kontext verschiedener Kulturen

Schmidt, Veronika, 2019, Endlich gleich, Holzgerlingen

Smith, Kern, 2000, OHNE UNTERSCHIED, Frauen und Männer im Dienst für Gott, Brunnen Verlag, Gießen

Die و ،?Stadelmann, Helge, Die Frau als Pastorin – Ja oder Nein Frauenordination – Ein Testfall für Bibeltreue?

Steinmeister, Andreas, 2013, Wann immer ihr zusammenkommt, Daniel, Lychen

Steinmeister, Andreas, 1991, UNBEQUEM, Gottes Plan für Mann und Frau, CSV Hückeswagen

Spencer, Aída Besançon, 1985, Beyond the Curse: Women Called to Ministry,

Späth, Thomas / Beate Wagner (محرّران), 2006, Frauenwelten in der Antike, Geschlechterordnung und weibliche Lebenspraxis, Stuttgart

Strauch, Alexander, 2001, Die Revolution der Geschlechter, Bielefeld

Trenkel, Michael, 2017, Dürfen Frauen in der Gemeinde lehren? Kurzauslegung zu 1Tim 2,11-15

Ulm, Christoph, Die Rolle von Mann und Frau

Walton, J. H., 2001, Genesis, The NIV Application Commentary, Zondervan, Grand Rapids, MI

Weber, Karl-Heinz, 2007, Mann und Frau nach Gottes Plan, Neustadt

Welt und Umwelt der Bibel, 4/2025, Wer waren die ersten Christinnen

White, Joel R., Ehefrauen in den paulinischen Gemeinden

Wilson, Bunny, 1992, Ich? Mich unterordnen?, Bielefeld

Wunderli, Armin, 2020, «ihm gegenüber»: Geschlechter-Gleichberechtigung in der Kirche und was die Bibel dazu (nicht) sagt KSH.Digital

Zens, Jon, 2010, What’s with Paul and Women? Unlocking the cultural background to 1 Timothy 2, Lincoln, Nebraska

16 كتب المؤلّف

Und die Toten leben doch (ومع ذلك فالأموات أحياء)، 1992

Seitenwechsel, Von Adam zu Christus (تغيير الجانب – من آدم إلى المسيح)، 2011

Entrückung, Himmel, Ewigkeit, Ein neuer Blick auf alte Themen (الاختطاف – السماء – الأبدية – نظرة جديدة إلى موضوعات قديمة)، 2015

Gottes Lamm, Golgota und die Ewigkeit (حمل الله – الجلجثة والأبدية)، 2015

Fantastische Himmelwelt, Lehre und Leben der Himmelwelt im Epheserbrief (العالم السماوي المذهل – تعليم العالم السماوي والحياة فيه بحسب رسالة أفسس)، 2016

Gott spricht, Eine erklärende Übertragung der allgemeinen Briefe und der Offenbarung (الله يتكلم – نقل شارح للرسائل الجامعة وسفر الرؤيا)، 2017

Epheser, nacherzählt, erklärt, für heute (رسالة بولس إلى أهل أفسس – إعادة سرد، شرح، لأيامنا)، 2018

Gods good Gospel, Gottes gutes Evangelium (إنجيل الله الصالح)، 2019

Markus, nacherzählt, erklärt für heute (الإنجيل بحسب مرقس – إعادة سرد، شرح، لأيامنا)، 2019

Galater, nacherzählt, erklärt für heute (رسالة بولس إلى أهل غلاطية – إعادة سرد، شرح، لأيامنا)، 2020

Die Briefe des Johannes, nacherzählt, erklärt für heute (رسائل يوحنا – إعادة سرد، شرح، لأيامنا)، 2020

Frauen, vergebt uns! Kurzversion (أيتها النساء، سامحننا! – نسخة مختصرة)، 2022

Ein König voller Pracht – Die gute Botschaft von Jesus, dem Messias (ملكٌ مليءٌ بالبهاء – الخبر السارّ عن يسوع المسيّا)، 2022

17 كتب يُنصح بها



متوفّر في المكتبات أو مباشرةً لدى الناشر كريستيان بيزه (Christian Beese): christian@rvbeese.de

كانت كاثرين ك. بوشنل (Katharine C. Bushnell) (1855–1946) خادمةً لله شجاعة وموهوبة، اتّخذت الآية «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوّيني» شعارًا لحياتها. كانت طبيبة، ومرسَلة، وسفيرة للصليب، ومُصلحة، وكاتبة، وخطيبة، إلى جانب كونها عالمة لامعة ومبتكرة تتكلّم سبع لغات وتتقن اليونانية القديمة والعبرية. تركت بوشنل الطبّ لتقوم بما كانت تعدّه عملًا أهمّ، وهو تغيير ظروف الحياة المُذلّة

للناس، بتولّيها دورًا قياديًا في Women’s Christian Temperance Union (WCTU، «الاتحاد المسيحي النسائي للاعتدال») ضمن الحركة النسائية في القرن التاسع عشر. كانت مكانة النساء في الكتاب المقدس ذات أهمية كبيرة لبوشنل، إذ توصّلت إلى استنتاج أن الترجمات الخاطئة كانت مسؤولة عن إخضاع النساء اجتماعيًا وروحيًا. وفي عام 1896 تركت WCTU لتكرّس سنواتها الباقية لمهمّة الكتابة ونقل الحقّ الكتابي عن قصد الله الأصلي غير المتغيّر: المساواة الكاملة للنساء.

God’s Word to Women لكاثرين بوشنل دراسة رائدة تفحص بعناية كل مقطع في الكتاب يتناول النساء. وقد قالت جيسي بن-لويس (Jessie Penn-Lewis) إن هذه المادة فتحت الكتاب بطريقة لا يمكن وصفها إلا بأنها إعلان مباشر من الله. وهو لكثيرين اليوم الكتاب الذي منحهم الحرية لأن يكونوا ما دعاهم الله إليه، وأن يعملوا العمل الذي وضعه الروح القدس في قلوبهم.

خلال عملها طبيبةً مرسَلة في الصين، اكتشفت بوشنل أن الكتاب المقدس الصيني تُرجم ترجمة خاطئة بحيث يعزّز التحيّزات الثقافية ضدّ خدمة النساء. وتساءلت هل التحيّزات الذكورية نفسها ربما أثّرت في الترجمات الإنجليزية أيضًا، فعمّقت دراستها للعبرية واليونانية. ولاحقًا، وهي تسافر في العالم كلّه من أجل WCTU، استغلّت الساعات في القطارات وعلى السفن وفي أماكن الإقامة التي نزلت فيها، لتقارن بعناية ترجمات الكتاب المقدس بنصّ اللغات الأصلية.

بالخبرة والدرس أعدّ الله كاثرين بوشنل لكتابة God’s Word to Women. بدأ الكتاب عام 1908 مقرّرًا للدراسة بالمراسلة، ونشرته بوشنل أولًا على نفقتها الخاصّة. ورغم ردود فعل إيجابية مبكرة، اختفى الكتاب سريعًا من جديد؛ وماتت بوشنل معتقدةً أن حياتها لم تترك إلا أثرًا قليلًا. لكن الله كان يعرف أفضل! فقد أُعيد اكتشاف الكتاب، وما زال يُنشَر على يد الذين يدركون قيمته التي لا تُقدَّر. واليوم ينال أخيرًا التقدير المستحقّ بوصفه مصدرًا أدبيًا أساسيًا لمن يعملون في الصفّ الأول من أجل المساواة الكتابية للنساء.

هانا-ماريا شمالنباخ (Hanna-Maria Schmalenbach)

Frausein zur Ehre Gottes

In jeder Kultur anders? («أمختلفٌ في كل ثقافة؟»)



خلق الله الإنسان رجلًا وامرأة. فهل أعطاهما مع ذلك أيضًا نظام خليقة يحدّد ماهية الرجولة والأنوثة، وينظّم العلاقة بين الجنسين تنظيمًا يتجاوز الزمن لكل الثقافات؟ ما الدور الذي تؤدّيه خطية الإنسان؛ وما الدور الذي تؤدّيه المؤثّرات الثقافية؟ وأيّ تغييرات في العلاقة بين الجنسين يمكن أن نتوقّعها بالخلاص في يسوع المسيح؟

حول هذه الأسئلة وأمثالها يدور الصراع حتى اليوم، ولا سيّما في ما يتعلّق بمكانة المرأة ومجال عملها في الكنيسة. أن تكون المرأة امرأةً لمجد الله (Frausein zur Ehre

Gottes) – هذه رغبة كثير من النساء! لكن ماذا يعني ذلك عمليًا: في كل ثقافة شيء آخر؟

ترسم هانا-ماريا شمالنباخ الصورة الكتابية للمرأة في سياق تاريخ الخلاص، وعلى خلفية ثقافات ذلك الزمان. وهكذا تنتج معارف مفاجئة وتوجيهات حول كيف تستطيع النساء في ثقافات زماننا أن يشكّلن حياتهنّ لمجد الله.

«... يمكن (للكتاب) أن يقدّم مساعدة على التوجّه، لكن أيضًا مادة متفجّرة لكنائسنا.»

هايكه هويْن (Heike Heun) في Idea Spezial 7/2021 Buchjournal

«هو بلا منازع أفضل كتاب عن دور المرأة في الكنيسة ... التناول الشامل والموضوعي للموضوع، والبناء المنطقي، ومراعاة الثقافة، والصلة بالممارسة، هي بعض نقاط القوّة في هذا الكتاب. وللمرّة الأولى وجدت بفضل هذا الكتاب سلامًا حقيقيًا في ما يتعلّق بدوري في الكنيسة. إسهام قيّم ومقنع في موضوع مهمّ وراهن، يجب حتمًا أن يقرأه الرجال والنساء في كنائسنا!»

ماريانه مولر (Marianne Müller) في مدوّنتها strickleserl

«بلا شكّ أفضل عمل وأكثره إقناعًا عن «مسألة المرأة» تعرّفت إليه حتى الآن!»

مراجعة من إحدى المشتريات

«... من أذكى الكتب عن «مسألة المرأة»، ويمكن أن يساعد على اكتشاف دورنا بوصفنا نساءً من جديد.»

مونيكا كوشميرتس (Monika Kuschmierz) في مجلة Joyce

«لا توجد دراسة عن خدمة المرأة في الكنيسة تجمع معارف من منظور الطبّ البشري، والمنظور بين الثقافات، والتاريخي، والكتابي، بقدر ما تفعل دراسة الدكتورة شمالنباخ. ومن يأخذ هذا البحث بجدّية، سيضطرّ إلى إعادة التفكير في موقفه من خدمة المرأة. ولا ينبغي لأحد معنيّ بهذه المسألة أن يتجاوز هذا العرض.»

د. هلموت إغلكراوت (Dr. Helmuth Egelkraut) (1938–2018)

Neufeld Verlag

Sauerbruchstraße 16

27478 Cuxhaven

الهاتف: 5057260 04723

البريد الإلكتروني: info@neufeld-verlag.de

النسخة المختصرة من هذا الكتاب (باللغة الألمانية)، بصياغة نصّية جديدة في 80 صفحة، متوفّرة بسعر 3.80 يورو لدى المؤلّف (www.hans-joerg-ronsdorf.de)، وككتاب إلكتروني على Kindle لدى أمازون.



Die Gleichstellung von Mann und Frau («المساواة بين الرجل والمرأة») عمل قصير لكنه متعمّق للاهوتي والباحث اللغوي فيليب ب. باين (Philip B. Payne)،

يثبت فيه بكل النصوص الكتابية ذات الصلة أن الرجل والمرأة متساويان، في الزواج والكنيسة والمجتمع.

56 صفحة، يوليو/تموز 2023، متوفّر في المكتبات أو لدى المترجم إلى الألمانية: hj-ronsdorf@t-online.de، وككتاب إلكتروني على Kindle لدى أمازون

